التيسير في أصول التفسير ومناهج المفسرين

دكتور عبد الله أحمد عثمان أحميد

الجامعة المفتوحة
طرابلس

التيسير في أصول التفسير
ومناهج المفسرين

تأليف
دكتور عبد الله أحمد عثمان احميد
أستاذ مشارك بكلية الآداب
جامعة الفاتح

القسم الأول

الجامعة المفتوحة
طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل كتابه الخاتم القرآن الكريم على عبده ورسوله محمد النبي العربي الأمي المبعوث رحمة للعالمين فأبان لأمته مانزل إليهم فأنار السبيل وتركهم على المحجة البيضاء فاستقامت حياتهم وسعدوا بتطبيقه والعمل به فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

جعل الله تعالى هذا الكتاب خاتماً لكتبه المنزلة وأجلها وأشملها وأغزرها علماً وأبلغها خطاباً ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[1].

والصلاة والسلام على نبيّه ومصطفاه سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد الخلق أجمعين الرحمة المهداة[2] المبعوث بالحنيفية السمحة[3] على فترة من الرسل والمرسل ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[4].

(وبعد) فإن هذا الكتاب الخاتم والمهيمن على غيره من الكتب هو المعجزة العظمى والآية الكبرى التي أيد الله بها نبيه العربي محمداً ﷺ. وهو الدستور الرباني الجامع الذي أنزل لهداية الأمة إلى الحق وليخرجهم من

---

(1) سورة الزمر، الآية 28.

(2) لفظ حديث رواه الحاكم في المستدرك.

(3) في حديث رواه مسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».

(4) سورة الفتح، الآية 28.

الظلمات إلى النور ويبدد ظلمات الشرك والجهالة والضلالة قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] وفي هذا الكتاب المنزل قواعد تشريعية عامة وأصول مجملة وآيات محكمات وأخرى متشابهات، وقد وكل الله تعالى لنبيه بيان ذلك الكتاب وتفسيره لأمته لتكون على علم تام بكتاب ربها المنزل لهدايتها وإرشادها لما يصلحها في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] فامتثل الرسول الكريم الأمر فأبان الكتاب وبلغ الرسالة وأدى الأمانة.

ولما انتقل إلى الرفيق الأعلى واختاره الله إلى جواره قام صحابته الكرام من بعده بهذه المهمة أحسن قيام فكان منهم العلماء الأفذاذ والمفسرون الملهمون، ثم جاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان الذين لم يألوا جهداً في حمل الرسالة التي ورثوها عن أسلافهم حتى أدوها للذين جاءوا بعدهم من أتباعهم وهكذا ظل علماء الأمة الإسلامية يتوارثون العلوم الشرعية خلفاً عن سلف، وكان مما تحملوه في ضمنها علم أصول التفسير (تفسير القرآن الكريم) وسيستمر هذا بإذن الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو غير الوارثين.

هذا ومن خلال دراستي لمادة أصول التفسير بالدراسات العليا بكلية الدعوة الإسلامية عدة سنوات[3]. وكنت أثناء تدريسي لهذه المادة حريصاً كل الحرص على عرض الأصول النقلية والعقلية لتفسير القرآن الكريم وإبراز منزلة من قام به من الصحابة والتابعين وبيان قواعده بأسلوب يتناسب مع مدارك

---

(1) سورة المائدة، الآيتان 15 و 16.

(2) سورة النحل، الآية 44.

(3) بداية من السنة الدراسية 94 ـ 95 إلى سنة 97 ـ 98 إفرنجي.

الطلاب ويسهل عليهم الإحاطة بهذا العلم، ويحول بينهم وبين الوقوع في تفسيرات واهية مخالفة لما دون من أصوله وقواعده المعتمدة عند العلماء، وفي تلك الفترة كانت بدايتي في جمع مادة هذا العلم[1] وأيضاً كان مما شجعني وحرضني على القيام بهذا العمل المبارك ما كلفت به من إشراف على مادة أصول التفسير بالجامعة المفتوحة قسم الدراسات الإسلامية وذلك بوضع الأسئلة والتصحيح في فصول متعددة أيضاً وفي أثنائها اقترح علي أمين الشؤون العلمية أخونا ـ الدكتور رمضان القذافي وضع كتاب يحوي مفردات المادة ويهم طلاب الدراسات الإسلامية عموماً وطلاب التفسير على الخصوص، لهذا قمت بعون الله تعالى وحسن توفيقه بجمع هذه الفصول تحت عنوان (التيسير في أصول التفسير) جمعت موضوعات هذا العلم الجليل المفيد من أمهات المصادر والمراجع القديمة والحديثة بعد أن كانت مبعثرة موزعة هنا وهناك في كتب التفسير وأصوله وعلوم القرآن ومناهج المفسرين وأصول الفقه، وأيضاً لما أشعر به وألمسه عند أبنائنا طلاب الدراسات الإسلامية. وفي الأوساط المثقفة المهتمة بهذا اللون من الدراسة من احتياجهم إلى كتاب يلم بأهم مسائل هذا العلم ويعرضها بأسلوب سهل ميسر واضح فرتبت مسائلة ونسقتها محاولاً الوصول بالدارس حسب اجتهادي إلى المنهج الصحيح السديد السليم، ولم أقتصر على ما كتبه الأقدمون وخلفوه من تراث في هذه المادة بل تتبعت ما أنتجه المحدثون من أساتذتنا الفضلاء في العصر الحديث واقتبست منهم ما رأيته مناسباً ومفيداً.

وأيضاً حرصت على تلبية حاجة طلابنا في الجامعة المفتوحة فجعلت الكتاب متمشياً مع أسلوب التعليم المفتوح فقمت في كثير من المواضع بإجمال الموضوع ثم تفصيله، وأحياناً أقوم بالتفصيل أولاً ثم ألخصه في نقاط واضحة محددة بارزة وأتبعت كل فصل من فصول الدراسة بنماذج من الأسئلة

---

(1) كانت بدايتي بوضع خطة الكتاب في 18ـ1ـ1995 إفرنجي.

والتمرينات لتثبيت المعلومات لدى الطلاب وتعويدهم على أداء الامتحانات وتدعوهم إلى تفهم ما يدرسون وتساعدهم على استيعاب الموضوع الذي يدرسون.

وقد جاء كتابي هذا مرتباً على مقدمة ومدخل وخمسة أبواب وخاتمة وكل باب يحتوي على فصول وصلت إلى ستة عشر فصلاً وهي عدا المقدمة كما يلي :-

1 ـ المدخل وفيه:

أ ـ تعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً والنسبة بينهما.

ب ـ فضل علم التفسير والحاجة إليه واستمداده.

ت ـ مقاصد القرآن الكريم وإبراز الغاية من إنزاله.

2 ـ الباب الأول (أصول التفسير النقلية من القرآن والسنة وأقوال الصحابة) وفيه ثلاثة فصول:

أ ـ الفصل الأول: تفسير القرآن بالقرآن معناه ـ أمثلة منه.

ب ـ الفصل الثاني: تفسير القرآن بالسنة المرفوعة إلى النبي ﷺ وأوجه بيانها للقرآن وأمثلة متنوعة منها.

ت ـ الفصل الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة وتراجم موجزة لمن اشتهروا منهم بالتفسير والمكثرون منه وأمثلة من تفاسيرهم.

3 ـ الباب الثاني (التفسير في عصر التابعين وبداية تدوينه في عصر أتباعهم) وفيه ثلاثة فصول:

أ ـ الفصل الأول: مصادر التفسير في عصر التابعين ومدارسه وأشهر المفسرين منهم وأمثلة متنوعة من تفاسيرهم.

ب ـ الفصل الثاني: المرحلة الثالثة من مراحل التفسير بالمأثور ـ تدوينه وتطوره والعلماء الذين تم على أيديهم.

ت ـ الفصل الثالث: أقسام التفسير وأهم مصادر المأثور منه.

4 ـ الباب الثالث: (الضعف في التفسير بالمأثور وأسبابه) وفيه ثلاثة فصول:

أ ـ الفصل الأول: الإسرائيليات في التفسير ـ المراد بها ـ أثرها في التفسير أقطابها ـ واجب العلماء نحوها.

ب ـ الفصل الثاني: الوضع والموضوعات في التفسير ـ تعريفه وأنواعه وأمثلة منه.

ت ـ الفصل الثالث: حذف الإسناد من التفسير بالمأثور وأثره فيه.

5 ـ الباب الرابع (التفسير بالرأي ومناهج المفسرين به) وفيه خمسة فصول:

أ ـ الفصل الأول: نشأة التفسير بالرأي وتطوره وأهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود.

ب ـ الفصل الثاني: التفسير الموضوعي الفقهي وأهم الكتب المؤلفة فيه.

ت ـ الفصل الثالث: التفسير بالرأي المذموم وأهم مصادره وهو تفسير الفرق المبتدعة من المعتزلة والشيعة والخوارج والمتصوفة.

ث ـ الفصل الرابع: التفسير العلمي للقرآن ـ تعريفه وأهم الكتب المؤلفة فيه.

ج ـ الفصل الخامس: التفسير وألوانه في العصر الحديث وأهم الكتب المؤلفة فيه.

6 ـ الباب الخامس (ما ينبغي في التفسير والمفسر) وفيه فصلان:

أ ـ الفصل الأول: العلوم التي يحتاج إليها المفسر وشروطه وآدابه وما ينبغي أن يجتنبه في التفسير.

ب ـ الفصل الثاني: قواعد التفسير بالرأي والمنهج القويم في تفسير القرآن الكريم.

7 ـ الخاتمة

هذه خلاصة الخطة المنفذة في هذا الكتاب علماً بأني لا أدعي بأن ما كتبته في هذه الفصول جاء كاملاً من جميع الوجوه كلا فالكمال لله وحده ولا يوجد أحد من الخلق منزهاً عن الخطإ إلا من عصمهم الله تعالى، وحسبي أنني بذلت غاية جهدي في الاختيار والمقارنة والترجيح والتصحيح حتى وصلت بعون الله تعالى إلى ما اطمأنت إليه نفسي واستراح إليه ضميري راجياً من المولى جلت قدرته أن تعم فائدته طلابنا الأعزاء، وأن أكون ممن ساهموا في خدمة كتاب الله المجيد وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير والله أعلم بالصواب وهو الموفق إلى كل خير.

المؤلف

عبدالله أحمد أحميد

[illegible]

التفسير في اللغة هو البيان والكشف والإيضاح لمعنى الكلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

اخى القارئ :

وردت بعض الاخطاء المطبعية التالية فى الكتاب عليه نأمل تصويبها قبل القراءة

تصويب الاخطاء المطبعية فى كتاب

" التيسير فى اصول التفسير " تاليف د . عبدالله احمد حميد

الصفحة	السطر او الهامش	الخطأ	الصواب
الغلاف	7	القسم الثانى	القسم الاول
14	3	وهذا ربنا فى	وهذا لا ينافى
15	16	تقريبا	قريبا
17	13	بكل واحد	وبكل واحد
17	17	صينع ابن جرير	صنيع ابن جرير
18	هـ (1)	وقال الذهب	وقال الذهبى
22	9	تبديره	تدبره
23	هـ 1 0)	عنابن	عن ابن
74	هـ (2) س2	ونافع وغير	ونافع غير
79	19	وحكم ونسب	وحلم ونسب
82	5	اختلفوا فيها	اختلفوا فيه
83	3	شيخنا الذهب	شيخنا الذهبى

الصفحة	السطر او الهامش	الخطأ	الصواب
106	2	استلقت	استقلت
109	4	فو اتخذه	فلو اتخذه
110	6	وما كان ليعذبهم	وما كان الله ليعذبهم
140	8	بن سالم	زيد بن اسلم
160	10	ولذلك خلقه	ولذلك خلقهم
161	هـ (1)	اعملى	اعمى
179	8	الذى	الذين
188	هـ (2) س2	المستطرقة	المستطرفه
189	هـ (2) س2	وتثبيا	وتثبيتا
240	11	للتمييز	التمييز
299	3	النفس	النفسى
301	هـ (1)	الى بلد أمن	الى بلد من
314	هـ (1)	القرشر	العرش
346	3	لنا سند	لها سند
354	5	منع أمر من	، ـــع من
364	7 من اسفل	التكليفى	التكليف
364	7 من اسفل	ومايلى ذلك	وما الى ذلك
364	3 من اسفل	اول الالباب	اولوا الالباب

أولاً ـ المدخل وفيه النقاط التالية:

أ ـ معنى التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً وبيان النسبة بينهما وخلاف العلماء فيها.

ب ـ فضل علم التفسير والحاجة إليه واستمداده.

ج ـ مقاصد القرآن الكريم وإبراز الغاية من إنزاله.

أ ـ معنى التفسير لغة:

هو البيان والكشف والإيضاح لمعنى كلام بكلام آخر أوضح منه عند السامع أو القارىء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1] أي بياناً وتفصيلاً. وهو مصدر فسّر مضعف فسر مخففاً ووزنه (التفعيل) والتضعيف فيه ليس للتعدية وإنما هو للدلالة على التكثير والمبالغة كقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾[3]. تنزيلاً لما يعانيه المفسر من كدّ الفكر لاستخراج أدق المعاني، واختيار أنسب الألفاظ وأحسن الأساليب للتعبير بها عن المعاني المختارة منزلة العمل الكثير. قال الزركشي: «وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير»[*] فكأن المفسر يتتبع القرآن سورة بعد سورة وآية بعد آية ويفسرها.

---

(1) سورة الفرقان، الآية 33.

(2) سورة البقرة، الآية 49.

(3) سورة يوسف عليه السلام، الآية 23.

(*) من البرهان ج 2، ص 157 بتصرف.

ومثل التفسير الفسر بالتخفيف وهو مصدر فسر كضرب ونصر[1]، وهو أيضاً متعد كالمضعف فتقول: فسر الشيء يفسِره بكسر السين ويفسره بضمها.

ومعنى التفسير والفسر في اللغة واحد عند أكثر العلماء، فقد جاء في القاموس المحيط قوله: الفسر؛ الإبانة وكشف المغطى كالتفسير والفعل كضرب ونصر، ونظر الطبيب إلى الماء كالتفسرة[2]. وقال في لسان العرب: الفسر؛ البيان، فسر الشيء يفسِره بالكسرة ويفسُره بالضم فسرا وفسره أبانه والتفسير مثله[3].

وعند بعض العلماء يوجد بينهما فرق طفيف، يدل على هذا ما جاء في اللسان نقلاً عن ابن الأعرابي: الفسر: كشف المغطي، والتفسير؛ كشف المراد من اللفظ المشكل[4]. وقال بهذا الفرق صاحب التحرير والتنوير ونسبه إلى الراغب الأصباني وصاحب البصائر[5]. ولعل هؤلاء يقصدون أن الفسر يستعمل غالباً في الحسيات والتفسير يستعمل في المعاني، ومن الثاني ما يفهم به كتاب الله تعالى القرآن الكريم، وهو المتداول والمستعمل عند جمهور المفسرين. قال العلامة الزركشي: والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال[6].

ب ـ التفسير في الاصطلاح؛ أعني في اصطلاح المفسرين:

جاء تعريف التفسير في الاصطلاح عن كثير من العلماء بعبارات مختلفة إيجازاً وإسهاباً وعموماً وخصوصاً، وأوجز تعريفاتهم وأسهلها وأولاها ما ذكره الذهبي ونسبه لابن سلامة وذكره أيضاً صاحب مناهل العرفان.

---

(1) أي أنه من باب ضرب يضرب على وزن فعل يفعل ومن باب نصر على وزن فعل يفعل.
(2) ج 2، ص 114.
(3) ج 6، ص 361.
(4) ج 6، ص 362.
(5) التحرير والتنوير، ج 1، ص 5.
(6) ج 2، ص 147 من البرهان.

1 - وهو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية.

شرح التعريف وبيان محترزاته:

فقولنا: علم جنس في التعريف يشمل سائر العلوم والتفسير من جملتها والمراد من العلم؛ المعارف التصورية والتصديقية، قال عبد الحكيم علي المطول: «إن علم التفسير من قبيل التصورات؛ لأن المقصود منه تصور معاني الألفاظ لأنه من قبيل التعاريف اللفظية». وقال السيد: «إن التفسير من قبيل التصديقات لأنه يتضمن حكماً على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني التي تذكر بجانبها في التفسير فيكون تصديقاً إذا علمنا أن التفسير إما تصور أو تصديق على رأي كل من الشيخين[1] كغيره من العلوم.

وقولنا يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم قد خرج به العلوم الباحثة عن أحوال غير القرآن الكريم مثل علوم الطب والهندسة، ونحوهما. وخرج بقولنا من حيث دلالته على مراد الله تعالى العلوم التي تبحث في أحوال القرآن الكريم من جهة غير جهة دلالته على مراده تعالى كعلم القراءات وعلم الرسم العثماني والكلام[2] والفقه[3]، ونحوها.

وقولنا بقدر الطاقة البشرية قيد ذكر لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير

---

(1) ذكر شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى أن العلماء اختلفوا في التفسير هل هو من العلوم التي يمكن أن تعرف أو لا فقال: يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يمكن أن يتكلف لها حد لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله. ويرى بعض آخر منهم أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد فيتكلف له التعريف فيذكر في ذلك علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن الكريم أهـ. من التفسير والمفسرين، ج 1، ص 15.

(2) وذلك لأن علم الكلام يبحث في القرآن من حيث كونه مخلوقاً أو غير مخلوق.

(3) وعلم الفقه يبحث في القرآن من حيث عدم جواز قراءته للجنب مثلاً.

الجهل بمعاني المتشابه، ولا عدم العلم بمراد الله تعالى في الواقع ونفس الأمر الذي لا يستطيع مسلم أن يدّعي أنه وصل إليه اللهم إلا ما نقل عن المعصوم ﷺ بالطرق الصحيحة، وهذا لا ينافي أن كثيراً من أقوال المفسرين موافقة لمراد الله تعالى، غير أننا لا ينبغي أو لا نستطيع أن نجزم بتلك الموافقة في كثير من الأحيان.

ويقرب من هذا التعريف ما نقله السيوطي عن الزركشي فقال:

2 ـ هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه.

3 ـ وقال أبو حيان في البحر: التفسير؛ علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[1]. ثم شرح التعريف ببيان محترزاته فقال: «فقولنا: علم جنس في التعريف يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم يشمل علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع، وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة وما دلالته عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عنه صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك هو معرفة النسخ وأسباب النزول وقصة توضح ما أبهم في القرآن.. أ.هـ من البحر المحيط ببعض التصرف.

4 ـ وذكر السيوطي تعريفاً آخر للتفسير نقلاً عن بعض العلماء فقال: إن التفسير في الاصطلاح هو: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب

---

(1) البحر المحيط؛ ج 2، ص 12 ـ 13.

النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها[1] أ. هـ .

وبنظرة فاحصة في هذه التعريفات الأربعة، نرى أنها وإن اختلفت من حيث الألفاظ، فهي متقاربة من حيث المعنى والغرض الذي تهدف إليه. غير أن السيوطي في التعريف الرابع توسع كثيراً فشمل علوماً لا شأن للمفسر بها وليس من اختصاصه البحث فيها، وكذلك تعريف أبي حيان الذي شمل علم القراءات والتجويد وعلوم العربية، وإنما وصفت هذين التعريفين بالتوسع لأن أهم ما ينبغي أن يقصده المفسر هو التماس هداية الله تعالى في كتابه وكلامه الحكيم وتوضيح تعاليمه وإبراز حكمه واستنباط أحكامه حتى يسهل فهم القرآن ويتيسر العمل به كما في التعريف الأول الذي اختاره صاحب المناهل ونقله الذهبي عن منهج الفرقان وصدر به.

ج ـ التأويل في اللغة:

ورد لفظ التأويل وما تصرف منه في كثير من الآيات القرآنية يدل على معان مختلفة حسب مورده، وهي إحدى عشرة آية في سور متعددة[2]، بينما لم يرد لفظ التفسير في القرآن إلا في آية واحدة في سورة الفرقان كما تقدم تقريباً.

وهو في اللغة مصدر من أول الكلام ـ المتعدي ـ أي أرجعه، واللازم منه آل. تقول: آل الكلام أي رجع فتأويل الكلام؛ إما ما أوله إليه المتكلم أو ما يؤول إليه الكلام نفسه. قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: التأويل من الأول وهو الرجوع إلى الأصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه وذلك هو رد

---

(1) الإتقان، ص 169.

(2) منها في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾، وفي سورة النساء الآية 59، وفي الأعراف الآية 53، وفي سورة يونس الآية39، وفي سورة الكهف الآيتان78، 82.

الشيء إلى الغاية المرادة منه[1].

ج ـ وقال في القاموس المحيط: آل إليه أوْلاً ومآلا وعنه رجع وإليه ارتد.. إلى أن قال: وأول الكلام تأويلاً وتأوله دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة الرؤيا[2].

د ـ وجاء في لسان العرب ما نصه «الأَوْل: الرجع؛ آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجع، وأول الشيء رجعه، وآلت عن الشيء ارتددت. وفي الحديث: من صام الدهر فلا صام ولا آل. أي ولا رجع إلى خير. ثم قال: وأول الكلام وتأوله دبره وقدّره، وأوّله وتأوّله فسره»[3].

هذه النصوص الثلاثة الواردة عن أهل اللغة تدل في وضوح على أن التأويل في اللغة بمعنى التفسير سواء بسواء أي أنه الإيضاح والبيان.. الخ ما تقدم في التفسير. قال الزركشي: «وإنما بنوه على التفعيل للدلالة على التكثير والمبالغة»[4].

د ـ التأويل في الاصطلاح:

وأما التأويل في الاصطلاح فقد اختلف فيه العلماء على رأيين: رأي السلف ورأي المتأخرين أو الخلف.

أما السلف فيقولون: إن تأويل الكلام هو تفسيره وبيان معناه المقصود منه وهو ما عناه ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان)، حين يقول: اختلف أهل التأويل في هذه الآية، ويقول: القول في تأويل هذه الآية كذا وكذا[5].

---

(1) ص 31.

(2) مفردات القرآن، ص 31، ج 341.

(3) ج 13، ص 33 ـ 34.

(4) البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 143.

(5) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 17.

وهذا هو المعنى المقصود من كلام التابعي مجاهد بن جبر في قوله: إن العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن[1]. وعلى هذا التعريف أعني تعريف السلف فالتأويل والتفسير بمعنى واحد أي أنهما مترادفان ومتساويان معنى ولا اختلاف بينهما إلا في اللفظ فقط.

التأويل عند المتأخرين هو صرف الكلام أو اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به وهو ما اشتهر عند علماء الفقه وأصوله وعند المتكلمين حين يقول الواحد منهم هذا النص أو الحديث مؤول أو فيه نوع تأويل، وهذا المعنى غير مراد عند المفسرين لكتاب الله تعالى حين يعبرون بالتأويل في بحوثهم التفسيرية.

هـ ـ النسبة بين التفسير والتأويل وخلاف العلماء فيها:

يقصد من النسبة العلاقة والفرق بين اللفظين ـ التفسير والتأويل ـ ومدلول كل منهما عند العلماء، وذلك لأنهما إما أن يكونا متساويين أو متباينين أو بينهما العموم والخصوص بكل واحد من هذه الاحتمالات قال فريق أو بعض من العلماء، وفيما يلي تفصيل هذه الأقوال وبيان الراجح منها ودليل ترجيحه:

* ـ القول الأول: وهو القائل بالتساوي والترادف بين التفسير والتأويل؛ قال به من العلماء المتقدمين ابن الأعرابي[2] وأبو عبيدة القاسم بن سلام، وظاهر صنيع ابن جرير الطبري[3] في تفسيره، وكذلك الزمخشري والنسفي[3]، والبيضاوي والقاسمي وغيرهم ومال إليه صاحب التحرير والتنوير[3].

* القول الثاني: أخذ بالاحتمال الثاني وهو التباين والتغاير والاختلاف و

---

(1) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(2) اسمه محمد بن زياد إمام لغوي وصف بالورع والصلاح وكان عالماً بالأنساب وأيام العرب، توفي سنة 231 هـ، انتهى من تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج 2، ص 295.

(3) يظهر هذا جلياً من أسماء تفاسيرهم المشهورة.

الكلي بين التفسير والتأويل، قال به وذهب إليه كثير من العلماء باعتبارات مختلفة وصححه الزركشي في البرهان، ورجحه الذهبي[1].

* وفيما يلي بيان من قال به من العلماء مع ذكر اعتبار التباين بين اللفظين، ملاحظين المعنى الذي قصد بكل منهما:

أ ـ نقل عن أبي منصور الماتريدي قوله: التفسير؛ القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله بأنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه. والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله[2].

ب ـ قال أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي: التأويل؛ صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها[3].

ج ـ قال بعض العلماء: إن التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية ولعله المقصود من كلام أبي نصر القشيري: التفسير مقصور على الإتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل[4]، وعلى هذا فالتفسير هو المأثور عن النبي ﷺ وصحابته لا غير، والتأويل هو ما يعرف بالتفسير بالرأي والاجتهاد وهو المعنى من الاستنباط.

د ـ قال أبو طالب الثعلبي: إن التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق والصيب وبالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ.

(1) وقال الذهب مشيراً إليه وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير، ص 19، من التفسير والمفسرون، ج 1.

(2) الإتقان، ج 4، ص 167.

(3) قاله الذهبي في التفسير والمفسرون نقلاً عن البغوي، ج 1، ص 21.

(4) الاتقان، ج 4، ص 168.

فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد. ثم أتى بمثال فقال: مثاله؛ قوله تعالى في الآية 14 من سورة الفجر «إن ربك لبالمرصاد» تفسيره (أي تفسير المرصاد) أنه من الرصد، يقال رصدته؛ راقبته والمرصاد مفعال منه، وتأويله؛ التحذير من التهاون في أمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه[1].

هـ ـ ما رجحه العلامة الألوسي في تفسيره ـ روح المعاني ـ قائلاً: «إن التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة. ثم قال معقباً على هذا الكلام وبعد استعراض الأقوال السالفة وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه مخالف للعرف اليوم إذ قد تعورف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف[2] العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك، وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة فلا أظنك في مرية من رد هذه الأقوال أو بوجه ما فلا أراك ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعاً وفي كل إرجاع كشفاً فافهم»[3].

* القول الثالث: في الاحتمال الثالث وهو أن النسبة بين التفسير والتأويل هي العموم والخصوص المطلق، قال به الراغب الأصبهاني فبين أن التفسير أعم مطلقاً من التأويل لأن التفسير عنده أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها، وبالتالي أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل أما التأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية خاصة والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[4].

---

(1) انظر الإتقان؛ ج 4، ص 168.

(2) السجف: الستر؛ القاموس المحيط، ج 3، ص 155.

(3) روح المعاني، ج 1، ص 5.

(4) انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ص 19 ـ 20،ج 1. والإتقان للسيوطي، ج 2، ص 167. ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص 327.

أرجح الأقوال ودليل ترجيحه:

نظراً لما تقدم في بيان معنى التفسير والتأويل لغة وفي أقوال مشاهير العلماء والآثار المروية عن السلف، أرى أن أرجح الأقوال أولها، ويليه الثاني.

أما الأول وهو القائل بالتساوي فتؤيده اللغة وبعض الآثار عن السلف، وقد علمنا فيما سبق من يقول به من العلماء وأن الشيخ الطاهر ابن عاشور قد مال إليه وأيضاً علمنا النصوص المنقولة عن أهل اللغة الشاهدة بالتساوي بينهما. ومن الآثار المروية عن السلف الدالة على ترجيحه ما يلي:

أ - قوله ﷺ، في دعائه لابن عمه عبدالله بن عباس (رضي الله تعالى عنهما): «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، أي فهم القرآن[1] وتفسيره وتوضيحه للناس ومن المستبعد أن النبي ﷺ يقصد من التأويل ما كان بطريق الإشارة أو المتشابه أو غيرهما مما قال به الذاهبون إلى القول بالتباين.

ب - ما نقل عن السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها وعن أبيها)، أنها قالت: كان ﷺ يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي بتأويل القرآن[2] أي يعمل بقوله تعالى: «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً»؛ فجمع ﷺ في دعائه بين التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب، وطلب المغفرة. فقولها رضي الله تعالى عنها: يتأول القرآن صريح في أنه ﷺ فسّر الآية بالظاهر والمتبادر ولم يحملها ﷺ على ما تشير إليه وهو ما روي عن ابن عباس وعمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنهما) من أنها تشير إلى قرب انتهاء عمره الشريف ﷺ[3].

وأما القول الثاني وهو القائل بالتباين فقد تقدم أن الزركشي قد صححه

---

(1) انظر إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، ص 41، الطبعة اورلى، جامعة قار يونس.

(2) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج 1، ص 11.

(3) نفس المرجع السابق.

ورجحه الألوسي وأيده أستاذنا الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي قائلاً: «والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية. ثم بيّن سبب اختياره فقال: «وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن المعصوم - رسول الله ﷺ - أو عن أصحابه الذين شهدوا التنزيل، وعلموا ما أحاط بالوحي من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ﷺ، ورجعوا إليه فما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

أما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاحتمال ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها حسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعنى من ذلك بأسره»(1).

ثانياً - فضل التفسير والحاجة إليه واستمداده:

1 - فضله والحاجة إليه:

علم تفسير القرآن الكريم من أشرف العلوم الإسلامية وأعلاها قدراً، وذلك لشرف موضوعه وشدة حاجة الناس إليه وسموّ غايته لأن العلم - أيّ علم كان - إنما يشرف ويسمو بشرف موضوعه وسموّه وشدة الحاجة إليه ومدى فخامة غايته المرجوة من دراسته وفهمه. وموضوع علم التفسير هو القرآن الكريم - كلام الله تعالى - مصدر الهداية، وينبوع الحكمة ومعدن الفضائل كلها. وغايته: الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والوصول إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. وأما شدة الحاجة إليه فلا شك أننا في أشد الحاجة إلى هذا العلم الجليل حتى تتحقق لنا الغاية السالفة الذكر وهي أمنية كل مسلم ومسلمة.

---

(1) من التفسير والمفسرون، بتصرف، ج 1، ص 22.

وإنما اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد له وأن يكون موافقاً لشرع الله تعالى وموافقة الشرع تتوقف على العلم بكتاب الله تعالى وهو المقصود بالتفسير وهو من العلوم التي أوجب الله تعالى على المسلمين تعلمها كما أوجب عليهم حفظ القرآن[1]. قال المولى تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[3]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[4].

فقد دلت الآية الأولى على أن القرآن أنزل للتدبر والتذكر كما حث الآيتان الأخريان على تدبّره وفهمه، وهذا الفهم وذلك التدبر لا يتيسران لكل أحد إلا بالتفسير والتأويل والاطلاع على مراد الله تعالى من كلامه بقدر الاستطاعة البشرية. قال السيوطي في الاتقان: «قد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجلّ العلوم»[5]. وقال الأصبهاني: «أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن»[6].

وفيما يلي روايات عن السلف تؤيد ما ذكرت وتؤكده:

1 ـ روي عن حبر الأمة وترجمان القرآن؛ عبدالله بن عباس (رضي الله تعالى عنهما) في قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾[7] قوله: «إن الحكمة في الآية هي المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله

---

(1) أي وجوباً كفائياً إذا قام به البعض سقط عن الباقين وإذا تركه الجميع أثموا كلهم.

(2) سورة ص، الآية 29.

(3) سورة النساء، الآية 82.

(4) سورة محمد، الآية 24.

(5) الإتقان، ج 4، ص 174.

(6) نفس المصدر السابق.

(7) سورة البقرة، الآية 269.

وحرامه وأمثاله»[1]. وفي رواية أخرى عنه رضي الله تعالى عنه مرفوعة إلى النبي ﷺ في نفس الآية أن الحكمة: القرآن. قال ابن العباس: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البرّ والفاجر[2].

2 ـ وفي رواية أخرى في الآية السالفة أن الحكمة هي قراءة القرآن والفكرة فيه؛ جاء هذا المعنى عن أبي الدرداء (من الصحابة) وعن مجاهد وقتادة وأبي العالية (من التابعين)[3].

3 ـ روي عن الحسن البصري من التابعين أيضاً أنه قال: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها»[4].

4 ـ قال السيوطي: «إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾[5]، فقالوا وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسره لهم النبي ﷺ أي فسر الظلم بالشرك واستدل عليه بقوله تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم» وكسؤال السيدة عائشة (رضي الله عنها وعن أبيها) عن الحساب اليسير فقال ذلك العرض اهـ[6].

2 ـ استمداد علم التفسير:

الاستمداد لغة: طلب المدد، والمراد به توقف العلم عن معلومات سابق وجودها قبله عند مدوّنيه لتكون عوناً لهم على تدوينه واتقانه. وعلم تفسير

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق أبي طلحة عنابن عباس.
(2) الإتقان، ج 4، ص 173.
(3) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء، وابن جرير الطبري.
(4) أخرجه أبو عبيدة عن الحسن، انظر الإتقان، ج 4، ص 172.
(5) سورة الأنعام، الآية 82.
(6) الإتقان، ج 4، ص 170.

القرآن الكريم مستمد من مجموع علوم اللغة العربية وقواعدها والآثار المروية عن النبي ﷺ وصحابته، وأخبار العرب وأصول الفقه وعلم القراءات وعلم العقائد الإسلامية.

والمقصود بعلوم العربية: معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسليقة والسجية كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للذين شافهوا العرب ودرسوا علوم اللسان العربي ومارسوها في العصور المختلفة فيما بعد عصر النبوة والصحابة، لأن القرآن كلام عربي فتكون قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الخلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة.

ويقصد بقواعد اللغة: مجموع متن اللغة والتصريف والنحو والبيان والمعاني مع الإطلاع على استعمال العرب مفردات العربية في أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم، ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي تحدّى به جميع العرب بل والإنس والجن كما يعلم من الإطلاع عليه في موضعه من علوم القرآن - في مبحث إعجاز القرآن - والله أعلم.

ثالثاً - مقاصد القرآن الكريم وإبراز الغاية من إنزاله والوحي به إلى الرسول ﷺ:

اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل كتابه الخاتم على رسوله العربي الأمي، وأن يختار اللسان العربي لكيون مظهراً لوحيه ومستودعاً لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولاً لشرعه وإبلاغ أمره لحكمة علمها، منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً وأكثرها تحملاً للمعاني مع إيجاز لفظه ووضوح دلالاته. فالعرب هم المخاطبون بالقرآن ابتداء قبل بقية أمة

الدعوة(1) فكانت أحوالهم في المقدمة قال وكان الكثير من القرآن مقصوداً به خطابهم خاصة، وإصلاح أحوالهم في المقدمة قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(2)، وقال: ﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾(3). هذا مع العلم بأن أحكام القرآن ليست خاصة بهم، نزل القرآن بهذا وغيره على النبي محمد ﷺ في الوقت الذي كان فيه العرب في جاهليتهم يعبدون الأوثان ويتقربون إلى الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئاً وأدّت بالكثير منهم إلى نبذ الميعاد وإنكار اليوم الآخر وإلى التشبث بالعادات القبيحة والتقاليد الضالة.

جاء القرآن لإنقاذ العرب من مفاسد الجاهلية خاصة، ولإصلاح أحوال الناس عامة، رحمة بهم وليعلموا مراد الله منهم. قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(5). وقال: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(6). وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(7).

---

(1) أمة الدعوة هي جميع الناس وهي غير أمة الإجابة التي يقصد بها المؤمنين برسالته فقط.
(2) سورة هود، الآية 49.
(3) سورة الأنعام، الآيتان 157 ـ 158.
(4) سورة النحل، الآية 89.
(5) سورة الإسراء، الآية 9.
(6) سورة المائدة، الآيتان 15ـ 16.
(7) سورة الحديد، الآية 9.

فكان المقصود الأعلى من إنزال القرآن هو إصلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية للناس جميعاً. أما الإصلاح الفردي فالمقصود منه تهذيب النفس الإنسانية وتزكيتها ورأس الأمر فيه إصلاح الاعتقاد لكونه مصدر الآداب والسلوك السوي[1]. وأما الإصلاح الجماعي فيحصل من الإصلاح الفردي.

فهذه الآيات التي ذكرت ومثيلاتها تدل في وضوح على أن القرآن أنزل ليكون هادياً للناس ومرشداً إلى الخير والسعادة في الدارين، هذا بالإضافة إلى كونه معجزة خالدة ناطقة بصدق من أنزل عليه في كل ما يخبر ويبلغ عن ربه عزّ وجلّ، وليجعله المسلمون قربة يتقربون بتلاوته وتدبره في الصلاة وخارجها.

وفيما يلي خلاصة للمقاصد الأساسية من إنزال القرآن وهي تسع[2]:

الأول ـ إصلاح الاعتقاد بتعليم العقائد الصحيحة؛ وهو أعظم إصلاح للفرد المسلم لأنه يزيل عنه الإذعان والتوجه لغير الله تعالى ويطهر القلوب من الأوهام الناشئة من الشرك المنتشر في الجاهلية ومن الآيات الدالة على هذا المقصد قوله تعالى في شأن عبادة الأوثان ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[3].

الثاني ـ تهذيب الأخلاق وتطهير النفوس من الرذائل وذميم الأخلاق؛ ومن الآيات الدالة على هذا المقصد قوله تعالى في حق الرسول الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4] وأمرنا عزّ وجلّ بالإقتداء والتأسي به في قوله

---

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج 1، ص 32 ـ 33 بتصرف.

(2) من الملاحظ على هذه المقاصد التسع التي سأذكرها أن بعضها يعتبر تلخيصاً لما أجمل سابقاً وبعضها يعتبر تفصيلاً له.

(3) سورة هود، الآية 101، والتتبيت: التخسير وهو حاصل للمشركين من جراء اعتقادهم في الآلهة الباطلة.

(4) سورة القلم، الآية 4.

تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾(1).

وقد فسرت السيدة عائشة (رضي الله تعالى عنها وعن أبيها) خُلق رسول الله ﷺ بقولها: «كان خُلقه القرآن»(2)، أي العمل بما في القرآن من الدعوة والإرشاد إلى التمسك بمكارم الأخلاق وهوما عناه الرسول ﷺ بقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(3).

الثالث - التشريع؛ وهو جانب الأحكام الشرعية في القرآن لإقامة العدل والإنصاف بين البشر في جميع نواحي الحياة بعد تنظيم علاقتهم بخالقهم جلّ شأنه، الأمر الذي يكفل لهم الحياة السعيدة الكريمة للفرد والمجتمع. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾(4)، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(5)، وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(6).

الرابع - دعى المؤمنين إلى السعي في الأرض ابتغاء الرزق وسد حاجتهم من القوت؛ فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(7). وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.
(2) أخرجه أحمد عن الحسن من مختصر تفسير ابن كثير جـ 3 ص 533.
(3) رواه البزار بسند حسن اهـ. من الأدب النبوي ص 128.
(4) سورة النساء، الآية 105.
(5) سورة المائدة، الآية 48.
(6) سورة النساء، الآية 65.
(7) سورة الملك، الآية 15.

﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[1]. ثم دعاهم إلى التوسط في الإنفاق وإلى الابتعاد عن الإسراف والتقتير، فقال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾[2].

الخامس - إصلاح الأمة وسياستها وحفظ نظامها من عدة وجوه؛ فدعا المسلمين جميعاً إلى الإتحاد والتوافق والتعاون والاعتصام بحبل الله جميعاً، وكذلك أمر بترابط أفراد الأسرة الواحدة وأوجب على المسلمين برّ الوالدين وصلة ذوي القربى والإحسان إليهم ثم عمّم الأمر بالترابط بين أفراد المجتمع المسلم، ثم بين طوائف الإنسانية جميعها وضرب المثل الأعلى في هذا فقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[3]، ووضع الحدود والزواجر الكفيلة بردع أولئك الذين يفككون المجتمعات ويفسدون في الأرض بغير الحق.

السادس الدعوة إلى الأسوة الحسنة وإلى الاقتداء بالأنبياء السابقين وبالصالحين من أتباعهم؛ ولأجل هذه الدعوة ذكر القرآن الكريم قصص الأمم الخالية والأنبياء السابقين، فقال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[4]، وقال تعالى مشيراً إلى عدد من الأنبياء تقدم ذكرهم في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[5]. وللتحذير من مساوىء الكافرين والظالمين، قال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ

---

(1) سورة الجمعة، الآية 10.

(2) سورة الإسراء، الآية 29.

(3) سورة الممتحنة، الآية 8.

(4) سورة يوسف، الآية 3.

(5) سورة الأنعام، الآية 90.

فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[1].

السابع - الإنذار والتبشير والمواعظ؛ ويجمع هذا المقصد كل الآيات الواردة في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، ومما يتبع هذا الغرض آيات المحاجة ومجادلة الجاحدين والمعاندين من الكفرة والملحدين الذين تصدوا لمعارضة دعوة الأنبياء والرسل السابقين.

الثامن - الإعجاز بألفاظ الآيات القرآنية ومعانيها وتأييد الرسول الكريم محمد ﷺ في دعوته وهو معنى قول العلماء إن القرآن الكريم آية دالة على صدق الرسول ﷺ هي من أهم مقاصد القرآن. فقد تحدّى القرآن العرب صراحة على أن يأتوا بأقصر سورة من مثله فعجزوا عن آخرهم، وجاءت بعدهم أجيال وأجيال من عرب وعجم وكلهم قد باءوا بالعجز ولم يستطع أحد منهم المعارضة إلى يومنا هذا وسيستمر العجز مدى الدهر تحقيقاً لوعد الله الذي لا يخلف الميعاد فدلّ هذا على أن القرآن من عند الله تعالى وأن محمداً ﷺ صادق في كل ما يبلغ عن ربه عزّ وجلّ.

التاسع - التعبد بتلاوته؛ من مقاصد القرآن أن يتعبّد الله تعالى الناس بتلاوته ويقربهم إلى حضرته ورحمته بقراءة كلامه ويأجرهم على مجرد ترداده ولو من غير فهم فإذا انضمّ إلى التلاوة فهم زادهم أجراً على أجر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2]. والتعبد بالتلاوة يكون في الصلاة وخارجها أما في الصلاة فظاهر لما علم أن الصلاة لا تصح بدون قراءة،

(1) سورة إبراهيم، الآية 45.
(2) سورة فاطر، الآيتان 29 - 30.

وأما في غير الصلاة فقراءة القرآن مطلوبة ومرغب فيها كما تدل الآية السابقة وغيرها ولقوله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»(١).

١- إصلاح العقيدة
٢- تهذيب الأخلاق
3 التشريع من صلاحية الأحكام الشرعية
٤ دعوة المؤمنين إلى السعي في الأرض وطلب الرزق
5 إصلاح الأمة وسياستها وحفظها من عدة وجوه
6- الدعوة إلى الأسوة الحسنة والإقتداء بالأنبياء والرسل
7 الإنذار والإخبار بالغيب والتبشير
8 الإعجاز والوعظ
9 التعبد بتلاوته

١- إصلاح العقيدة
٢- تهذيب الأخلاق
3- التشريع والأحكام الشرعية
٤ الأسوة الحسنة والإقتداء بالأنبياء
5 الوعظ والإرشاد والإنذار

(1) الحديث رواه الترمذي عن عبدالله بن مسعود (رضي الله تعالى عنه) وقال حسن صحيح.

6 الإعجاز بلفظه
7 التعبد بتلاوته
8 إصلاح [illegible] الأمة

أسئلة تطبيقية للاستذكار والتحصيل

س 1: بيِّن معنى التفسير في اللغة واذكر فعله مبيناً الفرق بينه وبين المخفف وهو الفسر، وهل التضعيف فيه للتعدية؟ وما الحكمة في اختياره للتعبير به عن العلم الذي يبين معاني كلام الله تعالى دون المخفف مع الاستعانة والاستشهاد بكلام أهل اللغة.

س 2: ما المعنى الاصطلاحي للتفسير؟ مبيناً خلاف العلماء فيه وأولى تعريفاتهم بالاعتبار في نظرك مع شرح التعريف الذي تختاره وبيان محترزاته.

س 3: اذكر معنى التأويل في اللغة مبيناً فعله مع الاستشهاد بكلام أهل اللغة في بيانه ثم بين مواضع وروده في القرآن وهل التأويل بمعنى التفسير لغة أو مختلفاً عنه؟

س 4: بيّن معنى التأويل في الاصطلاح عند السلف وغيرهم مع ذكر النسبة والعلاقة بينه وبين التفسير على القولين، وخلاف العلماء في بيانها وبيان المرجح من أقوالهم ودليل ترجيحه.

س5: بيّن فضل علم التفسير مبرزاً موقعه بين سائر العلوم وعلى أي شيء بني تفضيل هذا العلم ثم بين الغاية من دراسته وحاجة الناس إليه مستدلاً على ما تذكر بآيات القرآن الكريم وأقوال الصحابة والعلماء.

س 6: مم استُمدَّ علم التفسير؟ وما معنى استمداد أي علم من العلوم؟

س 7: ما الغرض والقصد الذي من أجله أنزل القرآن على سبيل الإجمال؟ ثم بيّن المقاصد بالتفصيل والتمثيل لكل مقصد منها تذكره من الآيات القرآنية الشاهدة على ما تذكر.

الباب الأول

أصول التفسير النقلية
من القرآن ومن السنة المرفوعة ومن أقوال الصحابة

تمهيـد

نزل القرآن الكريم علي النبي العربي الأمي ﷺ وقومه العرب الأميين في وقت وصلت فيه لغتهم العربية إلى درجة عالية من الفصاحة والبلاغة؛ فكان من الطبيعي أن يكون القرآن الذي أعجز هؤلاء العرب في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وكان أسلوبه يشتمل على ما تشتمل عليه لغة هؤلاء العرب من المعاني والدلالات المختلفة كالحقيقة والمجاز والتصريح والكناية والإيجاز والأطناب والمساواة وما إلى ذلك وقد احتاج المسلمون إلى تفسير ما غمض على بعضهم من هذه المعاني والدلالات هذا مع العلم بأن تفسير القرآن كغيره من العلوم الإسلامية الناشئة مرّ بمراحل متعددة وخطا خطوات متميزة منذ نشأته في عهد الرسول ﷺ وتطوره فيما بعد في العصور اللاحقة. وسيرى القارىء في أصول التفسير أن المراحل التي مرّ بها التفسير حقب زمنة قد تطول وقد تقصر مثل الخطوات غير أن الخطوات علمية وهي أيضاً قد تطول حتى تشمل الخطوة الواحدة مرحلتين من مراحل التفسير مثل مرحلته في عهد النبي ﷺ والصحابة ومرحلته في عصر التابعين فقد مر بهاتين المرحلتين الزمنيتين وهو لا زال ينقل نقلاً شفهياً في خطوته الأولى التي استمرت منذ نشأته حتى سنة 132 هـ[1]، كما سيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على خطوات التفسير بالتفصيل - إن شاء الله تعالى - في الفصل الثاني من الباب الثاني.

---

(1) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 140.

موقف النبي ﷺ وصحابته الكرام من التفسير وفهم القرآن

أولاً ـ فهم النبي ﷺ:

من المسلم به ومن الطبيعي أن يفهم النبي ﷺ القرآن المنزل عليه جملة وتفصيلاً تحقيقاً لوظيفته التي كلفه الله تعالى بها من بيان القرآن للناس في قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

ثانياً ـ مدى فهم الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن:

أما الصحابة الكرام فهم وإن كانوا عرباً خلصاً فإنهم في حاجة ماسة إلى الرسول ﷺ في كثير من الأحيان ليبين لهم ما غمض عليهم من معاني القرآن الكريم لهذا ولغيره فهم متفاوتون تفاوتاً كبيراً في العلم بالتفسير لأن معاني القرآن لا يحيط بها إلا منزّله عزّ وجلّ، ومن شاء أن يطلعه عليها من خلقه إذ أنهم يفهمونه في الجملة وأما التابعون وأتباعهم فهم أحوج من الصحابة إلى تفسير القرآن لزيادة الغموض عليهم في فهم كثير من الآيات فاتجهوا إلى مشايخهم من الصحابة ليبينوا لهم ما غمض عليهم من التفسير وغيره يدل لهذا ويؤكده قول ابن قتيبة في هذا الشأن: «إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل إن بعضها يفضل في ذلك عن بعض»[2].

من هنا يمكنني أن أقول: إن أصول التفسير النقلية تعني حالة التفسير في مرحلتيه الأولى في عصر النبي وصحابته ـ والثانية في عصر تابعيهم وهو لا يزال في خطوته الأولى ـ خطوة النقل الشفهي قبل التدوين وبعض الثانية وهو بداية التدوين وهو ما يعرف جميعه بالتفسير المأثور. أما التفسير فقد تقدم شرحه في المدخل وأما لفظ المأثور فهو المنقول من قولهم أثرت الحديث أثراً أي نقلته

---

(1) سورة النحل، الآية 44.

(2) مباحث من علوم القرآن للدكتور خليل مناع القطان، ص 346، نقلاً عن كتاب التفسير معالم حياته منهجه اليوم ص 6، نقلاً عن المسائل والأجوبة لابن قتيبة ص 8.

وريونه والمأثور من التفسير من حيث هو لا يخلو حاله من أمرين إما متواتر أو غير متواتر. أما المتواتر فهو المأخوذ من القرآن نفسه أو من السنة المتواترة. وأما غير المتواتر فهو المنقول آحاداً عن النبي ﷺ أو عن صحابته مطلقاً أو عن علماء تابعيهم كذلك[1]. وعلى هذا فالتفسير في نشأته وفي أول أمره كان ينبع من هذه الأصول الأربعة وهي القرآن والسنة المرفوعة وأقوال الصحابة وأقوال التابعين[2].

وفي الفصول الآتية تفصيل هذه الأصول على الترتيب في الأهمية والقيمة العلمية:

---

(1) أي مطلقاً والمراد المتواتر وغير المتواتر مثل تفسير الصحابة.

(2) اعتبرت تفسير التابعين من التفسير بالمأثور لأني وجدت الكتب المؤلفة في هذا اللون من التفسير كتفسير الطبري والدر المنثور اشتملت على تفسير التابعين إلى جانب الأنواع الثلاثة الأولى، انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 153.

الفصل الأول

تفسير القرآن بالقرآن

وهو تفسير بعض آيات من القرآن الكريم بما ورد في القرآن نفسه؛ فإن القرآن - كما قرر العلماء - يفسر بعضه بعضاً[1]، لأننا نقرأ في آيات مجملة[2] وأخرى موجزة وما أجمل في سورة تجده أحياناً قد بيّن في سورة أخرى، وما كان موجزاً سورة تجده أحياناً قد بُسّط وأسهب في سورة أخرى، وأيضاً نجد في القرآن اللفظ العام[3] واللفظ الخاص[4]، وكذلك نجد المطلق[5] والمقيد[6].

- فالآيات الدالة على العموم - أعني التي يوجد بها اللفظ العام - تفسر بالآيات المخصصة لها، وكذلك الآيات المطلقة - التي وورد فيها اللفظ المطلق - تفسرها الآيات الدالة على التقييد. من هنا قال العلماء: «لا بد لمن يريد تفسير

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد محمد أبو شهبة، ص 65.

(2) قال إمام الحرمين في الورقات: «المجمل ما يفتقر إلى البيان من قول أو فعل من جهة دلالته» ا. هـ. من ص 117، هامش إرشاد الفحول للشوكاني.

(3) العام هو اللفظ الموضوع وضعاً واحداً لمعنى واحد، زكي شعبان، ص 327.

(4) الخاص هو اللفظ الموضوع وضعاً واحداً للدلالة على معنى واحد على سبل الانفراد، المصدر السابق، ص 295.

(5) المطلق هو اللفظ الذي يدل على فرد أو أفراد غير معينة ولم يقترن به ما يدل على تقييده.

(6) المقيد هو اللفظ الذي يدل على فرد أو أفراد غير معينة واقترن به ما يدل على تقييده بصفة من الصفات هـ (3)، (4)، من المصدر السابق، ص 300.

القرآن أن ينظر في القرآن أولاً ليسترشد به في تفسير ما غمض عليه منه فيجمع ما تفرق فيه في الموضوع الواحد ويقابل الآيات المراد تفسيرها مع الآيات الأخرى الواردة في نفس الموضوع[1] ويتضح هذا أكثر في الأمثلة الآتية فيما بعد.

— هذا بالإضافة إلى التفسير بالقراءات وذلك لأن من الآيات القرآنية ما وردت فيها قراءات متعددة وهي قد يفسر بعضها ببعض.

— وأيضاً الجمع والتوفيق بين ما يتوهم أنه مختلف من الآيات اعتبر من تفسير القرآن بالقرآن، فهذه ستة أقسام كلها من تفسير القرآن بالقرآن[2]، وفي الأسطر التالية أمثلة لجميع هذه الأنواع:

أمثلة متنوعة من تفسير القرآن بالقرآن

النوع الأول ـ تفسير المجمل بالمبين ومن أمثلة هذا النوع ما يلي:

أ ـ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[3]. فسر المراد من اسم الموصول ـ الذين ـ بأهل الكتاب في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾[4].

ب ـ ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5]. بيّن المراد من الكلمات في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6].

---

(1) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 37.
(2) من أشهر الكتب المؤلفة في تفسير القرآن بالقرآن كتاب الشنقيطي المسمى «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن».
(3) الآية 27.
(4) الآية 44.
(5) الآية 37.
(6) الآية 23.

ج ـ قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[1]
فسر المقصود من الذي يتلى في قوله في نفس السورة ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾[2].

د ـ ومنه بيان المراد من الذين أنعم الله عليهم في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾. فقد بيّن في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[3].

النوع الثاني ـ تفسير الموجز بالمسهب، ومن أمثلته ما يلي:

أ ـ قصة خلق آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام وعداوة إبليس ـ عليه اللعنة ـ له وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم واستكبار إبليس عنه.. فقد ذكرت هذه القصة في القرآن أكثر من مرة بأساليب مختلفة من حيث الإيجاز والإطناب فنجدها مثلاً في سورة البقرة ذكرت موجزة في ثماني آيات ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾ الآية 30 إلى قوله في الآية 38: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. ثم ذكرت هذه القصة نفسها مسهبة مفصلة مرة أخرى في سورة الأعراف وهذا يعتبر تفسيراً للسابق فجاءت في 16 آية ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ . . . ﴾ الآية 11 إلى قوله: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ الآية 27.

---

(1) الآية 1.
(2) الآية 3.
(3) الآية 69.

ب ـ ومن أمثلته قصة أبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما جرى له مع قومه، فقد جاءت القصة في عدة سور من القرآن؛ فنجدها في سورة الأنبياء موجزة في إحدى وعشرين آية ابتداء من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الآية 51 إلى قوله في الآية 73 ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾. ثم ذكرت مرة أخرى مسهبة مفصلة في اثنتين وثلاثين آية من سورة الصافات ابتداء من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية 83 و﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ الآية 85 إلى قوله في الآية 113 ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾.

ج ـ قصة نبي الله ورسوله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام مع فرعون الطاغية؛ فقد تكرر ذكرها في القرآن في سور متعددة منها ما جاء في سورة الأعراف فيها إيجاز في تسع وستين آية ابتداء من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ... ﴾ الآية 103 إلى قوله: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الآية 171. ثم جاءت هذه القصة في سورة طه مسهبة مفصلة في ثمان وثمانين آية ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۞ إِذْ رَءَا نَارًا ... ﴾ الآيتان 9 ـ 10، إلى قوله في الآية 99: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾.

النوع الثالث ـ حمل العام على الخاص وتفسيره به؛ ومن أمثلته ما يلي:

أ ـ الآيات الدالة على نفي الشفاعة والخلة يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا[1] شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2]. ففي هذه الآية ونحوها قال العلماء: إنها ليست

---

(1) الخلة بضم الخاء مودة وصداقة خالصة ومنها الخليل وجمعه أخلاء. انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، ص 19.

(2) سورة البقرة، الآية 254.

على عمومها بل هي محمولة على الآيات المخصصة بالاستثناء مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(1)، وقوله تعالى ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾(2) فالنفي في آية البقرة ينبغي أن يستثنى منه المتقين عملاً بالآية الثانية المقيدة والتي استثنت المتقين وكذلك تستثني من أذن لهم الله في الشفاعة عملاً بالآية الثالثة المقيدة أيضاً.

ب ـ ومن أمثلة العام المفسر بالخاص قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(3)، فقد حملت هذه الآية على المخصصة وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾(4).

ج ـ ومنه قوله تعالى في بيان العدة: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾(5)، وهو حكم عام في جميع النساء المطلقات وهو مخصص بغير الحوامل منهن اللائي ورد حكمهن في قوله تعالى: ﴿ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(6).

النوع الرابع ـ حمل المطلق على المقيد وتفسيره به؛ ومن أمثلته ما يلي:

أ ـ قوله تعالى في آية التيمم: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم ﴾(7)، فإن مسح اليدين في هذه الآية جاء مطلقاً ولم يقيد بالمرافق

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 67.

(2) سورة النجم الآية 26.

(3) سورة النساء، الآية 122.

(4) سورة الشورى الآية 30، وانظر الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1، ص 39.

(5) سورة البقرة، الآية 228.

(6) سورة الطلاق، الآية 4.

(7) سورة المائدة، الآية 43.

وقد قيد في بيان حكم الوضوء في أول هذه الآية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[1].

ب) ومنه آية كفارة الظهار؛ وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾[2] فالرقبة في هذه الآية وردت مطلقة غير مقيدة بقيد الإيمان وهي محمولة على التقييد الوارد في آية كفارة القتل الخطأ عند الشافعية[3]، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[4].

ج ـ آيتا المواريث وهما قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ . . . ﴾[5]. فقد جاءت معظم الفروض فيهما مطلقة عن التقييد بعدم التوصية والدين وجاءت مقيدة بهذا القيد في ثلاثة مواضع فقط وهي ميراث الأم والأزواج والزوجات، وقد أجمع العلماء على أن الفروض المطلقة فيهما محمولة على التقييد بعدم وجود الوصية والدين على الهالك وهو معتبر في جميع الفرائض[6].

د) ومنه تحريم أكل الدم الوارد في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ . . ﴾[7]. ثم ورد في سورة الأنعام مقيداً بالمسفوح وهو الخارج عند سببه من ذبح أو جرح وقد حمل العلماء المطلق على

---

(1) سورة المائدة، الآية 6، ذكر هذا الحكم الشيخ الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 38، نقلاً عن مسلم الثبوت ج 1، ص 361، والظاهر أن التقييد بالسنة لا بالآية وذلك لاختلاف الحكم. انظر زكي شعبان، ص 305.

(2) سورة المجادلة، الآية 3.

(3) إرشاد الفحول، ص 165، وأصول الأحكام للآمدي، ج 3، ص 5.

(4) سورة النساء، الآية 92.

(5) سورة النساء، الآية 11.

(6) انظر إرشاد الفحول في علم الأصول، ص 166.

(7) سورة البقرة، الآية 173.

المقيد وفسروه به ولم يحرموا من الدم إلا ما كان مسفوحاً[1].

ومنه تقييد إحباط العمل وإبطاله بالردة جاء مطلقاً في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وجاء مقيداً بالموت على الكفر في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

النوع الخامس:

القراءات المختلفة يفسر بعضها ببعض؛ وذلك لأن من القراءات المتعددة في الآية الواحدة ما تختلف في بعض المعاني أو الألفاظ بزيادة بعض الألفاظ في قراءة دون أخرى في الآية. وقد اعتبر العلماء حمل القراءات بعضها على بعض ليتضح المعنى المراد من باب تفسير القرآن بالقرآن واعتبروه مرجعاً مهماً من مراجعه. قال شيخنا الدكتور محمد حسين الذهبي: «ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن ما روي عن مجاهد أنه قال لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه»[4].

ومن أمثلة تفسير القراءات بعضها ببعض ما يلي:

أ ـ من الاختلاف بين القراءتين في اللفظ والمعنى جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]. فالسعي المأمور به في هذه الآية معناه لغة السير

---

(1) تفسير آيات الأحكام، ج 1، ص 45 بإشراف الشيخ علي السايس.

(2) سورة المائدة، الآية 5.

(3) سورة البقرة، الآية 217.

(4) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 41، نقلاً عن كتاب نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص 162.

(5) سورة الجمعة، الآية 9.

السريع وليس بمراد وإن كان ظاهر اللفظ يشهد له، وإنما المراد مطلق المشي والتوجه إلى الصلاة والذكر وهو المعنى الصريح في قراءة عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه): فامضوا إلى ذكر الله ودل عليه وأيده قول الرسول ﷺ: «إذ نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»[1]. وفي حديث آخر: «إذا ثوب بالصلاة فلا يسع لها أحدكم ولكن ليمش وعليه السكينة والوقار.. » الحديث[2].

ب ـ ومن الاختلاف في اللفظ فقط قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾[3]. وقد فسر المراد من الزخرف وهو الذهب بقراءة عبدالله بن مسعود (رضي الله تعالى عنه): «أو يكون لك بيت من ذهب.. » الآية.

ج ـ ومن الاختلاف بزيادة لفظ: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4]. فسرت هذه الآية وبينت المراد من قوله فضلاً من ربكم بقراءة منسوبة لابن عباس وفيها زيادة توضح المعنى المراد، وهي: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج»، وذلك لأن الآية نزلت حين ساور بعض المسلمين حرج من الصفق في أسواق الحج لرفع الحرج. ومن الملاحظة على القراءات الشاذة التي اعتمدها العلماء كتفسير للقرآن بالقرآن ذكرها شيخنا الذهبي فقال: «وهنا تختلف أنظار العلماء في مثل هذه القراءات فقال بعض المتأخرين إنها من أوجه القرآن، وقال غيرهم إنها ليست قرآنا بل هي من قبل التفسير المدرج من قبل الصحابة وهذا هو الصواب، لأن الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، ص 709 ـ 710.

(2) رواه البخاري وأبو داود عن قتادة رضي الله تعالى عنه، التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول، ج 1، ص 252.

(3) سورة الإسراء، الآية 93.

(4) سورة البقرة، الآية 198.

إثبات التفسير بجانب القرآن فظنها بعض الناس لتطاول الزمن عليها من أوجه القراءات التي صحت عن رسول الله ﷺ ورواها عنه أصحابه. انتهى[1].

النوع السادس ـ الجمع بين ما يوهم أنه مختلف من الآيات:

عدّ العلماء من تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين ما يوهم أنه مختلف من الآيات القرآنية[2]، ولهذا النوع أمثلة كثيرة في القرآن. وقبل ذكر الأمثلة ينبغي أن يعلم الطالب أن التناقض والاختلاف الحقيقي منفي قطعاً عن جميع آيات القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[3]. وأن أي كلامين ظاهرهما متناقض إذا أضفنا إلى أحدهما شيئاً من زمان أو مكان أو صفة ارتفع التناقض فليسا بمتناقضين، وقد ذكر الإمام الزركشي في البرهان أسباباً للاختلاف المتوهم بين الآيات تساعد القارىء والمفسر على ضبط الآيات الموهمة وحصرها في مجموعات ليتسنى له فهمها ويتيقظ للمعاني المناسبة في تفسيرها الذي يرفع التناقض والاختلاف المتوهم. وفي الأسطر التالية بيان لأهم الأسباب مصحوبة بالأمثلة مع التفسير والإيضاح:

أ ـ السبب الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وأطوار متعددة مع اتحاد الأصل المخبر عنه مثل الآيات الواردة في شأن خلق سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام. فقد ذكر الله تعالى أنه خلق آدم من تراب في قوله عز وجل ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4]. وذكر في آية ثانية أنه خلقه من طين لازب في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[5]. وفي آية ثالثة

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 40.

(2) المرجع السابق، ج 1، ص 39.

(3) سورة النساء، الآية 82.

(4) سورة آل عمران، الآية 58.

(5) سورة الصافات، الآية 11. واللازب هو الذي يلزم ما يجاوره ويلتصق به، التسهيل لعلوم التنزيل، ص 959.

ذكر أنه خلقه من صلصال كالفخار في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾(1). وجاء في آية رابعة أن الإنسان خلق من حمأ مسنون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾(2). فهذه الألفاظ الأربعة المذكورة في هذه الآيات وهي التراب والطين اللازب والصلصال والحمأ المسنون؛ وإن اختلفت في اللفظ والمعنى اللغوي، إلا أنها في الأصل ترجع إلى شيء واحد منها وهو التراب. وأما باقيها فتعتبر تطورات وأحوالاً للأول بمعنى أن الإنسان وهو أبونا آدم عليه السلام خلق من مادة واحدة مرت بأطوار متعددة فهي في أول أمرها تراب ثم صارت طيناً لازباً ثم حمأ مسنوناً ثم صارت صلصالاً كالفخار.

ب ـ السبب الثاني؛ اختلاف الموضوع المخبر عنه؛ وذلك مثل اختلاف المسؤول عنه في قوله تعالى: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾(3)، وقوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(4)، مع قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾(5)، وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(6)، لأن نفي الكلام يستلزم نفي السؤال، وبالنظر في هذه الآيات نرى أنه أثبت السؤال في آيتين ونفاه في آيتين والجواب أن السؤال المثبت غير السؤال المنفي، فانتفى

(1) سورة الرحمن، الآية 14، والصلصال الطين اليابس الذي إذا نقر يصوّت وإذا طبخ يسمى فخاراً، التسهيل لعلوم التنزيل، ص 339.

(2) سورة الحجر، الآية 28، الحمأ الطين الأسود والمسنون المتغير النتن، المصدر السابق.

(3) سورة الصافات، الآيات 22 ـ 24.

(4) سورة الحجر، الآية 92 ـ 93.

(5) سورة الرحمن، الآية 39.

(6) سورة البقرة، الآية 174.

التعارض والاختلاف وذلك لأن المثبت هو سؤال التعنيف والزجر والإهانة، والمنفي هو سؤال التلطف والرحمة والإكرام، فبان بهذا التوضيح أنه لا اختلاف ولا تناقض بين هذه الآيات[1]. وأجيب بجواب آخر حاصله أن في القيامة مواطن ومواقف مختلفة وفي بعضها يسألون ويناقشون ويحاسبون وفي بعضها لا يكون سؤال ولا مناقشة ولا كلام ولكل موطن ما يدل عليه من القرآن[2].

ومثل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[3]. مع قوله عزّ وجلّ في شأن الكفار يوم القيامة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[4]، وجمع بينهما باختلاف الزمن ومواطن يوم القيامة فهم لا يتساءلون في موطن أو في وقت ويتساءلون في موطن آخر وفي وقت آخر كما روي نحو هذا عن عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)[5].

ج ـ السبب الثالث؛ الاختلاف في الحقيقة والمجاز؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[6]. أثبت لهم السكر في ذلك الوقت ونفاه عنهم والمعنى المراد ـ والله أعلم ـ أن حالهم وقت قيام الساعة تشبه حال السكارى من شدة الفزع وهول الموقف وليسوا سكارى حقيقة بشرب الخمر المعروفة.

ومثل هذه الآية قوله تعالى في حق الكفار: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[7]، فقوله ينظرون إليك مجاز وقوله لا يبصرون حقيقة.

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي، وصحيح البخاري، ج 6، ص 160.
(2) مثل آيات الختم على أفواههم في سورة يس وغيرها.
(3) سورة المؤمنون، الآية 101.
(4) سورة الصافات، الآية 27.
(5) صحيح البخاري، ج 6، ص 15، ط. الشعب، والبرهان للزركشي، ج 2، ص 60.
(6) سورة الحج، الآية 2.
(7) سورة الأعراف، الآية 198.

وكذلك قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. والمعنى أنهم يقولون آمنا بألسنتهم وما هم بمؤمنين حقيقة بقلوبهم.

هذه أمثلة متنوعة مختارة من تفسير القرآن بالقرآن وهو أعلى أنواع التفسير لأنه تفسير بالمتواتر المنزل من الله عز وجل المتكلم بالقرآن. قال شيخنا الذهبي معلقاً على هذا اللون من التفسير: «هذا هو تفسير القرآن بالقرآن وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن، وليس هذا عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر وإنما هو عمل يقوم على كثير من النظر والتأمل والتدبر والتعقل؛ إذ ليس حمل المجمل على المبين أو المطلق على المقيد أو العام على الخاص أو إحدى القراءتين على الأخرى أو التوافق بين الآيتين أو الآيات التي توهم بظاهرها الاختلاف، بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة»[2].

بالله وباليوم الآخر

ومن الناس من يقول آمنا وما هم بمؤمنين

وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

---

(1) سورة البقرة، الآية 8.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 41.

أسئلة في هذا الفصل

س 1: تحدث بإيجاز عن نشأة التفسير متى كانت، مبيناً موقف النبي ﷺ وصحابته (رضي الله عنهم) من التفسير، ومدى فهمه ﷺ وفهمهم (رضي الله عنهم) للقرآن. وبماذا كان يسمى التفسير في ذلك العصر مع ذكر أنواعه التي شملها وأصوله التي ينبع منها في مرحلته الأولى.

س 2: أوضح المراد من تفسير القرآن بالقرآن، واذكر أنواعه التي اعتبرها العلماء منه، مع التمثيل لكل نوع بأمثلة مختلفة لا تقل عن ثلاثة لكل نوع، ثم بيّن أهمية هذا اللون من التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن.

الفصل الثاني
تفسير القرآن بالسنة المرفوعة[1]

السنة لغة: الطريقة المعتادة سواء كانت من الأمور المحمودة أم المذمومة كما جاء في الحديث المشهور. فسنة كل واحد ما تعود المحافظة عليه والإكثار منه[2]. والسنة المرفوعة اصطلاحاً: كل ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة من قول أو فعل أو تقرير أو صفة[3].

ومن هذا التعريف نعلم أن السنة ثلاثة أقسام[*] من حيث ذاتها: سنة قولية، وسنة فعلية، وسنة تقريرية. وهي بالنظر إلى روايتها ونقلها ثلاثة أقسام أيضاً سنة متواترة، وسنة مشهورة، وسنة أحادية[4].

---

(1) المرفوعة تعني الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ، وهي غير الموقوفة وهي أقوال الصحابة التي لم ينسبوها إليه ﷺ وغير المقطوعة وهي أقوال التابعين التي لم ينسبوها إلى الصحابة رضوان الله عليهم.

(2) من كتاب أصول الفقه للشيخ منصور الشيخ، ص 45، وإرشاد الفحول إلى علم الأصول، ص 39.

(3) قانون الرواية عند المحدثين، ص 46 بيعض تصرف للدكتور سيد محمد الحكيم ومحمد سيد.

(*) هذا على رأي علماء الأصول الذين لا يعتبرون من السنة إلا ما كان دليلاً على الأحكام والصفات ليست كذلك والتعريف على رأي المحدثين.

(4) هذا على رأي الحنفية وأما عند الجمهور فإن السنة قسمان فقط متواترة وآحاد ويدخلون المشهورة في الآحاد، انظر قانون الرواية عند المحدثين، ص 34 ومذكرات أصول الفقه للشيخ منصور الشيخ، ص 47.

أهمية السنة وعلاقتها بالقرآن:

السنة - كما قرر العلماء - هي الدعامة الثانية بعد القرآن الكريم لإقامة صرح التشريع الإسلامي الذي نظم حياة الفرد وحياة المجتمع وبيّن ما ينبغي في علاقة الناس بالله عز وجل وعلاقات الناس بعضهم ببعض وأمور المعاش والمعاد، ورسم لهذا كله أحسن القواعد وأقامه على أحكم الأسس وأفضلها. فالسنة متممة للقرآن تشرح عباراته وتفصل مجمله وتبين أهدافه. قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن السنة تفسّر الكتاب وتبينه»(1)، ولهذا أمر الله باتباع السنة كما أمر باتباع القرآن وحذر من مخالفتهما كما حذر من مخالفة القرآن. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾(2)، وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(3) ومن هنا قرر العلماء أن الكتاب والسنة صنوان يساعد كل منهما الآخر في إقامة صرح الإسلام وتثبيت قواعده. وإذا كان القرآن يحتل مكان الصدارة لأنه كلام الله ومتعبد بتلاوته ومتحدي ببلاغته فإن السنة تنبع من نفس المشكاة التي نبع منها فكل منهما موحى به من عند الله تعالى، إلا أن القرآن صدر من الله بلفظه ومعناه للإعجاز والتحدي وإثبات النبوة، أما السنة فإن الوحي وقع بمعناها فقط وأما ألفاظها فقد تركت للنبي ﷺ، يعبّر عن تلك المعاني الموحي بها بألفاظ من عنده بقصد الهداية والإرشاد وتوضيح وتفصيل ما أجمل في القرآن تحقيقاً لوظيفة النبي ﷺ المكلف بها من ربه عزّ وجلّ(4).

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 69.

(2) سورة آل عمران، الآيتان 31 ـ 32.

(3) سورة النور، الآية 63.

(4) قانون الرواية عند المحدثين بتصرف، ص 6 ـ 7.

المقدار الذي فسره ﷺ من القرآن:

النظر في هذه المسألة من جهتين؛ من جهة أقوال العلماء فيها قديماً وحديثاً، ومن جهة تحديد المرويات في التفسير فعلاً عن النبي ﷺ.

أما أقوال العلماء الأقدمين في بيان ما نقل من الأحاديث المرفوعة في التفسير فهي قولان:

القول الأول: يرى أصحابه أن النبي ﷺ قد بيّن لأصحابه جميع معاني القرآن كما بيّن ألفاظه، ومن هؤلاء ابن تيمية في كتابه «مقدمة في أصول التفسير»[1].

وقال أصحاب القول الثاني: أن النبي ﷺ لم يبيّن إلا القليل ومن هؤلاء السيوطي والخويي[2] ولكل من القولين أدلة. وفيما يلي بيان لأهم الأدلة ومناقشتها وبيان الراجح في المسألة:

استدل أصحاب القول الأول بالأدلة التالية:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] فإن البيان المذكور في الآية يتناول بيان معاني القرآن كما يتناول بيان ألفاظه. وقد بيّن ﷺ جميع ألفاظ القرآن فلا بد أن يكون مأموراً ببيان جميع معانيه أيضاً وإلا كان مقصراً في البيان المكلف به من الله تعالى.

(ب) بما روي عن أبي عبد الرحمن السلمي التابعي أنه قال حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود (رضي الله تعالى عنهما) وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى

---

(1) انظر المقدمة المذكورة، ص 5.

(2) الخوي بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء هو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الشافعي والخويي نسبة إلى خوي، مدينة بأذربيجان كان فقيهاً مناظراً وأستاذاً في الطب والحكمة توفي سنة 638 هـ، هامش الاتقان، ج 2، ص 151.

(3) سورة النحل، الآية 44.

يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا[1].

(ج) بما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) أنه قال: «من آخر ما نزل آية الربا، وأن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها»[2]، قالوا: دلّ هذا بالفحوى أنه ﷺ كان يفسر لهم كل ما نزل وأنه إنما لم يفسر لهم هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

أدلـة القول الثاني:

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة نقلية وأخرى عقلية، ومن النقلية:

(أ) ما أخرجه البزار بسنده عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله تعالى عنها) أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات بعدد علمه إياهن جبريل عليه السلام»[3].

ومن العقلية:

(ب) ما نقل عن الخويي رحمه الله تعالى من قوله: «إن علم التفسير عسير يسير أما عسره فظاهرمن وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان الوصول إليه بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمعه منه وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ وذلك متعذر إلا في آيات قلائل[4].

---

(1) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص 65.
(2) الاتقان للسيوطي، ج 1، ص 205.
(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج 1، ص 31، ومقدمة ابن عطية لتفسيره، المحرر الوجيز ص 262.
(4) انظر الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 171.

(ج) وقالوا أيضاً لو كان رسول الله ﷺ بيّن لأصحابه جميع معاني القرآن لما كان لتخصيص ابن عباس بالدعاء له بقوله عليه الصلاة والسلام «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فائدة، لأنه يلزم من بيان رسول الله ﷺ، كل معاني القرآن استواؤهم في معرفة تأويله فكيف يخصص ابن عباس بهذا الدعاء[1]، فيكون البيان مقصوراً على القليل.

مناقشة الأدلة وبيان الراجح في المسألة:

بالتأمل في أدلة الفريقين يتضح أنهما على طرفي نقيض، وأن كلاً منهما مبالغ في رأيه وأن أدلتهما لا تنتج المدعي لكل منهما ويتضح هذا من المناقشة التالية:

أولاً ـ مناقشة أدلة القول الأول:

أ ـ نلاحظ في دليلهم الأول وهو استدلالهم بالآية وقولهم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه جميع معاني القرآن لأنه مأمور بالبيان بمقتضى آية النحل استدلال غير صحيح لأنه ﷺ بيّن لأصحابه ما يحتاجون إلى بيانه وهو ما فيه إشكال عليهم من معاني القرآن فقط.

وأما غيرالمشكل عندهم فليس في حاجة إلى بيانه لأنه إما أن يكون من القرآن الذي يفهم معناه بمجرد قراءته وخصوصاً بالنسبة لهم رضوان الله عليهم وهو القسم الذي لا يعذر أحد بجهله، وإما «أن يكون مما استأثر الله بعلمه[2] فلم يبينه لهم الرسول أيضاً.

ب ـ وأما استدلالهم بما روي عن أبي عبد الرحمن السلمي[3] من أن عثمان

---

(1) التفسير والمفسرون، للشيخ محمد الذهبي، ج 1، ص 51.

(2) كالغيبيات مثل وقت خروج الدابة ووقت قيام الساعة ومعرفة معاني الحروف المفردة في أوائل السور.

(3) اسمه عبدالله بن حبيب بن ربيعة المقرىء من تلاميذ أمير المؤمنين عثمان بن عفان =

وابن مسعود رضي الله عنهما حدثنا بأن الصحابة كانوا إذا حفظوا عشر آيات لم يتجاوزوها. . . الحديث، فهذا أيضاً استدلال غير مسلم لأن تعلمهم لما ذكر في الحديث لا يلزم أن يكون من النبي ﷺ ومن الجائز بل من المؤكد أن يكون بعض علمهم هذا من تلقاء أنفسهم أو من إخوانهم صحابة رسول الله ﷺ الكرام الذين كانوا معهم[1].

ج ـ وأما دليلهم الثالث المتعلق بآية الربا التي هي من آخر القرآن نزولاً فهو أيضاً لا يدل لما ذهبوا إليه ولا يلزم من عدم تفسيره ﷺ هذه الآية أنه كان يفسر لهم جميع معاني آيات القرآن وذلك لاحتمال أن تكون آية الربا من الآيات التي اشكلت عليهم فكان لا بد من الرجوع فيها إليه ﷺ شأنها شأن غيرها من مشكلات القرآن[2]. قال شخينا الذهبي رحمه الله تعالى: «ومما يؤيد أن النبي ﷺ لم يفسركل معاني القرآن أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقع بينهم اختلاف في تأويل بعض الآيات ولو كان عندهم فيه نص شامل للقرآن كله عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف أو لارتفع بعد الوقوف على النص من المعصوم»[3].

ثانياً ـ مناقشة أدلة القول الثاني الذي يرى أصحابه أن الرسول ﷺ لم يبين إلا القليل من القرآن:

أما دليلهم الأول الذي استدلوا فيه بالحديثالمروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها فهو لا يصح الاستدلال به ولا يمكن الاعتماد عليه لكونه حديثاً منكراً وغريباً، إذ هو من حديث أبي جعفر الزبيري المطعون فيه. قال عنه

= وعلي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، توفي 72 هـ اهـ. تهذيب التهذيب لابن حجر ج 5 ص 183، والتفسير والمفسرون، ج 1، ص 49.

(1) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 52.

(2) نفس المرجع السابق، ص 54.

(3) المرجع السابق نفسه، ونفس الصفحة.

البخاري: لا يتابع في حديثه وقال الطبري أنه ممن لا يعرف في أهل الآثار. وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يصح الاستدلال به، وعلى فرض صحته فقد حمله العلماء على ما هو من المغيبات التي لا يتوصل إليها إلا بتوقيف منه ﷺ كما صرح بهذا أبو حيان في البحر وابن عطية والقرطبي في الجامع نقلاً عن ابن عطية الأندلسي[1].

وأما دليلهم الثاني ودليلهم الثالث فهما مبنيان على الاحتمال والترجيح بلا مرجع فلا يفيدان شيئاً في هذا الموضوع ولا يصح الاعتماد عليهما[2].

الرأي الراجح في المسألة ودليل ترجيحه:

بعدما علمنا أن كلا من القولين مغال في تصوره، وأن إثبات الدعوى بالأدلة التي أوردوها غير مسلم بها وغير صحيح؛ لذا ينبغي التوسط بين القولين، وهو أن يقال: أن النبي ﷺ بيّن الكثير من معاني آيات القرآن الكريم ولم يبينها كلها، كما يدعي أصحاب القول الأول ولم يقتصر على القليل كما يرى أصحاب القول الثاني، بل بيّن الكثير في نفسه وإن كان قليلاً بالنسبة لعدد آيات القرآن كما هو ظاهر. وقد ذهب إلى اختيار الوسط هذا صاحب البرهان واستحسنه شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى. قال الزركشي في معرض بيانه لمآخذ التفسير الأول: «النقل عن رسول الله ﷺ وهذا هو الطراز الأول لكن يجب الحذر من الضعيف فيه فإنه كثير... ثم يقول: وإلا فقد صح من ذلك كثير»[3].

وقال الذهبي: «إن الرسول ﷺ بيّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح[4]، ولم يبين معاني كل القرآن لأن من القرآن ما

(1) انظر البحر المحيط، ج 1، ص 13، والطبري، ج 1، ص 29، والقرطبي، ج 1، ص 31، ومقدمة ابن عطية لتفسيره، والمحرر الوجيز، ص 262.

(2) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 53.

(3) البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 156.

(4) فقد أورد البخاري في صحيحه كتاباً كاملاً من الأحاديث وهو كتاب التفسير استغرق حيزاً

استأثر الله بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته[1]. كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير.

هذا مع العلم بأن السنة كما تقدم شاملة للأفعال والتقريرات الصادرة منه ﷺ إلى جانب الأقوال وهما أي الأفعال والتقريرات لهما دور بارز في تفسير القرآن الكريم كما قرر ذلك الأصوليون فقالوا: إن كل فعل من أفعال الرسول اقترن به دليل دل على أنه يقصد به بيان خطاب سابق فإنه قائم مقام قوله في بيان المجمل وتخصيص العموم وتقييد المطلق من الكتاب ومثل الفعل التقرير كما فهم من كلامهم، ومن أمثلة الأفعال ما علم من أحواله ﷺ في بيان كيفية الصلاة والزكاة ومقاديرها ومناسك الحج[2]، ومن أمثلة التقرير ما روي في الصحيح أن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه كان مريضاً في غزوة فتيمم للصلاة وعليه جنابة ولم يعمل بمعارضة من كان معه من الصحابة واستدل بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[3] ثم لما رجعوا إلى المدينة فأخبروا النبي ﷺ ابتسم فأقره على فعله[4].

---

* كبيراً من صحيحه فقد جاء في شرحه ـ فتح الباري ـ ج 9 من ص 221 إلى ص 459 ج 10 من ص 1 إلى ص 377 المجموع من الجزئين 615 صفحة وهو ما يعادل أكثر منجزء من تجزئة فتح الباري لابن حجر العسقلاني وقد اشتمل كتاب التفسير على 548 حديثاً من الأحاديث المرفوعة وما في حكمها الموصول منها 465 والبقية معلقة (المعلق في اصطلاح المحدثين ما حذف من مبدأ اسناده راو أو أكثر والمراد بأول السند من جهة الإمام الراوي وذلك مثل قول البخاري وقال ابن عباس كذا وقال مجاهد كذا، انتهى من هامش كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 70) وهذا إلى جانب ما روي في كتب الحديث الأخرى يدل على أن ما روي من التفسير بالسنة غير قليل انتهى من الفتح، ج 10، ص 375.

(1) انظر الاتقان، ج 2، ص 182، والبرهان للزركشي، ج 2، ص 164.

(2) انظر إرشاد الفحول في علم الأصول للشوكاني، ص 158.

(3) سورة النساء، الآية 29.

(4) الحديث رواه أبو داود والبخاري، انظر التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول، ج 1، ص 128 ونصه هناك كما يلي: عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة*

هذا ومن الملاحظ هنا أن ما روي من الأحاديث المرفوعة في التفسير يعتبر كثيراً في حد ذاته وإن كان قليلاً بالنسبة لما روي في الأحكام الشرعية العملية ولعل السر والحكمة في ذلك هي ما ذكره أحد العلماء رحمه الله تعالى فقال: «وقد كان من حكمة الله تعالى البالغة أن ما نقل عن النبي ﷺ في تفسير القرآن أقل مما نقل في الأحكام وذلك لأن الأحكام الشرعية ثابتة دائمة لا تتغير بتغير الأزمان والعصور أما الآيات الكونية والآفاقية والأنفسية فهي مجال النظر والتدبر والتفكر ويختلف تناولها والاستفادة منها بتغاير العقول والفهوم والمفهوم يتطور بتطورالأزمان والأجيال وهو عرضة للتقدم العلمي فمن ثم كان موقف القرآن منها موقف الداعي إلى التفكير والتدبر والاعتماد على الملاحظة والتجربة للاستفادة بما أودعه الله فيها من أسرار وخصائص وسنن وبذلك فتح القرآن للعقول أبواب التقدم العلمي على مصراعيها حتى بلغ هذا التقدم إلى ما نرى وقد صيغت هذه الآيات الكونية صياغة مشتملة على المرونة فمن ثم صلحت لكل زمان ومكان وكان ذلك سراً من أسرار إعجاز القرآن الكريم[1].

أوجه بيان السنة للكتاب:

علمنا فيما تقدم أن موقف السنة من الكتاب موقف المبين من المبين يدل لهذا زيادة على ما تقدم آيات من القرآن وأحاديث وأقوال العلماء فمن الآيات آية النحل المتقدمة وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2]، ومن السنة الحديث المشهورالطويل الذي

---

* في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن اغتسل فأهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت أني سمعت الله يقول: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً». فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. انتهى.

(1) الشيخ محمد محمد أبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 71.

(2) سورة النجم، الآيات من 1 ـ 4.

يقول فيه الرسول الكريم ﷺ: «... ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه...» الحديث(1).

ومن قول العلماء ما رواه حسان بن عطية عن الإمام الأوزاعي أنه قال كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك وقال أيضاً من رواياته عن مكحول؛ قال: «القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن»(2).

هذا ومن البحث والتنقيب في السنة المرفوعة المبينة للقرآن الكريم الواردة في كتب الحديث الشهيرة والتفاسير المعروفة، أحصى العلماء والمحققون أوجه بيان السنة للكتاب في خمسة اعتبروها تفسيراً للقرآن وبياناً لمعانيه، وهي مع التمثيل والإيضاح فيما يلي:

الوجه الأول ـ أن السنة تأتي شارحة للكتاب أو مخصصة لعمومه أو مقيدة لمطلقه فهذه ثلاثة أنواع من هذا الوجه:

النوع الأول: السنة المفسرة المبينة لما يحتاج إلى بيان من النصوص المجملة في القرآن أو الموضحة لما فيه إشكال من الآيات ومن أمثلة هذا النوع الأحاديث الواردة في بيان أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وكيفية القراءة فيها وكذلك الأحاديث التي تبين مقادير الزكاة والمال الذي يزكى والذي لا يزكى وأنصبة الزكاة وكذلك مناسك الحج مثل ما روي عن النبي ﷺ إذ حج قال خذوا عني مناسككم وقال صلوا كما رأيتموني أصلي(3).

وهذا وأمثاله تفسير لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(4)، وقوله:

(1) الحديث رواه أبو داود والترمذي، انظر القرطبي، ج 1، ص 37 ـ 38.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج 1، ص 39.
(3) المصدر السابق، ص 39، والحديثان أخرجهما البخاري قاله القرطبي وانظر تفسير القاسمي، محاسن التأويل، ج 4، ص 186.
(4) سورة المزمل، ص 20.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1].

النوع الثاني ـ السنة المخصصة للعام في القرآن ومن أمثلتها:

أ ـ قوله ﷺ: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»[2]، فإنه مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[3]، بعد ذكر المحرمات بالكتاب.

ب ـ تفسير ﷺ الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4]. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنوه، ألم تسمعوا ما قال العبدالصالح إن الشرك لظلم عظيم»[5].

ج ـ قوله ﷺ: «لا يرث القاتل»[6]؛ فإنه مخصص لعموم قوله تعالى في آيتي المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[7]، فإنه يدل على أن الولد يرث قاتلاً أو غير قاتل فجاءت السنة وخصصت هذا العموم وجعلت الميراث لغير القاتل فقط وحرم منه القاتل[8].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 97.
(2) رواه البخاري ومسلم في باب النكاح، البخاري، ج 7، ص 15، ومسلم ج 9، ص 193.
(3) سورة النساء، الآية 24.
(4) سورة الأنعام، الآية 82.
(5) سورة لقمان، الآية 12. والمراد من العبد الصالح هو لقمان والحديث رواه الشيخان، من كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 74.
(6) رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده النبيﷺ، نيل الأوطار للشوكاني، ج6، ص84.
(7) سورة النساء، الآيتان 11 ـ 12.
(8) مذكرات في أصول الفقه للشيخ منصور الشيخ، ص 57، بعنوان تيسير أصول الفقه.

النوع الثالث - السنة المقيدة للنصوص المطلقة في القرآن، ولهذا النوع أمثلة كثيرة في القرآن منها:

أ - قوله تعالى في بيان حد السرقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. جاءت هذه الآية عامة مطلقة في قطع الأيدي من اليمين أو الشمال وهل اليد تقطع كلها أو بعضها بدون تحديد لموضع القطع، ولكن السنة العملية قيدت الآية وبيّنت أن القطع إنما يكون لليد اليمنى من الرسغ وهو مفصل الكف بينه وبين الساعد وقد وقع هذا بأمر من النبي ﷺ[2].

ب - قوله تعالى في كفارة الحنث في اليمين عند العجز عن الإطعام: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾[3]؛ فالآية مطلقة عن التقييد بالتتابع في الصيام وقيدته السنة العملية فقد ورد أن النبي ﷺ صامها متتابعات وهو مذهب لبعض الصحابة والتابعين كابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم ولهذا اعتبره الحنفية شرطاً في الكفارة عملا بهذا التقييد الوارد[4].

ج - قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾[5]، وقوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[6]؛ فالوصية في الآيتين مطلقة شاملة للمال كله أو بعضه فجاءت السنة فقيدت الوصية بالثلث في قوله ﷺ: «الثلث والثلث كثير»[7]، وقوله: «إن الله تصدق عليكم بثلث

(1) سورة المائدة، الآية 38.

(2) انظر أصول الفقه الإسلامي لزكي شعبان، ص 307.

(3) سورة المائدة، الآية 89.

(4) أصول الفقه الإسلامي لزكي شعبان، ص 306.

(5) سورة البقرة، الآية 180.

(6) سورة النساء، الآية 12.

(7) انظر القرطبي، ج 1، ص 267، قال في التاج الجامع للأصول رواه الخمسة وهم الشيخان والترمذي والنسائي وأبو داود، ج 2، ص 266.

أموالكم عند وفاتكم زيادة لكم في حسناتكم ليجعلها لكم زكاة»(1).

الوجه الثاني - الموافقة والتأكيد:

تأتي السنة موافقة للحكم الوارد في القرآن فتؤكده وتقويه فيكون للحكم في هذه المسائل دليلان أحدهما أساسي ومثبت للحكم وهو النص القرآني، والآخر مؤكد ومقرر وهو النص الوارد في السنة. ومن أمثلة هذا الوجه ما يلي:

أ - قوله ﷺ: «لا يحل مال أمر مسلم إلا بطيب نفس منه»(2) فإنه موافق في المعنى ومؤكد لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(3).

ب - ما روي من قوله ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(4) فإنه موافق ومؤكد للمقصود من قوله تعالى في حق النساء ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(5).

ج - قوله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»(6)؛ فإنه موافق لمعنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(7).

الوجه الثالث - أن تأتي في السنة أحكام زائدة على ما في القرآن:

وهو ما يسمى عند علماء الأصول باستقلال السنة بالتشريع. وقد استدلوا

---

(1) أخرجه الدارقطني عن أبي أمامة عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ. القرطبي، ج 2، ص 267.
(2) ذكره الجصاص في أحكام القرآن، ج 3، ص 128.
(3) سورة النساء، الآية 29.
(4) رواه الترمذي وابن ماجه. انظر الترغيب والترهيب، ج 3، ص 48.
(5) سورة النساء، الآية 19.
(6) رواه البخاري ومسلم، الترغيب والترهيب، ص 185.
(7) سورة هود، الآية 105.

عليه بأدلة عقلية ونقلية كثيرة[1]، لا أطيل بذكرها واكتفي بضرب أمثلة من الأحكام التي جاءت بها السنة وسكت عنها القرآن، ومنها:

ثبوت ميراث الجدة، والقضاء بشاهد ويمين المدعي، وجواز الرهن في الحضر وتحريم نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها، وثبوت وجوب صدقة الفطر، ووجوب الدية على العاقلة[2] في القتل الخطأ، وثبوت الشفعة، وتحريم أكل لحوم الحمر الأهلية، وتحريم لبس الحرير والذهب الخالصين على الرجال.. إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية التي جاءت بها السنة وسكت عنها القرآن[3].

ومن الأحاديث الواردة في مثل هذه الأحكام قوله ﷺ في الحديث الذي تقدم بعضه وفيه يقول الرسول ﷺ: «.. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد... » الحديث[4].

الوجه الرابع ـ النسخ لأحكام وردت في الكتاب:

قد تأتي السنة ناسخة لبعض أحكام عند من يرى من العلماء جواز نسخ القرآن بالسنة[5]، ومن أمثلة هذا الوجه قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[6]؛ فإنه ناسخ للحكم الثابت بقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[7].

---

(1) إرشاد الفحول إلى علم الأصول، ص 33.

(2) العاقلة هي عصبة القاتل وقرابته من جهة الأب يتحملون عنه دية القتل الخط.

(3) انظر أصول الفقه الإسلامي لزكي الدين شعبان، ص 81.

(4) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج 1، ص 39، والحديث رواه أبو داود عن المقدام بن معد يكرب.

(5) انظر إرشاد الفحول للشوكاني، ص 190. ذكره نقلاً عن ابن السعاني وهو مذهب أبي حنيفة وعامة المتكلمين وحكاه ابن الفرج عن مالك.

(6) ذكره زكي الدين شعبان نقلاً عن سبل السلام شرح بلوغ المرام في النسخ، ج 3، ص 166، وكذلك تفسير آيات الأحكام للسايس، ج 1، ص 55.

(7) سورة البقرة، الآية 180.

الوجه الخامس - بيان معنى اللفظ أو بيان متعلقه:

مثال الأول وهو بيان معنى اللفظ تفسير «المغضوب عليهم» باليهود وتفسير «الضالين» بالنصارى في قوله تعالى: ﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غيرا لمغضوب عليهم ولا الضالين﴾[1].

ومثال الثاني، وهو بيان المتعلق؛ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، بأنها مطهرة من الحيض والغائط والبزاق والنخامة[3]. ومثله تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[4]، بأنهم دخلوا يزحفون على أستاههم[5] وقالوا حبة في شعرة[6] أو في شعيرة[7].

أمثلة مختارة من تفسير القرآن بالسنة المرفوعة زيادة على ما تقدم:

1 - تفسير الوسط بالعدل في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[8]. أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من أحد فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته قال

(1) الحديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه انظر الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 214.
(2) سورة البقرة، الآية 25.
(3) الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 214.
(4) سورة البقرة، الآية 58.
(5) الأستاه الأدبار.
(6) الاتقان، ج 4، ص 215. والطبري، ج 2، ص 113. ومعنى حطة أي حط عنا ذنوبنا وهو دعاء بطلب المغفرة وقيل هي كلمة عبرانية تفسيرها (لا إله إلا الله).
(7) ذكر هذا الوجه شيخنا الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 56 ونقلته منه بتصرف.
(8) سورة البقرة، الآية 143.

فذلك قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم[1].

2 ـ تفسير الصلاة الوسطى بصلاة العصر في قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾، فقد أخرج أحمد والترمذي وصححه عن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر[2].

3 ـ تفسير الآيات في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾[3] بطلوع الشمس من مغربها أخرجه أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقال السيوطي له طرق في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره[4].

4 ـ تفسير القوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ الآية، روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ «ألا وأن القوة الرمي ألا وأن القوة الرمي ألا وأن القوة الرمي»[5] كرر تفسيرها ثلاث مرات للتأكيد قال الشيخ محمد أبو شهبة معلقاً على هذا الحديث وتفسيره للآية: وقد جاءت هذه الكلمة القرآنية يعني القوة معجزة فإن المراد بالقوة أسبابها وهي كل ما تكون به القوة، ولما كانت أسباب القوة ـ وهي أسلحة الحرب وآلات القتال ـ تختلف باختلاف العصور جاءت الكلمة على هذه المرونة الفائقة التي جعلتها صالحة لكل زمان ومكان

(1) الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 215.
(2) المصدر السابق، ص 217.
(3) سورة الأنعام. الآية 158.
(4) الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 223.
(5) الاتقان، ج 4، ص 225، السيوطي ومعناه: أن معظم القوة وأنكاها للعدو الرمي.

وكذلك جاء المفسِر معجزاً كالمفسَر[1]، فهما من مشكاة واحدة فالرمي كلمة مرنة كالقوة صالحة لتطور الأسلحة بتقدم الزمن إذ يدخل فيها الرمي بالقوس والنبال والحراب والمنجنيق ويدخل فيها أيضاً الرمي بكل ما استحدث من أنواع الرمي بالمدافع والقنابل الذرية والهيدروجينية وبالصواريخ ونحوها وهذا من الإعجاز النبوي. انتهى[2].

5 - تفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه المولى عز وجلّ في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن صهيب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسن وزيادة﴾ الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى ربهم[3].

6 - تفسير السبع المثاني والقرآن العظيم بأم القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[4]، أخرج البخاري في صحيحه بسنده والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله ﷺ: أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم[5].

7 - تفسير الحساب اليسير بالعرض[6] في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[7]. أخرج الشيخان بسندهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من نوقش الحساب عذب قلت أليس يقول الله تعالى: فسوف يحاسب حساباً

---

(1) المفسر الأولي بكسر السين اسم فاعل والثانية بفتح السين اسم مفعول.

(2) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 75.

(3) الاتقان، ج 4، ص 227.

(4) سورة الحجر، الآية 87.

(5) الاتقان للسيوطي؛ ج 4، ص 233..

(6) العرض بفتح العين وتسكين الراء والمراد منه عرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه ورحمته به.

(7) سورة الانشقاق، الآيات 7 ـ 9.

يسيراً، قال: ليس ذلك الحساب وإنما ذلك العرض والللفظ لمسلم.

8 ـ تفسير الكوثر بالحوض الذي أعطى للنبي ﷺ في الجنة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[1]. أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الكوثر النهر الذي أعطانيه ربي في الجنة[2].

هذه بعض الأمثلة من تفسير القرآن بالسنة المرفوعة، اخترتها كنموذج، وهناك غيرها كثير كما نوّهت سابقاً وبيّنت أن كتب الحديث تحتوي على أبواب كبيرة من التفسير المرفوع فليرجع إليها من أراد المزيد[3].

---

(1) سورة الكوثر، الآية 1.
(2) الاتقان، ج 4، ص 256.
(3) تقدم التنويه في ص 59 ـ 60، من هذا الباب.

أسئلة في هذا الفصل

س 1: بيّن معنى السنة لغة وما المراد من السنة المرفوعة في الاصطلاح ثم تحدث عن أهمية السنة مبيناً علاقاتها بالقرآن مع الاستشهاد على ما تذكر بالآيات القرآنية وأقوال العلماء.

س 2: حدد المقدار الذي فسره الرسول ﷺ وبيّنه من القرآن ـ هل هو كل القرآن أو الكثير منه أو القليل ـ مع ذكر من قال بكل احتمال من هذه الاحتمالات مستدلاً لكل قول ومناقشاً لأدلته وترجيح ما تراه راجحاً منها ودليل ترجيحه.

س 3: تحدث عن أوجه بيان السنة للقرآن مجملة، ثم فصل القول في الوجه الأول وهو أن السنة تأتي شارحة أو مخصصة أو مقيدة مع التمثيل لكل نوع من هذه الأنواع بمثالين وكذلك مثل لكل وجه من الأوجه الباقية بمثالين.

س 4: اكتب أمثلة مختارة من تفسير القرآن بالسنة المرفوعة إلى النبي ﷺ بالطرق الصحيحة لا تقل عن خمسة.

الفصل الثالث
تفسير القرآن بأقوال الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين

هذا هو الأصل الثالث من أصول التفسير وهو التفسير بالمأثور المنقول عن الصحابة[1] وذلك لأننا إذا لم نجد في القرآن نفسه ما نفسر به القرآن ولا في السنة المرفوعة رجعنا إلى ما صح وثبت من أقوال الصحابة في التفسير وذلك لأنهم أدرى الناس بعد رسول الله ﷺ بمعاني القرآن الكريم. فقد بيّن لهم الرسول الكريم مجمله وشرح لهم ما يحتاجون إلى شرحه وأزال الإشكال عنهم فيما أشكل عليهم منه، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي أحاطت بنزول القرآن وهي أسباب النزول. ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح والقلب المستضيء بنور النبوة والعقل الذكي ولا سيما كبراؤهم وعلماؤهم[2]، فهم قد عاشوا مع رسول الله ﷺ وواكبوا نزول القرآن عليه ورأوا وقائعه وتأدبوا بآدابه، واطلعوا عن كثب على حلاله وحرامه؛ فلهذا وذاك لا بد للمفسر أن يطلع على آراء هؤلاء الأفاضل صحابة رسول الله ﷺ في التفسير حتى لا يجانب الصواب ومن ثم يقع على الرأي الصحيح في بيان المراد من كلام الله تعالى.

---

(1) الصحابي هو: من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً ومات على إيمانه اهـ. من شرح الخريدة للشيخ أحمد الدرديري، ص 20 ومن الإصابة لابن حجر العسقلاني، ج 1، ص 7.

(2) انظر مقدمة تفسير ابن كثير، ج 1 ص 3، وكتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 76.

وأول الضوابط في هذا أن إجماع الصحابة حجة بلا خلاف وهو المنقول عن العلماء المجتهدين على اختلاف مذاهبهم.. فإذا وجد المفسر هذا الإجماع في تفسير لفظة أو إقرار حكم أو بيان سبب نزول فليس له أن يتجاوز إجماعهم ويذهب إلى تفسير آخر[1].

مواقف الصحابة من تفسير كتاب الله تعالى:

ذكر العلماء أن الصحابة إزاء تفسير كتاب الله أقسام أربعة منهم المكثرون من التفسير ومنهم من اشتهروا به ومنهم المقلون ومنهم من أعرض عن تفسير القرآن وتحرجوا من القول فيه أصلاً[2] وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة جماعة منهم الخلفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وابن الزبير وأنس بن مالك وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمرو بن العاص وعائشة أم المؤمنين وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنهم أجمعين[3]. هؤلاء الستة عشر الذين اشتهروا بالتفسير منهم المكثرون أربعة وهم؛ ابن عباس وابن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبيّ، والباقي يمكن أن يقال عنهم أنهم مقلون على اختلاف فيما بينهم في القلة، ويمكن أن يقال أخذا من الواقع والمنقول عن هؤلاء من التفسير أن غير المكثرين قسمان أيضاً فمنهم من تكلم في التفسير ولم يشتهروا وهم المقلون مثل عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وأبي هريرة وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم، والباقون اشتهروا ولم يكثروا. ولهذا فإنني اقتصرت في التفصيل الكامل

---

(1) انظر دراسات في أصول التفسير للدكتور عبد المحسن عبد الحميد، ص 133.

(2) روي التحرج من التفسير عن عدد من الصحابة والتابعين منهم أبو بكر وعمر والشعبي وسالم بن عبدالله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع وغير أن تحرجهم مؤول فلا يحتج به، وسيأتي أن بعض هؤلاء روي عنهم كثير من التفسير مثل عمر وأبي بكر في آخر هذا الفصل، وانظر مقدمتين في علوم القرآن مقدمة تفسير ابن عطية ومقدمة كتاب المباني، ص 183.

(3) الاتقان، ج 4، ص 204.

على المكثرين والمشهورين واكتفيت بذكر تراجم مختصرة فقط للمقلين كما سيأتي في آخر هذا الفصل، إن شاء الله تعالى. هذا وقد أوضح شيخنا الذهبي السبب في إكثار من أكثر منهم في التفسير وفي إقلال من كان منهم مقلاً فقال: إن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير[1] تفاوتوا قلة وكثرة فأبو بكر وعمر وعثمان لم يرد عنهم في التفسير إلا النزر اليسير، ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم وفاتهم وإنشغالهم بمهمام الخلافة والفتوحات الإسلامية، أضف إلى ذلك وجودهم في وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله واقفون على أسراره عارفون بمعانيه وأحكامه.. مما جعل الحاجة إلى الرجوع إليهم في التفسير غير كبيرة، أما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية في التفسير والسبب في ذلك راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة دامت إلى نهاية خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وتأخر وفاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن، وذلك ناشىء عن اتساع رقعة الإسلام ودخول كثير من الأعاجم في دين الله ـ الإسلام ـ مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية، وكذلك كثرت الرواية في التفسير عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب لحاجة الناس إليهم، ولصفات عامة مكنت لهم ولعلي بن أبي طالب أيضاً وهذه الصفات، هي:

أ ـ قوتهم في اللغة العربية وإحاطتهم بمناحيها وأساليبها.

ب ـ عدم تحرجهم من الاجتهاد وتقرير ما وصلوا إله باجتهادهم في التفسير.

ج ـ مخالطتهم للنبي ﷺ مخالطة مكنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن باستثناء ابن عباس فإنه لم يلازم النبي ﷺ في شبابه لوفاته ﷺ وهو في السن الثالثة عشرة أو ما يقاربها، غير أنه استعاض عنها بملازمته لكبار الصحابة من بعده يأخذ عنهم ويروي لهم[2].

---

(1) يعني العشرة الذين ذكرهم السيوطي ونقلهم عنه، انظر الاتقان، المرجع السابق.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 64.

أما باقي المفسرين من الصحابة فهم، وإن اشتهر بعضهم في التفسير أو كانوا من المقلين، إلا أنهم لم يصلوا إلى مرتبة هؤلاء الذين ذكرهم شيخنا الذهبي ووصفهم بالمكثرين[1] وذكر سبب إكثارهم.

طريقة الصحابة في التفسير وأدوات الاجتهاد عندهم في التفسير:

كانت طريقتهم في التفسير تتلخص في النقاط التالية:

أ ـ كانوا رضي الله عنهم يعتمدون أولاً على القرآن الكريم نفسه فهو يفسر بعضه بعضاً، كما تقدم لنا في الفصل الأول.

ب ـ ثم يتجهون ثانياً إلى السنة المرفوعة، المسندة إلى الرسول الكريم، لأنهم كانوا مطلعين عليها حافظين لها حريصين على الاستماع إليها لصحبتهم له ﷺ وقربهم منه وهو يقرأ القرآن ويفسر لهم مايحتاجون إلى تفسيره وهم أيضاً شاهدوا الوقائع التي نزل كثير من القرآن بسببها.

ج ـ وفي آخر الأمر يعتمدون في التفسير على اجتهادهم فيما لم يرد فيه شيء من القرآن أو السنة المسندة إلى الرسول الكريم مستعينين بقوة إدراكهم وسعة إحاطتهم باللغة العربية الفصحى وبمعرفتهم بعادات المجتمع العربي وقت نزول القرآن.

أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة:

كثير من الصحابة كانوا يفسرون بعض آيات القرآن بهذا الطريق، أعني طريق الرأي والاجتهاد المشار إليه في الفقرة (ج) السابقة، مستعينين على ذلك بما يأتي:

---

(1) المشهورون بالتفسير كالمكثرين من الحديث سبعة وهم أبو هريرة وأنس وعائشة وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر وابن عباس وجابر بن عبدالله وكلهم اشتهروا بالتفسير إلا أبا سعيد الخدري.

أولاً - معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها.

ثانياً - معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن

ثالثاً - معرفة عادات العرب قبيل الإسلام ووقت نزول القرآن.

رابعاً - قوة الفهم وسعة الإدراك، فإن معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب، ومعرفة أحوال اليهود والنصارى تعين على فهم الآيات التي تشير إلى أحوالهم وأعمالهم والرد عليهم، ومعرفة عادات العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾[1] وذلك أنهم كانوا يحلون المحرم ويحرمون صفراً. وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾[2] فقد روي أن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام كانوا حين يحرمون بحج أو عمرة لا يدخلون بيوتهم من أبوابها إنما يدخلونا من ظهورها ظناً منهم أن هذا من البر فرد الله عليهم ذلك. هاتان الآيتان ونحوهما لا يمكن فهم المراد منهما إلا لمن عرف عادات العرب في الجاهلية وقت نزول اقرآن وأما قوة الفهم وسعة الإدراك فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده وكثير من آيات القرآن يدق معناه ويخفي المراد منه ولا يظهر إلا لمن أوتي حظاً من الفهم ونور البصيرة. وكان ابن عباس صاحب النصيب الأكبر من هذا ببركة دعاء النبي ﷺ له[3].

وفي الصفحات التالية ترجمة موجزة للمفسرين من الصحابة وأمثلة مختارة من تفاسيرهم ليستنير بها المفسر وتعينه على فهم المراد من كلام الله تعالى، وأذكر المكثرين أولاً على ترتيبهم في الكثرة ثم المشهورين وأخيراً المقلين، وسأذكر تراجم مختصرة لهم.

---

(1) سورة التوبة، الآية 37.

(2) سورة البقرة، الآية 189.

(3) من التفسير والمفسرون بتصرف قليل ج 1، ص 59،58.

أولاً - ترجمان القرآن وحبر الأمة عبدالله بن العباس رضي الله تعالى عنهما:

أ- ترجمته:

هو عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم الرسول ﷺ وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية وهو ابن خالة خالد بن الوليد[1] وخالته ميمونة بنت الحارث من أمهات المؤمنين زوجات الرسول الكريم ﷺ. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين بشعب أبي طالب الذي كان فيه النبي ﷺ وأهل بيته أيام مقاطعة قريش لهم[2]، فنشأ وتربى ملازماً للنبي ﷺ يقتدي به ويأخذ عنه فقد روى أنه رأي الملك جبريل عليه السلام مرتين ودعا له الرسول ﷺ مرتين[3].

ولما توفي الرسول ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى كانت سنه ثلاث عشرة سنة، وبعده لازم كبار الصحابة يأخذ عنهم ما فاته من حديث الرسول، توفي رضي الله عنه سنة (58 هـ) ثمان وخمسين من الهجرة على الأرجح بالطائف أيام فتنة ابن الزبير[4]، ودفن بها وقبره هناك مشهور، وتولى الصلاة عليه ودفنه محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب. ولما واراه التراب قال: «مات والله حبر هذه الأمة»[5]. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: «اليوم مات رباني هذه الأمة»[6]. وكان عمره اثنتين وسبعين سنة وقد كف بصره[7] قبل وفاته رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

72

---

(1) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج 3، ص 290.

(2) انظر كتاب نسب قريش، ص 26.

(3) رواه الترمذي في جامعه ج 15، ص 220.

(4) وفيات الأعيان لابن خلكان ج 3، ص 62.

(5) المصدر السابق.

(6) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 41.

(7) وفيات الأعيان، نقلاً عن الواقدي ج 3، ص 62.

ب ـ مبلغه من العلم بالتفسير وثناء الخلفاء وكبار الصحابة عليه:

بلغ ابن عباس من العلم بالتفسير والفقه وغيرهمامن العلوم الشائعة في عصره مبلغاً لم يصل إليه غيره من معاصريه من الصحابة والتابعين حتى لقبوه بالبحر والحبر وكان تفوقه في التفسير والفقه بسبب دعاء النبي ﷺ بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1] وفي رواية البخاري: اللهم علمه الحكمة. وقال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود عنه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[2] وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقدره ويثني عليه ويدخله مع الكبار وأشياخ صحابة رسول الله ﷺ ويقول عنه: «ذلكم فتى الكهول إن له لساناً سئولاً وقلباً عقولاً»[3]. ولاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على البصرة وبقي بها حتى قتل علي فاستخلف عليها عبدالله بن الحارث ومضى إلى الحجاز[4]، وقد مدحه التابعون وأفاضوا في الثناء عليه مثل عطاء بن أبي رباح روي عنه أنه كان يقول إذا حدث عن ابن عباس: حدثني البحر، ويقول: ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من باب واسع وكذلك طاوس بن كيسان، فقد قيل له: لزمت هذا الغلام ـ يعنون ابن عباس ـ وتركت الأكابرمن أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارءوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس»[5]. وأيضاً روي عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أنه كان يقول: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبقه وفقه فيما احتيج إليه من رأيه وحكم ونسب وتأويل وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه...

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند الوفيات، ج 3، ص 62.

(2) مقدمتان في علوم القرآن ابن عطية، ص 263 الإسرائيليات في كتب التفسير ص 90.

(3) الانقان في علوم القرآن، ج 2، ص 187.

(4) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص 377.

(5) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 66.

إلى أن يقول: ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له.. وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً[1].

أسباب نبوغه وتوفقه في التفسير عن غيره:

ذكرها شيخنا محمد الذهبي فقال ما ملخصه في النقاط التالية:

1 ـ بركة دعاء النبي ﷺ في قوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فلا شك أن لهذا الدعاء النبوي الأثر الأكبر، ويوضح لنا ذلك ما روي عن ابن عباس وصح عنه من الحديث والتفسير والفقه.

2 ـ نشأته في بيت النبوة وملازمته للرسول يقتدي به ويروي عنه ويشهد كثيراً من الحوادث وأسباب النزول.

3 ـ ملازمته للأكابر من الصحابة يأخذ عنهم ما فاته من الحديث والتفسير وتواريخ التشريع بوفاة الرسول ﷺ.

4 ـ حفظه للغة العربية ومعرفته لغريبها وآدابها وخصائصها وأساليبها ويستشهد للتفسير بما روي من الشعر العربي.

5 ـ بلوغه مرتبة الاجتهاد في الفقه والتفسير وعدم تحرجه من التفسير وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق دون أن يأبه بملامة لائم أو نقد ناقد كما حدث له في قصته مع ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[2].

ج ـ الرواية عن ابن عباس وطرقها ومبلغها من الصحة أو عدمها:

كثرت الرواية عن ابن عباس في التفسير وبلغت مبلغاً كبيراً حتى لا يكاد الناظر في القرآن يجد آية من القرآن إلا وله فيها قول أو أقوال وقد نسب له تفسير

---

(1) ذكره شيخنا الذهبي نقلاً عن أسد الغابة، ص 192.

(2) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 67 ـ 68، وانظر ما حدث له مع ابن عمر في نفس المصدر.

كامل للقرآن يعرف بتنوير المقباس من تفسير ابن عباس[1] ذكره شيخنا الذهبي وقال: «جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفي سنة 817 هـ صاحب القاموس المحيط ثم بين أن هذا التفسير مروي عن ابن عباس عن طريق محمد بن مروان ـ السدي الصغير ـ عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهي أوهى الطرق عنه في التفسير كما يأتي، ولهذا فإن العلماء المحققين يشكون في نسبته إلى ابن عباس كثيراً»[2]. ويؤيد قولهم بما روي عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى من قوله: لم يثبت في التفسير عن ابن عباس إلا شبيه بمائة حديث[3]. وهذا يدل على ما كان عليه الوضاعون من الجرأة على الكذب على ابن عباس ومن هنا نرى العلماء قد قسموا المرويات عن هذا الحبر الجليل إلى أقسام عديدة لغرض التمييز بين الصحيح والسقيم، فوجدوا فيها الصحيح المعتمد والحسن والضعيف والموضوع الذي لا أصل له. وفيما يلي بيان للطرق الصحيحة فالحسنة ثم الضعيفة والواهية:

أما الطرق الصحيحة فأولها: طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي أجود الطرق وفيها قال الإمام أحمد بن حنبل: إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً[4]. اعتمد هذه الطريق الإمام البخاري في صحيحه وأخرج منها ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر وهي وإن انتقدها البعض لكون ابن أبي طلحة لم يلق ابن عباس وكان بينهما واسطة وهي أما مجاهد أو ابن جبير فإن الانتقاد المذكور غير مضر لأن الواسطة معروفة وهي ثقة وعلى هذا فالانقطاع مردود وكأنه لم يكن[5].

---

(1) وهو مطبوع على هامش الدر المنثور للسيوطي، ومتداول بين العلماء.

(2) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 91.

(3) الاتقان للسيوطي، ج 2، ص 189.

(4) المصدر السابق، ص 188.

(5) نفس المصدر.

وثانيها طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيها الذهبي صحيحة على شرط الشيخين - البخاري ومسلم - وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في المستدرك.

وثالثها طريق اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير تارة عن أبي مالك وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس والسدي الكبير هذا وإن اختلفوا فيها فحديثه عند مسلم وأصحاب السنن الأربعة[1] قال السيوطي: وقد روي عنه الأئمة مثل الثوري وشعبة وكذلك ابن جرير الطبري يورد كثيراً في تفسيره عن السدي الكبير عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس فاعتماد هؤلاء الأئمة هذه الطريق دليل على صحتها وقبولها.

وأما الطريق الحسنة فهي طريق ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية عن محمد بن أبي محمد مولي آل زيد بن ثابت عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرج منها ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم والطبراني في معجمه الكبير.

وهناك طريق عن ابن عباس أيضاً سميت بالمختلطة لها ثلاثة فروع مختلفة وهي طريق ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز عن ابن عباس قال عنها الشيخ الذهبي: أنها تحتاج إلى دقة في البحث ليعرف الصحيح منها والسقيم، وقد نقل التفسير عن ابن جريج جماعة[2] منهم:

أ - الحجاج بن محمد عن ابن جريج قال السيوطي: روي عنه نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه.

ب - وروي عنه محمد بن ثور نحو ثلاثة أجزاء كبار وصفت بالصحة أيضاً.

ج - وروى عنه بكر بن سهل الدمياطي عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن

---

(1) وهم أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

(2) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 4، ص 208.

محمد عن ابن جريج قال السيوطي: وفيه نظر[1].

وأما الطرق غير المرضية والواهية؛ فهي الآتية:

أ ـ طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس قال فيها شيخنا الذهبي: إنها غير مرضية لأن الضحاك لم يلق ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك فضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هذه الطريق ابن جرير كثيراً، ولها فرع آخر وهو رواية جويبر عن الضحاك وهي أشد ضعفاً من سابقتها لشدة ضعف جويبر ولهذا لم يرو ابن جرير من هذا الفرع شيئاً وإنما توجد عند ابن مردوية وأبي الشيخ ابن حيان.

ب ـ طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخرسان وهو وإن قال فيه الشافعي: الناس عيال على مقاتل في التفسير[2]. فقد ضعّفه العلماء وقالوا أنه يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما وكذبه غير واحد ولم يوثقه أحد وسئل وكيع عن تفسير مقاتل فقال: لا تنظروا فيه[3]. وقال أحمد بن حنبل لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئاً[4].

ج ـ طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال شيخنا الذهبي: هي أوهى الطرق عن ابن عباس وممن يروي عن الكلبي محمد بن مروان السدي الصغير الذي قال عنه العلماء بأنه يضع الحديث وأنه ذاهب الحديث متروك، وهذه الرواية أعني محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس هي سلسلة الكذب، وأخرج من هذه الطريق الواحدي والثعلبي[5].

---

(1) المصدر السابق.
(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 111.
(3) المصدر السابق.
(4) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 81.
(5) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 81.

هذه هي أهم طرق الرواية في التفسير عن ابن عباس صحيحها وسقيمها، وما قبل فيها والمعتمدة عند المحدثين والمفسرين وغير المعتمدة عندهم ليعرف طالب التفسير من خلال اطلاعه عليها ما يقبل وما يرد من التفسير، والله أعلم.

د ـ أمثلة مختارة من تفسيره رضي الله تعالى عنه:

1 ـ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] جاء تفسيرها عنه في حديث أخرجه البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج[2].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[3]. أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وفي رواية أخرى له أيضاً قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: «حسبي الله ونعم الوكيل»[4].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾[5] أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه

---

(1) سورة البقرة، الآية 198.

(2) هذا على قراءة ابن عباس وهذه الزيادة غير موجودة في السبع، انظر صحيح البخاري، ج 6، ص 34. كتاب التفسير ط/ الشعب.

(3) سورة آل عمران، الآية 173.

(4) صحيح البخاري كتاب التفسير، ج 6، ص 48 ـ 49.

(5) سورة النساء، الآية 93.

هذه الآية التي في الفرقان: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق..﴾. الآية قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً..[1].

4 - في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[2]. أخرج ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «المستقر في الأرحام، والمستودع في الصلب ولم يخلق وهو خالقه»[3].

5 - في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[4] أخرج ابن كثير في تفسيره عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله: خذ العفو يعني خذ ما عفا لك من أموالهم وما آتوك به من شيء فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها، وقال الضحاك: عن ابن عباس «خذ العفو» انفق الفضل[5].

6 - في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾[6] أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا.. الآية﴾ قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به، والشجرة الملعونة شجرة الزقوم[7].

7 - في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[8] أخرج

---

(1) صحيح مسلم، كتاب التفسير، ج 18، ص 160.
(2) سورة الأنعام، الآية 98.
(3) تفسير الطبري، ج 7، ص 192.
(4) سورة الأعراف، الآية 199.
(5) تفسير ابن كثير، ج 2، ص 277.
(6) سورة الإسراء، الآية 60.
(7) صحيح البخاري مع شرح الكرماني، ج 17، ص 170 كتاب التفسير.
(8) سورة الصافات، الآيات 83 إلى 84.

الحاكم في المستدرك بسنده إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: هي شيخة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته (بلغ معه السعي) شب حت بلغ سعيه سعي إبراهيم في العلم (فلما أسلما) ما أمرا به (وتله للجبين) وضع وجهه إلى الأرض فقال لا تذبحني وأنت تنظر إليّ لئلا ترحمني فلا تجهز عليّ اربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي على الأرض فلما أدخل يده ليذبحه فلم يمسك المدية حتى نودي أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع .. قوله (وفديناه بذبح عظيم) بكبش عظيم متقبل وزعم ابن عباس أن الذبيح اسماعيل» ثم قال الحاكم هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1].

ثانياً ـ صاحب النعل والسواد[2]: عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

أ ـ ترجمته:

هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب يتصل نسبه بمضر ويكنى بأبي عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة، وأمه أم عبد بنت عبدوُدٌ من هذيل أيضاً أسلمت وهاجرت وكان ينسب إليها أحياناً ويقال له ابن أم عبد[3].

وكان رضي الله عنه خفيف اللحم قصيراً شديد الأدمة أسلم قديماً وهو سادس السباقين للإسلام روي عنه أنه كان يقول: لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا[4]. وهو أول من أسمع قريشاً القرآن بعد رسول الله ﷺ وأوذي في ذلك وهو الذي أجهز على أبي جهل عدو الله في غزوة بدر الكبرى،

(1) المستدرك للإمام الحاكم ج 2، ص 430.
(2) السِواد بكسر السين السرار أي أسرار بيت رسول الله ﷺ قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات ولقب بصاحب النعل لأنه كان يُلبس الرسول ﷺ نعله حين يقوم ويعلقه في ذراعه حين يجلس، ج 1، ص 288.
(3) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 3، ص 348.
(4) مستدرك الحاكم كتاب معرفة الصحابة، ج 3، ص 312، والتهذيب ج 1، ص 288.

وشهد له الرسول ﷺ بالجنة. قدم الكوفة مبعوثاً من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبقي بها مدة ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين هجرية وصلى عليه عثمان بن عفان.

قال النووي: وكان من كبار الصحابة وساداتهم وفقهائهم ومقدميهم في القرآن والفقه والفتوى وأصحاب الاتباع في العلم ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً لا نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ لما نرى من كثرة دخوله ودخول أمه على رسول الله ﷺ ولزومه له، وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن زيد قال قلنا لحذيفة أخبرنا برجل قريب السمت والدل والهدي من رسول الله ﷺ نأخذ عنه فقال: ما نعلم أحداً أقرب سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ من ابن أم عبد[1].

ب ـ مبلغه من العلم بالتفسير وثناء الصحابة والخلفاء عليه:

كان للصحبة التي عاشها عبدالله بن مسعود في كنف رسول الله ﷺ وتحت رعايته أثر كبير في بلوغه مرتبة عالية في العلم والمعرفة بكتاب الله تعالى وتفسيره فقد كان رضي الله تعالى عنه من أحفظ الناس لكتاب الله وأحد الذين أمر رسول الله ﷺ بأخذ القرآن عنهم وأحب عليه الصلاة والسلام أن يسمع القرآن منه فقد روي عنه في الصحيحين أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ إقرأ علي القرآن، فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2] قال: حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[3]. وكان الرسول ﷺ يقول: من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 289.

(2) سورة النساء، الآية 41.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج 6، ص 241.

فليقرأه كما قرأه ابن أم عبد[1].

وعن مسروق من علماء التابعين قال: قال عبدالله يعني ابن مسعود والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته[2]. وفي أثر آخر عنه قال: كان عبدالله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار[3]. فهذان الأثران يدلان على إحاطة ابن مسعود بمعاني كتاب الله وأسباب نزول الآيات وحرصه على تفهم ما عند غيره من علم بكتاب الله ولو لقي عنة ومشقة[4].

وسئل علي بن أبي طالب فقيل له: أخبرنا عن ابن مسعود. قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى[5].

ولما سيره عمر بن الخطاب مع عمار بن ياسر إلى الكوفة كتب إلى أهلها ما نصه: «إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً هما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي»[6] ثم أقام في الكوفة قاضياً ومعلماً يأخذ عنه أهلها الحديث والفقه والتفسير ولما قدم إليها علي بن أبي طالب ذكر أهلها ابن مسعود له وقالوا يا أمير المؤمنين: ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من ابن مسعود. قال علي: أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. قال: أللهم أشهد أني

---

(1) حلية الأولياء، ج 1، ص 124، ومقدمتان في علوم القرآن، ص 94.

(2) في صحيح مسلم عن النووي في التهذيب جـ 1 ص 289.

(3) صحيح البخاري، ج 6، ص 230.

(4) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 85 ـ 86.

(5) المصدر السابق.

(6) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي البختري انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 87.

أقول ما يقولون وأفضل[1]. من هنا تتبين لنا مكانة ابن مسعود في العلم ومنزلته بين إخوانه من الصحابة فالكل يشهد له ويقدمه على غيره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

وأيضاً هذه الآثار التي تشهد بمنزلة ابن مسعود العالية تدل على أنه كان يعلم هذا من نفسه ويتحدث به. فإن أصحاب رسول الله ﷺ لم ينكروا عليه ذلك بل تحدثوا بمكانته في العلم وبمقدار فهمه لكتاب الله وعلل أبو موسى الأشعري تفوقه رضي الله عنه بأنه كان يسمع حين لا يتيسر لهم السماع، ويدخل حين لا يؤذن لهم بالدخول الأمر الذي جعله أوفر حظاً في الأخذ عن الرسول ﷺ وأعظم نصيباً من الإغتراف من منهل النبوة الفياض[2] رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا بعلومه آمين.

ج ـ الرواية عن ابن مسعود وطرقها الصحيحة وغيرها:

المنقول عن ابن مسعود في التفسير كثير يلي في الكثرة ما نقل عن ابن عباس وما روي عن ابن مسعود أكثر مما روى عن علي بن أبي طالب قال السيوطي في الاتقان: وأكثر من حمل علم ابن مسعود أهل الكوفة لوجوده بينهم يقرئهم القرآن ويفسره لهم مثل مسروق والأعمش وعلقمة[3] وغيرهم من التابعين ونقل هؤلاء علم ابن مسعود لمن بعدهم بطرق متعددة نجدها مبثوثة في كتب التفسير والحديث بأسانيدها المنتهية إليه وفيها الصحيحة المتصلة الخالية مما يضعفها وهي التي ينبغي اعتمادها، وهناك الضعيفة بل المنقطعة وقد محصها النقاد من العلماء وأبانوا ما فيها كل طريق على حدة وفيما يلي أذكرها متبدئاً بأصح الطرق وأقواها:

---

(1) تهذيب الأسماء واللغا، ج 1، ص 290.

(2) انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 88.

(3) سيأتي التعريف بهؤلاء الرجال العلماء والأفذاذ في الباب الثالث عند الكلام على تفسير التابعين إن شاء الله تعالى.

1 ـ طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود وهي أصح الطرق اعتمدها البخاري في صحيحه.

2 ـ طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وهي معتمدة أيضاً عند البخاري في صحيحه.

3 ـ طريق الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود وهي أيضاً صحيحة لا يعتريها ضعف وأخرج منها البخاري في صحيحه.

4 ـ طريق اسماعيل بن عبد الرحمن ـ السدي الكبير ـ عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود وهي معتمدة عند الحاكم في المستدرك مصححاً ما يخرجه منها وكذلك أخرج منها الطبري في التفسير كثيراً.

5 ـ طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن مسعود وهي غير مرضية لانقطاع السند فيها لأن الضحاك لم يلق ابن مسعود[1].

د ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مبيناً المراد من الحجارة: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين رواه ابن جرير الطبري وهذا لفظه وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط الشيخين[3].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[4]. أخرج الطبري بسنده عن مرة الهمذاني عن عبدالله ـ يعني ابن

---

(1) ذكر هذه الطرق شيخنا الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 87 ـ 88.
(2) سورة البقرة، الآية 24.
(3) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 61.
(4) سورة آل عمران، الآية 102.

مسعود - رضي الله تعالى عنه: «اتقوا الله حق تقاته» قال أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر[1].

3 - في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2]. أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن الشعبي عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال في قوله: واعتصموا بحبل الله جميعاً. قال: حبل الله الجماعة.. وفي رواية أخرى ذكرها ابن جرير أيضاً بسنده عن شقيق عنه قال: إن الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبدالله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله هو كتاب الله[3].

4 - في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[4]. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن أبي رزين عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان..»[5].

5 - في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[6]. أخرج الطبري بسنده عن الأسود بن يزيد قال: قرأ عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه هذه الآية: «إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا» فإن الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا: يا أبا عبد الرحمن فعلمنا قال: قولوا أللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أن لا تكلني إلى عمل يقربني من الشر ويباعدني عن الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تؤديه إليّ يوم القيامة

---

(1) تفسير الطبري، ج 4، ص 19.
(2) سورة آل عمران، الآية 103.
(3) تفسير الطبري، ج 4، ص 21.
(4) سورة الأنفال، الآية 11.
(5) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 418.
(6) سورة مريم، الآية 87.

إنك لا تخلف الميعاد[1].

6 ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[2]. أخرج البخاري بسنده عن علقمة عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ومن يؤمن بالله هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها من الله[3].

7 ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[4]. أخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه بسندهما عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: «إن ناشئة الليل» قال هي بالحبشية قيام الليل[5].

8 ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ . . .﴾[6] أخرج الطبري بسنده عن ابن مسعود أنه سئل: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد[7] وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه. . . الآية»[8].

(1) تفسير ابن كثير، ج 3، ص 138.
(2) سورة التغابن، الآية 11.
(3) صحيح البخاري، ج 6، ص 193.
(4) سورة المزمل، الآية 6.
(5) الدر المنثور، ج 6، ص 278.
(6) سورة الأنعام، الآية 153.
(7) جواد أي طرق جمع جادة.
(8) الطبري، ج 8، ص 65.

ثالثاً ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

أ ـ ترجمتـه:

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القريشي ابن عم النبي ﷺ وصهره على ابنته فاطمة الزهراء، وهو رابع الخلفاء الراشدين الكرام البررة وأول خليفة هاشمي، وأول من أسلم من الصبيان وأخو الرسول ﷺ بالمؤاخاة، وأحد العشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنة. وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين[1]. توفي شهيداً قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي من الخوارج سنة أربعين من الهجرة فجر ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك وعمره ثلاث وستون سنة[2] رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ب ـ مبلغه من العلم والتفسير وثناء الصحابة والتابعين عليه:

لقد أوتي علي رضي الله تعالى عنه علماً غزيراً فكان بحراً في الفتوى والقضاء له حظ وافر في الخطابة والفصاحة والبلاغة. بعثه الرسول ﷺ قاضياً إلى اليمن ودعى له قائلاً: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه» وكان ذا بصيرة نافذة في حل المشاكل العويصة وفيصلاً في المعضلات حتى قيل في شأنه قضية ولا أبا حسن لها[3].

روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره[4] والذي يرجع إلى خطب علي ووصاياه وأقضيته يرى أنه ذو حظ عظيم في العلم والبلاغة والبيان، فكان رضي الله عنه عالماً بتفسير القرآن وتأويله وفهمه. روي عن أبي الطفيل أنه كان

---

(1) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج 1، ص 344.
(2) انظر ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير، ج 4، ص 91.
(3) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 2، ص 338.
(4) التهذيب للنووي، ج 1، ص 346.

يقول: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أو في سهل أم في جبل[1].

وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا والله لا أعلمه[2]. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ما أخذت من تفسير فعن علي بن أبي طالب، وفي رواية أخرى عنه قال: إن القرآن أنزل على سبعة ما منها من حرف إلا وله ظهر وبطن، وأن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن[3]. وكان رضي الله عنه يقول: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سئولاً»[4].

ج ـ الرواية عنه ومبلغها من الصحة:

كثرت الرواية عن علي في التفسير كثرة جاوزت الحد، الأمر الذي جعل النقاد من العلماء يلتفتون إلى مروياته ويمحصونها ويبينون منها ما يقبل وما يرد وما فيها من الموضوعات في التفسير وغيره وضعها المتعصبون من الشيعة قال شيخنا المرحوم محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى: وما صح عنه في التفسير قليل بالنسبة لما وضع عليه ويرجع ذلك إلى غلاة الشيعة الذين أسرفوا في حبه فاختلقوا عليه ما هو بريء منه إما ترويجاً لمذهبهم، وإما لظنهم الفاسد أن الإغراق في نسبة الأقوال العلمية إليه يعلي من قدره ويرفع من شأنه العلمي[5].

لذا نجد أصحاب الكتب المعتمدة في التفسيروالحديث كالصحيحين لا يروون عنه إلا ما صحت نسبته إليه عن طريق أهل بيته أو عن طريق أصحاب ابن

---

(1) الإسرائيليات في كتب التفسير، ص 85، والطبقات الكبرى، ج 2، ص 338.
(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 89.
(3) المصدر السابق، ص 90.
(4) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 2، ص 338.
(5) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 90.

مسعود كعبيدة السلماني[1] وشريح ونحوهما، وفيما يلي بيان لطرق الرواية عنه ابتداء بالصحيحة ثم الضعيفة والواهية.

الطرق الصحيحة عن الإمام علي:

1 ـ طريق هشام عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب وهي أصح الطرق عنه شهد بهذا شيخ البخاري علي بن المديني وعمرو بن علي الفلاس وقد أخرج منها البخاري في صحيحه وغيره.

2 ـ طريق الزهري عن علي زين العابدين بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب وهذه أيضاً قال عنها أبو بكر ابن أبي شيبه: أنها أصح الأسانيد. وقال الذهبي عنها: وهذه طريق صحيحة جداً حتى عدّها بعضهم أصح الأسانيد[2].

3 ـ جعفر بن محمد بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب. قال الشيخ محمد أبو شهبة: وهي من أصح الطرق أيضاً[3].

4 ـ طريق ابن أبي الحسين عن أبي الطفيل عن علي قال الذهبي: وهذه طريق صحيحة يخرج منها ابن عينية في تفسيره[4].

الطرق الضعيفة والواهية عن علي:

منها ما يلي:

1 ـ طريق أبي يعلي عن اسماعيل بن السدي عن علي بن عياش عن مسلم الملائي عن حبة بن جوين عن علي؛ ضعفوها وقالوا: حبة لا يساوي حبة[5].

---

(1) ابن عمرو عبيدة بفتح العين وكسر الباء، والسلماني بفتح السين وسكون اللام.
(2) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 90.
(3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث، ص 222، نقلاً عن الباحث الحثيث إلى علوم الحديث، ص 7.
(4) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 91.
(5) البداية والنهاية، ج 7، ص 333.

2 ـ طريق يحي بن عبد الحميد عن علي بن سهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن علي، قالوا وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله وعباية أقل منه ليس بشيء حديثه[1].

د ـ أمثلة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى «والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم». أخرج ابن كثير في تفسيره بسنده عن اياس بن عامر قال: سألت علي بن أبي طالب فقلت أن لي أختين مما ملكت يميني اتخذت إحداهما سرية فولدت لي أولاداً ثم رغبت في الأخرى فما أصنع؟ فقال علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: تعتق التي كنت تطأ ثم تطأ الأخرى. قلت: فإن ناساً يقولون: بل تزوجها ثم تطأ الأخرى فقال علي أرأيت إن طلقها زوجها أو مات عنها أليس ترجع إليك لأن تعتقها أسلم لك ثم أخذ علي بيدي فقال لي: إنه يحرم عليك مما ملكت يمينك. ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العدد أو قال: إلا الأربع ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب[2].

2 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أخرج الترمذي بسنده عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر[3].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾[4]. قال ابن كثير في تفسيره: قال علي بن

---

(1) المرجع السابق، ص 335.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، ج 1، ص 373. قال أبو عمر: هذا الحديث لو رحل رجل ولم يصب من أقصى المغرب والمشرق إلى مكة غيره لما خابت رحلته، رواه ابن عبد البر في الاستذكار.

(3) سورة التوبة، الآية 3، وانظر سنن الترمذي، ج 5، ص 274.

(4) سورة الرعد، الآية 14.

أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «له دعوة الحق» قال التوحيد، «كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه» قال رضي الله تعالى عنه: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبداً بيده فكيف يبلغ فاه؟[1].

4 ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[2]. اخرج ابن مردويه بسنده عن علي بن أبي طالب في هذه الآية قال: الرضى بغير عتاب[3].

5 ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾[4]. اخرج الطبري بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال في قوله: «ومنكم من يرد إلى أرذل العمر» خمس وسبعون سنة[5].

6 ـ في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[6]. أخرج الطبري بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله: «فما استكانوا لربهم وما يتضرعون» أي لم يتواضعوا في الدعاء ولم يخضعوا ولو خضعوا لله لاستجاب لهم[7].

7 ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[8]. قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم[9].

---

(1) ابن كثير، ج 2، ص 507.
(2) سورة الحجر، الآية 85.
(3) الدر المنثور، ج 3، ص 104.
(4) سورة النحل، الآية 70.
(5) الطبري، ج 14، ص 90. والدر المنثور، ج 5، ص 14.
(6) سورة المؤمنون، الآية 76.
(7) الطبري، ج 15، ص 65. والدر المنثور، ج 5، ص 14.
(8) سورة التحريم، الآية 6.
(9) الدر المنثور، ج 6، ص 244.

رابعاً ـ أبيّ بن كعب الأنصاري:

أ ـ ترجمته:

هو أبو المنذر أبيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري النجاري الخزرجي، وأمه صهيلة بنت الأسود بن حرام النجارية[1]، وهو من السابقين إلى الإسلام من أهل المدينة وأحد السبعين الذين بايعوا الرسول ﷺ في العقبة الثانية شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من المشهورين بحفظ القرآن كله وإقرائه وقال الرسول ﷺ: أقرأ أمتي أبيّ[2]. وقرأ عليه سورة البينة بأمر من الله تعالى وقال له: أمرني ربي أن أقرأ عليك[3]. قال النووي: وهي منقبة عظيمة لأبيّ لم يشاركه فيها أحد من الناس[4]. ومن أوصافه رضي الله تعالى عنه أنه كان قصيراً نحيفاً أبيض الرأس واللحية. وتوفي بالمدينة سنة ثلاثين من الهجرة فيخلافة عثمان ودفن بها رضي الله تعالى عنه وأرضاه[5].

ب ـ مبلغه من العلم بالتفسير والثناء عليه

رويت عنه في التفسير نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه[6]، وكان سيد القراء بالمدينة وأول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ بها ومن أعلم الناس بكتاب الله لكونه من أحبار اليهود وعلمائهم العارفين بالكتب القديمة[7]. قال فيه عمر بن الخطاب لما سئل عنه: هذا سيد المسلمين أبيّ بن كعب. وروى الشعبي عن مسروق أنه قال: كان أصحاب

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج 1، ص 108.

(2) المصدر السابق، ص 109.

(3) البخاري، ج 6، ص 217.

(4) التهذيب، ج 1، ص 109.

(5) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(6) الاتقان، ج 2، ص 88.

(7) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 92.

القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة: عمر وعلي وعبدالله وأبيّ وزيد وابو موسى[1]. قال العلماء: إن ما روي عن أبيّ في التفسير كثير في نفسه وهو قليل بالنسبة لما روي عن إخوانه المكثرين بسبب تقدم وفاته دونهم.

ج ـ الرواية عن أبيّ في التفسير:

كثرت الرواية عن أبيّ في التفسير وتعددت طرقها وتتبعها العلماء بالنقد والمتحيص وبينوا الصحيح والسقيم منها[2].

ومن أشهر الطرق عنه في التفسير طريقان، هما:

1 ـ طريق أبي جعفر الرازي المتقدمة في رواية النسخة الكبيرة عنه وهي طريقة صحيحة أخرج منها ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم كثيراً وكذلك الحاكم والإمام أحمد بن حنبل.

2 ـ طريق وكيع عن سفيان عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل ابن أبيّ ابن كعب عن أبيه، وهذه الطريق قال فيها الذهبي أنها على شرط الحسن وأخرج منها أحمد بن حنبل في مسنده[3].

د ـ نماذج من تفسيره رضي الله عنه:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[4]. أخرج الطبري بسنده عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب قال: كانوا أمة واحدة حيث عرضوا على آدم ففطرهم يومئذ على الإسلام وأقروا له بالعبودية وكانوا أمة واحدة مسلمين كلهم ثم اختلفوا من بعد آدم فكان أبيّ يقرأ: كان الناس أمة واحدة

---

(1) انظر أسد الغابة، ج 1، ص 4.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 92.

(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 93.

(4) سورة البقرة، الآية 213.

إلى قوله فيما اختلفوا فيه (فاختلفوا) فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين... وأنزل الكتب عند الاختلاف[1]. وأن الله إنما بعث الرسل وأنزل الكتب عند الاختلاف.

2 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾[2]. أخرج الطبري بسنده عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب قال في هذه الآية أربع فصائل خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فمضت اثنتان بعد وفاة النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض، واثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم[3].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[4] أي يوم القيامة. قال أبيّ بن كعب، كانوا شهداء على نوح وعلى قوم هود وعلى قوم صالح وعلى قوم شعيب وغيرهم وأن رسلهم بلّغتهم فكذبوا[5].

4 ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[6]. يقول محمد بن كعب القرضي؛ مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية فأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك، فقال: أبيّ بن كعب فقال: لا تفارقني حت أذهب بك إليه. فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم. قال: وسمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: لقد كنت أرى أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا. فقال أبيّ: تصديق هذه الآية في أول الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾[7] وفي سورة

---

(1) الطبري، ج 3، ص 195.
(2) سورة الأنعام، الآية 65.
(3) ابن جرير الطبري، ج 5، ص 147.
(4) سورة البقرة، الآية 143. سورة الحج، الآية 87.
(5) الدر المنثور، ج 6، ص 145.
(6) سورة التوبة، الآية 100.
(7) سورة الجمعة، الآية 3.

الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ...﴾(1)، وفي الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾(2)، وفي هذا المثال دليل على أن أبيّ بن كعب كان يتبع أحياناً تفسير القرآن بالقرآن وهو أفضل أنواع التفسير كما تقدم التنويه(3).

5 ـ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾(4). أخرج ابن كثير من طرق أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب في قوله: «الله نور السموات والأرض مثل نوره»، قال هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال: الله نور السموات والأرض، فبدأ بنور نفسه ثم ذكر المؤمن فقال: مثل نور من آمن به» قال: فكان أبيّ يقرأها «مثل نور من آمن به»، وقال أبيّ أيضاً المصباح: النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره(5).

6 ـ في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾(6). أخرج الحاكم من طريق أبي العالية عن أبيّ بن كعب في هذه الآية قال يصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين وذلك قوله تعالى: «وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة»(7).

---

(1) سورة الحشر، الآية 10.
(2) سورة الأنفال، الآية 75.
(3) تفسير ابن كثير، ج 2، ص 383.
(4) سورة النور، الآية 35.
(5) تفسير ابن كثير، ج 3، ص 290.
(6) سورة الحاقة، الآية 14.
(7) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 11، ص 365.

خامساً ـ الخليفة الأول لرسول الله ﷺ ورفيقه في الغار أبو بكر الصديق:

أ ـ ترجمته:

هو أبو بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمير بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي التيمي القرشي، يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب. وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم(1). ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث سنين، وهو أول من أسلم من الرجال لقبه الرسول ﷺ بالصديق وبالعتيق ومآثره وفضائله وتضحياته في سبيل الله والدين والرسول كثيرة لا يكاد يحصيها المؤرخون، منها مثلاً: مرافقته للرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة، ومواساته له بالمال، وقيامه بأمر الخلافة من بعده أحسن قيام، وثباته يوم وفاة الرسول ﷺ، واستخلافه إياه للصلاة بالناس في مرضه الأخير ﷺ، واختياره الموفق لعمر بن الخطاب خليفة من بعده.. إلى غير ذلك من المآثر والفضائل. حضر مع الرسول ﷺ المشاهد كلها وأعطاه رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء، وكان من حفاظ القرآن كله وأفضل من كتب لرسول الله ﷺ، توفي رضي الله تعالى عنه يوم الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الأولى من السنة الثالثة عشرة من الهجرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه(2). 21 ـ جمادى الأولى ـ 13 هـ

ب ـ علمه وموقفه من تفسير كتاب الله تعالى:

كان سيدنا أبو بكر من علماء الصحابة وكبرائهم ومقدميهم وأقرئهم لكتاب الله. قال النووي: واستدل أصحابنا على عظم علمه بقوله في الحديث الثابت في الصحيحين: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالا

---

(1) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج 2، ص 181 ـ 182، وتاريخ الخلفاء الراشدين للشيخ أبي زيد شلبي، ص 99.

(2) تاريخ الخلفاء الراشدين للشيخ أبي زيد شلبي، ص 99، والإصابة ج 2، ص 344.

كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه[1]. غير أن ما روي عنه في التفسير قليل جداً ولعل مرجع ذلك إلى أسباب أهمها ثلاثة:

1 - انشغاله بمهام الخلافة وما صاحبها من مشاكل وصعوبات.

2 - سرعة وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

3 - ورعه وخوفه من أن يقول شيئاً في القرآن برأيه وهو غير مراد[2].

ومما يشهد بعلمه وتفوقه في القضاء والفتوى ما روي أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سئل عمن كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ، فقال: أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما[3]. فمن هذا الأثر ونحوه نرى وندرك مقدار فهم أبي بكر الصديق للقرآن والسنة ومدى تفوقه في العلم والقضاء والفتوى غير أنه لم ينتشر علمه ولم ينقل للأسباب التي تقدم ذكرها، والله أعلم.

ج - أمثلة مختارة من تفسيره:

1 - في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[4]. أخرج الطبري بسنده عن الشعبي قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: إني رأيت في الكلالة رأياً فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء: إن الكلالة ما خلا الوالد والولد[5].

2 - في قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[6]. أخرج الطبري بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال في هذه الآية: الزيادة:

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 190.
(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص 88. والهذيب للنووي، ج، ص 182.
(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 190.
(4) سورة النساء، الآية 12.
(5) تفسير آيات الأحكام، ج 2، ص 145.
(6) سورة يونس، الآية 26.

النظر إلى وجه ربهم عز وجل(1).

3 ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(2). اخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال في هذه الآية: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم»(3).

4 ـ في قوله تعالى في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ...﴾(4). اخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين. قال ابو بكر لا أرى يميناً أن غيرها(5) خير منها إلا قبلت رخصة الله وفعلت الذي هو خير(6).

سادساً ـ السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها:

أ ـ ترجمتها:

هي الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر الخليفة الأول لرسول الله ﷺ، وزوج النبي الكريم ﷺ، وأشهرنسائه وأحبهن إليه، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عمير بن عبد شمس الكنانية، ولدت بمكة قبل الهجرة بأربع أو خمس سنين وأسلمت وهي صغيرة. خطبتها لرسول الله ﷺ خولة بنت حكيم وعمرها ست أو سبع سنين بمكة وبنى بها وهي بنت تسع في السنة الثانية من

(1) الطبري، ج 10، ص 63.
(2) سورة النور، الآية 32.
(3) الدر المنثور، ج 5، ص 44.
(4) سورة المائدة، الآية 89.
(5) الضمير في غيرها عائد على اليمين، بمعنى المحلوف عليه.
(6) البخاري، ج 6، ص 66.

قبل الهجرة ...

الهجرة بعد وقعة بدر ولم يتزوج ﷺ بكراً غيرها. وكانت تكنى بأم عبدالله وهو عبدالله بن الزبير ابن أختها السيدة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين. توفي عنها الرسول ﷺ وعمرها ثماني عشرة سنة، اشتهرت رضي الله تعالى عنها بالعلم والفقه والذكاء والفطنة والاستنباط، فكانت من أحسن الناس رأياً، قال عنها ابن أختها عروة بن الزبير: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[1]. وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة في السماء رضي الله عنها[2]. وهي معدودة من المكثرات من الحديث عن رسول الله ﷺ. ويكفيها شرفاً وفضلاً أن الله أنزل براءتها من الإفك الذي رميت به قرآناً يتلى إلى يوم القيامة. توفيت رضي الله عنها في اليوم السابع عشر من رمضان سنة 57 هـ. وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ودفنت بالبقيع ليلاً[3].

١٦ رمضان 57هـ

ب ـ مبلغها من العلم والفضل:

روي عنها العلم والتفسير عدد كبير من الصحابة والتابعين منهم أبو هريرة وأبو موسى الأشعري وزيد بن خالد الجهني ومن التابعين سعيد بن المسيب وعلقمة بن قيس وعائشة بنت طلحة وحفصة بنت سيرين[4]. يروى عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه أنه قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً[5].

ومن مزاياها أنها كانت تنفرد بالاستنباط أحياناً فتجتهد في المسائل

---

(1) صبحي الصالح في علوم الحديث، ص 365.
(2) تهذيب النووي، ج 2، ص 357.
(3) المرجع السابق.
(4) صبحي الصالح، مرجع سابق،
(5) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 2، ص 375.

اجتهاداً تستدرك به على علماء الصحابة[1] روي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت يرحمها الله[2].

وفي رواية أخرى عن محمود بن لبيد قال: وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن[3]. وأصح أسانيدها ما رواه يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر بن حفص عن القاسم بن محمد عنها، وما رواه الزهري أو هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عنها، وأضعف أسانيدها ما يرويه الحارث بن شبل عن أم النعمان عنها[4].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيرها:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾[5]. أخرج البخاري بسنده عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حديث السن أرأيت قول الله تبارك وتعالى: «إن الصفا والمروة... إلى قوله: فلا جناح عليه أن يطوف بهما» فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: كلا فلو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، وإنما أنزلت الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله: «إن الصفا والمروة من شعائر الله... الآية»[6].

---

(1) صبحي الصالح، مرجع سابق.
(2) الطبقات الكبرى، مرجع سابق.
(3) الطبقات الكبرى، ج 2، ص 375.
(4) صبحي الصالح، ص 365، نقلاً عن الإصابة ترجمة رقم 101.
(5) سورة البقرة، الآية 158.
(6) البخاري، ج 6، ص 28.

2 - في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]. أخرج البخاري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس»[2].

3 - في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ . . . ﴾[3]. أخرج مسلم بسنده عن عروة بن الزبير أنه سأل خالته عائشة رضي الله تعالى عنها عن هذه الآية فقالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن[4].

4 - في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ . . . ﴾[5]. أخرج البخاري بسنده عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: هذه الآية أنزلت في قول الرجل لا والله بلى والله، وفسرت عائشة لغو اليمين بما يجري على لسان المكلف من غير قصد[6].

---

(1) سورة البقرة، الآية 197.
(2) صحيح البخاري، ج 6، ص 34.
(3) سورة النساء، الآية 3.
(4) صحيح مسلم، ج 7، ص 154.
(5) سورة البقرة ، الآية 225.
(6) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 8، ص 125.

سابعاً ـ أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب:

أ ـ ترجمته:

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط العدوي القرشي، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، وكان رضي الله عنه في أول البعثة شديداً على المسلمين. ولما أسلم كان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق الذي لحقهم من المشركين. قال عبدالله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر[1]. ثم هاجر علانية على رؤوس الأشهاد وشهد مع الرسول ﷺ بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وهو عنه راضٍ وشهد له بالجنة. ولي الخلافة بعد أبي بكر بعهد منه وتمت له البيعة يوم موت أبي بكر سنة ثلاث عشرة من الهجرة وسار على منهاج صاحبيه، فأحسن السيرة وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس وفتح الله على يديه الفتوح العظيمة، فتم في عهده فتح الشام والعراق ومصر وغيرها وأنشأ دواوين العطاء ورتب الناس فيه على سابقتهم في الإسلام وقربهم من رسول الله وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وهو الذي نور شهر الصيام بصلاة التراويح جماعة، حتى قال فيه الإمام علي بن أبي طالب: نوّر الله على عمر قبره كما نوّر علينا مساجدنا. توفي رضي الله تعالى عنه مقتولاً سنة ثلاث وعشرين من الهجرة رضي الله عنه وأرضاه[2].

ب ـ مبلغه من العلم والتفسير:

مما يدل على غزارة علمه وتفوقه الموافقات المشهورة التي وافقه فيها القرآن[3]، وقول الرسول ﷺ فيه: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو

(1) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج 2، ص 518.
(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 12 ـ 14.
(3) وهي ما رواها البخاري عن أنس بن مالك عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث قلت=

الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل[1]. وقد أخذ عنه العلم والتفسير عدد كبير من الصحابة والتابعين منهم خمسون من الصحابة ومن التابعين جماعة قال عنهم النووي أنهم لا يحصون لكثرتهم ثم قال: وأجمعوا على كثرة علمه ووفور فهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحق وتعظيم آثار رسول الله ﷺ، وشدة متابعته له... ثم قال: ومحاسنه أكثر من أن تستقصى قال ابن مسعود حين توفي عمر: ذهب بتسعة أعشار العلم وأقوال السلف في علمه مشهورة[2]. وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله قال العلم[3].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا... ﴾[4]. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن أبي الدهقانة قال؛ قيل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً. فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين. ثم قال ابن كثير: ففي هذا مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل

= يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك، رواه البخاري، ج 6، ص 197، ط الشعب.

(1) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 4.

(2) التهذيب، ج 2، ص 5.

(3) نفس المرجع السابق، ص 7.

(4) سورة آل عمران، الآية 118.

أن هذا الغلام لم يكن مسلماً.

وكلام ابن كثير هذا يدل على الحرب[1].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ . . . ﴾[2] إلى قوله: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾[3]. أخرج ابن أبي شيبة بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عله أمة من اناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال فإذا هو بامرأتين تذودان[4] قال ما خطبكما فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم.. قال ابن كثير إسناد صحيح، وفي قوله تعالى: «فجاءته إحداهما تمشي على استحياء» قال ابن كثير أي مشي الحرائر كما روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، قال: جاءت مستترة بكم درعها. وفي رواية أخرى عنه قال: جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع[5] من النساء ولاجة خراجة.. قال ابن كثير هذا إسناد صحيح[6].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[7].

فسر عمر رضي الله تعالى عنه هذه الآية بقوله الذي ذكره ابن كثير عن البخاري فقال: أوصى الخليفة بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم وأوصى الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر

---

(1) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 398.
(2) سورة القصص، الآية 23
(3) سورة القصص، الآيات 24 ـ 25.
(4) تذود أن تمنعان أغنامهما من الماء.
(5) قال الجوهري: السلفع من النساء الجريئة السليطة، ابن كثير، ج 3، ص 384.
(6) تفسير ابن كثير، ج 3، ص 385.
(7) سورة الحشر، الآية 9.

النبي ﷺ أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم(1).

4 ـ في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾(2). أخرج البخاري بسنده عن يحي بن حنين أنه سمع ابن عباس يحدث عن عمر فقال: قلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، وفي رواية أخرى للبخاري بسنده عنه أنه قال: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت هذه الآية(3) يعني موافقة له في كلامه.

ثامناً ـ عبدالله بن عمر بن الخطاب:

أ ـ ترجمته:

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي الزاهد، وأمه وأم أخته حفصة زينب بنت مطعون بن حبيب الجمعي، أسلم مبكراً مع أبيه وهو لم يبلغ الحلم وهاجر قبله وأول غزوة حضرها مع رسول الله ﷺ الخندق كما حضر بقية المشاهد بدون استثناء(4). وكان رضي الله عنه شديد التمسك والأتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازله ويصلي في كل مكان صلى فيه ويبرك ناقته في المكان الذي تبرك فيه ناقة الرسول ﷺ وكان من المكثرين لرواية الحديث عن الرسول الكريم. توفي رضي الله تعالى عنه سنة خمس وسبعين من الهجرة إثر مقتل ابن الزبير وصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفي ودفن

(1) صحيح البخاري، ج 6، ص 185.
(2) سورة التحريم، الآيتان 4 ـ 5.
(3) صحيح البخاري، ج 6، ص 195.
(4) تهذيب الأسماء واللغات بتصرف، ج 1، ص 279.

بالمحصب قرب مكة وعمره ست وثمانون سنة[1]، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ب ـ مبلغه من العلم والتفسير:

كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه من علماء الصحابة وفقهائهم المهتمين بالحديث والتفسير يدل لهذا ما ذكره النووي عن الزهري أنه قال: لا يعدل برأي ابن عمر فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر الصحابة، وقال جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما: لم يكن أحد منهم (يعني صحابة رسول الله ﷺ) ألزم بطريق رسول الله ﷺ ولا أتبع من ابن عمر[2]. وروى ابن جريج عن عمرو بن دينار أنه قال: كان ابن عمر يعد من فقهاء الأحداث[3]. وهو أحد العبادلة الأربعة الذين اشتهروا بالفقه والحديث وهم ابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وابن عباس، اشتهروا بهذا اللقب لأنهم عاشوا طويلاً حتى احتاج الناس إلى علمهم وإذا اتفقوا على أمر قيل هذا قول العبادلة أو فعلهم[4]. قال الإمام البخاري أصح الأسانيد مطلقاً مالك عن نافع عن ابن عمر ويسمي هذا الإسناد مسبك الذهب[5]. ويكفيه فضلاً وشرفاً شهادة الرسول ﷺ له بالصلاح. روي في الصحيحين عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه أن النبي ﷺ قال فيه: نعم الرجل عبدالله بن عمر لو كان يصلي من الليل. قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً[6].

(1) المصدر السابق، ص 281.
(2) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 3، ص 379.
(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 280.
(4) المصدر السابق.
(5) المصدر السابق.
(6) المصدر السابق، ج 1، ص 282.

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(1). فسّر ابن عمر رضي الله تعالى عنه الفتنة في هذه الآية وأبدى فيها رأياً خالف فيها غيره من الصحابة. أخرج البخاري بسنده عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير، فقالا: إن الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي. قالا: ألم يقل الله: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة(2) وحتى يكون الدين لغير الله(3).

2 ـ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾(4). أخرج الإمام الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء(5).

3 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾(6). قال السيوطي: قال ابن عمر في تفسير هذه الآية: خاشعون برؤوسهم فلم يرفعوا أبصارهم بعد ذلك في الصلاة، ولم يلتفتوا يميناً وشمالاً. وفي رواية أخرى عنه: كانوا إذا قاموا إلى الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى

(1) سورة البقرة، الآية 193.
(2) لقد فسرت الفتنة عند المفسرين غير ابن عمر بأنها الشرك، وأما ابن عمر فيرى أنها المحنة والعوائق التي تقف أمام انتشار الإسلام وتطبيق تعاليمه كما يفهم من كلامه في تفسير الآية.
(3) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 227.
(4) سورة آل عمران، الآية 128.
(5) الترمذي، ج 5، ص 228.
(6) سورة المؤمنون، الآية 1 ـ 2.

موضع سجودهم وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتوا يميناً وشمالاً[1].

4 - في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾[2]. قال ابن كثير: أخرج الطبري بسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال في هذه الآية: يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيأة الزكام، ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكن كالرأس الحنيذ أي المشوي على الرضف[3].

تاسعاً - عبدالله بن عمرو بن العاص:

أ - ترجمته:

هو أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي الزاهد العابد. أسلم قبل أبيه، وكان بينه وبين أبيه في السن اثنتا عشرة سنة، وأمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية، أسلمت وصحبت النبي ﷺ. فهو صحابي ابن صحابي وابن صحابية. مدحهم النبي ﷺ فقال: نعم أهل البيت عبدالله وأبو عبدالله وأم عبدالله. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مني إلا عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب[4]. قال النووي وإنما قلت الرواية عنه مع كثرة ما حمل لأنه سكن مصر وكان الواردون إليها قليلاً بخلاف أبي هريرة فإنه استوطن المدينة وهي مقصد المسلمين من كل جهة[5]. وقد حضر مع أبيه فتح الشام وكانت معه راية أبيه في هذا الفتح. توفي رضي الله عنه بمصر سنة ثمان وستين وعمره اثنتان وسبعون سنة[6].

---

(1) الدر المنثور، ج 5، ص 3.
(2) سورة الدخان، الآية 10.
(3) تفسير ابن كثير، ج 4، ص 139. هكذا فيه ولعله تحريف والصواب يكونا.
(4) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 282.
(5) المصدر السابق.
(6) المصدر السابق، ص 283.

ب ـ علمه وتفسيره:

كان عبدالله بن عمرو من علماء الصحابة الأجلاء كتب الحديث وقرأ الكتب القديمة. وهو الوحيد من الصحابة الذي أذن له الرسول في كتابة الحديث. وكان يقول: حفظت من الرسول ﷺ ألف مثل[1]. كتب الأحاديث في صحيفة سماها الصادقة، وكان يقول في ذلك ليس بيني وبينه (يعني الرسول ﷺ) أحد، ويقول في حديثه عن نفسه: لخير أعمله اليوم أحب إليّ من مثليه مع رسول الله ﷺ، لأنا كنا مع الرسول تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا وإنا اليوم مالت بنا الدنيا[2]. ولقد أعانه على الفهم العميق للآيات القرآنية ملازمته للنبي ﷺ وروايته عن عدد من الصحابة منهم عمر وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وأخذ عنه من الصحابة عبدالله بن عمر ومن التابعين سعيد بن المسيب وطاووس وعكرمة وغيرهم. وأصح الأسانيد عنه ما يرويه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله[3].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[4]. أخرج الإمام أحمد بسنده عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: «يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيراً وحرزاً للأميين وأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبض حتى يقيم به الله الملة العوجاء بأن

(1) المصدر السابق.
(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص .
(3) مباحث في علوم الحديث، صبحي الصالح، ص 374.
(4) سورة البقرة، الآية 119.

يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً[1].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[2]. أخرج الطبري بسنده إلى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، قال: إن أشد الناس عذاباً ثلاثة؛ المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون[3].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[4]. أخرج الطبري بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال في تفسير هذه الآية: إن لله مائة رحمة أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة يتراحم بها الإنس والجن والطير والبهائم وهوام الأرض[5].

4 ـ رأيه رضي الله تعالى عنه في آخر ما نزل من القرآن: أخرج الترمذي بسند حسن عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: آخر سورة أنزلت المائدة، وقال ابن عباس: آخر سورة أنزلت: إذا جاء نصر الله والفتح. ويمكن التوفيق بينهما بأن المائدة آخر ما نزل من السور الطوال والنصر آخر ما نزل من المفصل ـ القصار[6].

---

(1) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 162.
(2) سورة المائدة، الآية 115.
(3) ابن جرير الطبري، ج 7، ص 88.
(4) سورة الأنعام، الآية 12.
(5) الطبري، ج 7، ص 100.
(6) التاج الجامع للأصول، ج 4، ص 101.

عاشراً - أبو موسى الأشعري:

أ - ترجمته:

هو أبو موسى عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار الكوفي الأشعري نسبة إلى أحد أجداده اليمنيين، وأمه طيبة بنت وهب أسلمت وتوفيت بالمدينة. أسلم قبل الهجرة وقدم إلى النبي ﷺ بمكة. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد فتح خيبر[1]، واستعمله الرسول ﷺ مع معاذ بن جبل على اليمن وفي زمن عمر ولي البصرة والكوفة وكان من العلماء العاملين الصالحين، يحب تلاوة القرآن وقد أعطاه الله تعالى صوتاً حسناً فكان رضي الله عنه إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن. استمع الرسول ﷺ مرة لقراءته وقال: لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود[2]. قال النهدي: ما سمعت طنبوراً ولا صنجاً ولا مزماراً أحسن من صوت أبي موسى، كان يصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة. وكان أبو موسى صواماً قواماً كبير القدر وكان قارىء أهل البصرة وفقيههم من صحابة رسول الله ﷺ[3] دعا له الرسول ﷺ فقال: اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً. توفي بالكوفة سنة ثلاث أو أربع وأربعين من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة رضي الله عنه وأرضاه[4].

ب - مبلغه من العلم وفضله:

كان رضي الله عنه من علماء الصحابة وفقهائهم يدل لهذا ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب أنه لما سئل عنه قال: لقد صبغ في العلم صبغاً ثم خرج منه[5]. وقال أبو اسحاق: سمعت الأسود يقول: لم أر بالكوفة أعلم من

---

(1) تهذيب الأسماء اللغات، ج 2، ص 268.
(2) رواه مسلم في صحيحه، ج 16، ص 60.
(3) نفس المصدر السابق.
(4) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 269.
(5) تذكرة الحفاظ للذهبي، ص 23.

كان العلم يؤخذ من ستة؛ عمر وعلي وزيد وقال الشعبي: علي وأبي موسى، وفي رواية أخرى عنه قال: قضاة الأمة أربعة: عمر وعلي وزيد وأبو موسى[1].

ج - أمثلة مختارة من تفسيره:

1 - في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ...﴾[2]، أخرج الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ رفع أحدهما وبقي الآخر، «وما كان ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»[3].

2 - في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[4]. أخرج ابن أبي حاتم والديلمي عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: «وفصل الخطاب، قال أول من قال: أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب»[5].

3 - في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[6]. أخرج ابن سعد عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال في هذه الآية: «من علم علماً فيعلمه ولا يقولن ما ليس له به علم فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين»[7].

4 - في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[8]. أخرج الحاكم

---

(1) المصدر السابق.
(2) سورة الأنفال، الآية 33.
(3) مسند أحمد بن حنبل، ج 5، ص 534.
(4) سورة ص، الآية 20.
(5) الدر المنثور للسيوطي، ج 5، ص 300.
(6) سورة ص، الآية 86.
(7) السيوطي، مرجع سابق، ص 322.
(8) سورة المدثر، الآيتان 50ـ 51.

وابن أبي حاتم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى فرّت من قسورة. قال هم الرماة رجال القنص[1].

أحد عشر - أنس بن مالك الأنصاري:

أ- ترجمته:

هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي وأمه أم سليم سهلة بنت ملحان خالة رسول الله ﷺ من الرضاع، وهي من فضليات الصحابيات وهي التي جاءت بابنها أنس ليخدم الرسول ﷺ فخدمه عشر سنين وكان يتسمى بخادم رسول الله ﷺ ويفتخر بذلك وحق له أن يفتخر[2] وهو من الصحابة المشهود لهم بالتقوى والورع لطول معاشرته لرسول الله ﷺ. قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم وأثنى عليه عمر فقال: إنه فتى لبيب كاتب[3].

وكان من المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ. هاجر إلى المدينة وعمره عشر سنين، وكان من أكثر الصحابة مالاً وولداً. وعمّر طويلاً ببركة دعاء الرسول ﷺ له بذلك[4] أما أسانيده فأصحها ما رواه مالك عن الزهري عنه وأضعفها ما رواه داورد بن المحبر عن أبيه عن أبان بن عياش عنه[5]. سكن البصرة في آخر عمره وتوفي بها بعد ما جاوز المائة سنة ثلاث وتسعين من الهجرة رضي الله عنه وأرضاه[6].

---

(1) السيوطي، مرجع سابق، ص 286.
(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 127.
(3) صبحي الصالح، ص 364.
(4) تهذيب الأسماء واللغات، مصدر سابق.
(5) صبحي الصالح، مصدر سابق.
(6) المصدر السابق.

ب - أمثلة من تفسيره:

1 - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[1]. أخرج الترمذي بسنده عن عاصم الأحول قال: سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال: كانا من شعائر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله إن الصفا والمروة من شعائر الله... الآية[2].

2 - في قوله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾[3]. أخرج الطبري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: فليغيرن خلق الله قال: الإخصاء[4].

3 - في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[5]. أخرج البخاري بسنده عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في قوله: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً قال: الحديبية[6].

4 - في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[7]. أخرج البزاز وابن أبي حاتم بسندهما عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في قوله عز وجل: ولدينا مزيد. قال: يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة[8].

---

(1) سورة البقرة، الآية 158.

(2) الترمذي، ج 5، ص 209.

(3) سورة النساء، الآية 119.

(4) ابن جرير الطبري، ج 9، ص 244.

(5) سورة الفتح، الآيتان 1 ـ 2.

(6) البخاري، ج 6، ص 169.

(7) سورة ق، الآية 34ـ 35.

(8) تفسير ابن كثير، ج 4، ص 228.

اثنا عشر - جابر بن عبدالله الأنصاري:

أ- ترجمته:

هو أبو عبد الرحمن جابر بن عبدالله الصحابي بن الصحابي بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي أحد المكثرين لرواية الحديث. كان هو وأبوه وخاله من أهل بيعة العقبة في السبعين من الأنصار استشهد أبوه يوم أحد ولم يحضر هو بدراً ولا أحداً طاعة لوالده ثم لم يتخلف بعدها عن أي غزوة من غزوات الرسول ﷺ[1]. حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً نافعاً وله منسك صغير في الحج أخرجه مسلم في صحيحه روى عنه أنه قال: استغفر لي الرسول ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة.

قدم جابر إلى مصر والشام فكان الناس يأخذون عنه العلم حيثما وجدوه، وفي المسجد النبوي بالمدينة كانت له حلقة يجتمع عليه الناس فيها وينتفعون بعلمه وتقواه. والمشهور أن أصح الأسانيد عنه ما رواه أهل مكة من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عنه[2] توفي بالمدينة بعد أن كف بصره وبلغ[3] أربعاً وتسعين سنة في العام الثامن والسبعين من الهجرة رضي الله عنه وأرضاه.

73هـ

ب- أمثلة من تفسيره:

1- في قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[4] أخرج البخاري بسنده عن عمرو قال: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما يقول: فينا نزلت «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما» قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب وقال سفيان

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج 1، ص 142 باختصار.

(2) صبحي الصالح، ص 370.

(3) تهذيب الأسماء واللغات، مصدر سابق.

(4) سورة آل عمران، الآية 122.

مرة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما[1].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2] أخرج ابن جرير بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال في هذه الآية: يبعثون على ما كانوا عليه المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه[3].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[4] أخرج الطبري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: الصلاة الوسطى صلاة الصبح[5].

4 ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[6]. أخرج الطبري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما أنه قال في هذه الآية: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية[7].

تراجم مختصرة للمقلين من التفسير؛ وهم أربعة

أولاً ـ عثمان بن عفان أمير المؤمنين:

أ ـ ترجمته:

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المكي ثم المدني. الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ. ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل. وأمه أروى بنت كريز بن

---

(1) صحيح البخاري، ج 6، ص 47.
(2) سورة الأعراف، الآية 29.
(3) الطبري، ج 8، ص 116.
(4) سورة البقرة، الآية 238.
(5) الطبري، ج 2، ص 350.
(6) سورة الفتح، الآية 1.
(7) تفسير الطبري، ج 25، ص 44.

ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. كان رضي الله تعالى عنه من السابقين إلى الإسلام، أسلم على يد أبي بكر الصديق وهاجر الهجرتين؛ هاجر أولاً إلى الحبشة وثانياً إلى المدينة. وعدّه الرسول ﷺ من البدريين وأسهم له مع أنه لم يحضر غزوة بدر لكونه تخلف لتمريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ[1] وهو من المبشرين بالجنة ومن الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ.

تولى الخلافة بالبيعة سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بثلاثة أيام. روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وغيرهم، وروى عنه أولاده وعبدالله بن مسعود وابن عمر وابن عمرو وابن عباس وابن الزبير وزيد بن ثابت وأبو هريرة. توفي إلى رحمة الله تعالى مقتولاً شهيداً بعد حصار دام مدة طويلة في بيته سنة خمس وثلاثين هجرية وعمره بضع وثمانون سنة[2].

ب ـ علمه وفضله:

كان عثمان رضي الله تعالى عنه من علماء الصحابة وفضلائهم وأجوادهم، فكان سبّاقاً إلى بذل المال في سبيل الله وإنفاقه الانفاق العظيم، فقد اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم وهبها للمسلمين وجهز جيش العسرة بتسعة وخمسين بعيراً وخمسين فرساً. قال عبد الرحمن السلمي راوي الحديث: رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه وفي رواية أخرى أنه قال له بعد تبرعه: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين[3].

وكان رضي الله تعالى عنه صهر الرسول ﷺ متزوجاً بنته رقية ـ كما تقدمت الإشارة ـ وبعد وفاتها زوجه الرسول ﷺ أختها أم كلثوم، ولهذا لقب بذي

---

(1) وكان تخلفه بإذن رسول الله ﷺ، فجاء البشير بنصر المؤمنين في بدر يوم دفنوها بالمدينة رضي الله تعالى عنها. انتهى، من المصدر السابق.

(2) من تهذيب الأسماء واللغات بتصرف، ج 1، ص 321.

(3) الروايتان رواهما الترمذي، الأولى بسند جيد والثانية قال عنها حديث حسن، انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج 1، ص 324.

النورين. روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول عثمان أوصلنا للرحم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: عثمان رضي الله عنه أوصلهم للرحم وأتقاهم للرب[1]. ومن مآثره الجليلة الدالة على وفور علمه وحصافة رأيه أمره بجمع القرآن في مصحف واحد لما رأى الخلاف وقع بين المسلمين فقد كانوا يقرأون بقراءات مختلفة على ما أقرأهم رسول الله ﷺ وأصحابه إلى وقت عثمان فبادر إلى جمعهم على مصحف واحد. ولذلك نسب المصحف إليه. قال زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه: رأيت أصحاب محمد يقولون أحسن والله عثمان وكذلك علي بن أبي طالب قال: لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

ثانياً ـ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه؛ ترجمته، علمه وفضله:

هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر[2] الدوسي الأزدي، أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة، وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه وواظب على مجالسته رغبة في العلم حتى صار أحفظ أصحابه للحديث والتفسير. وكان عريف أهل الصفة[3] المنقطعين للعلم والجهاد والعبادة. وقد استجاب الله تعالى دعاء النبي ﷺ له بالحفظ، لأنه كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائطهم، ويشهد له الرسول بأنه

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 463.

(2) اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كبيراً والصحيح الذي صححه البخاري ما ذكرت ويدل له ما رواه ابن اسحاق عن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسميت في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: ما هذه؟ قلت هرة قيل فأنت أبو هريرة ويروى أن القائل له هذا هو رسول الله ﷺ ا.هـ، الاستيعاب، ج 4، ص 206.

(3) الصفة مكان مظلل بالمسجد النبوي كانوا يقيمون فيه.

حريص على العلم والحديث. روي أنه قال يوماً: يا رسول الله إني قد سمعت منك حديثاً كثيراً وأنا أخشى أن أنسى، فقال: أبسط رداءك قال فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيئاً بعد[1].

ولهذا صار أول المكثرين لرواية الحديث فقد روى عن النبي ﷺ خمسة آلاف وثمانمائة وأربعة وسبعين حديثاً وروى أيضاً عن أبي بكر وعمر وأبيّ بن كعب وآخرين، وروى عنه ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس وغيرهم من الصحابة والتابعين قال البخاري: روي عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع[2] منهم المكثرون من الحديث والعلماء كابن عباس وجابر وابن جبير وابن سيرين دوّنها العلماء أصحاب الكتب في جميع المسانيد وله في الصحيحين (609) ستمائة وتسعة أحاديث. وأصح الأسانيد عنه ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عنه وأضعفها السري بن سليمان عن داوود بن يزيد الأودي عن والده عنه. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة سبع وخمسين هجرية بقصره بالعقيق.

ثالثاً ـ عبدالله بن الزبير؛ ترجمته وعلمه وفضله:

هو أبو بكر أو أبو حبيب عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المكي الصحابي ابن الصحابي، وأمه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق، وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

وهو أول مولود ولد للمهاجرين من قريش بعد الهجرة وكانت ولادته في السنة الثانية من الهجرة شهد اليرموك مع أبيه، وكان رأسا في الشجاعة والعبادة صواماً قواماً طويل الصلاة وصولاً للرحم[3]. وكان من علماء الصحابة قال

---

(1) الاستيعاب، ج 4، ص 209.

(2) طرح التثريب للعراقي، ج 1، ص 137.

(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 266.

القاسم بن محمد بن ابي بكر : ما احد أعلم بالمناسك من ابن الزبير[1].

وهو أحد العبادلة الأربعة الذين تقدم ذكرهم في ترجمة عبدالله بن عمر بن الخطاب واشتهر بالحديث والتفسير، روى عن النبي ﷺ وعن الخلفاء الأربعة وغيرهم. وروى عنه أخوه عروة وبنوه عباد وعامر وثابت وحفيده يحيى بن عباد وابن أخيه عبدالله بن عروة بن الزبير[2].

توفي إلى رحمة الله تعالى مقتولاً بعد حصاره في المسجد الحرام من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ثلاث وسبعين هجرية.

رابعاً ـ زيد بن ثابت الأنصاري؛ ترجمته، علمه وفضله:

هو أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد من بني مالك بن النجار الأنصاري المدني الفرضي، كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكاتب الصحف في عهد أبي بكر والمصاحف في عهد عثمان. كان عمره حين قدم الرسول ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة؛ لذا استصغره في بدر وشهد أحداً والخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وأعطاه راية بني النجار يوم تبوك. وقال: القرآن مقدم لأن زيداً كان أكثرهم أخذاً للقرآن وكان إلى جانب كتابة الوحي يكتب مراسلات الرسول إلى الناس، واستمر كاتباً لأبي بكر وعمر مدة خلافتهما.

وكان رضي الله تعالى عنه أعلم الصحابة بالفرائض لقوله ﷺ: أفرضكم زيد[3].

وقد كان له أصحاب تفقهوا به وأخذوا عنه العلم والتفسير، وكانت له مرويات كثيرة رواها عن النبي ﷺ وعن كبار الصحابة.

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ج 2، ص 302.
(2) المصدر السابق.
(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 200 ـ 201.

وروى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وانس وابو هريرة[1] وروى عنه أيضاً عدد كبير من التابعين منهم ابن المسيب وعطاء وأبان بن عثمان وغيرهم وتوفي إلى رحمة الله تعالى سنة أربع أو خمس واربعين هجرية بالمدينة المنورة رضي الله عنه وأرضاه.

(1) المصدر السابق بتصرف قليل.

القيمة العلمية
لتفسير الصحابة وحكمه ومميزاته

أولاً - قيمته:

اختلف العلماء في التفسير المنسوب إلى الصحابة دون إضافة إلى الرسول ﷺ. هل له حكم المرفوع إليه ﷺ مطلقاً أو مقيد بشروط أو هو موقوف عليهم ومعتبر من اجتهادهم في التفسير؟

قال الإمام الحاكم في مستدركه: ليعلم طالب الحديث أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند[1]، أي مرفوع والمقصود أن تفسيرهم مثل تفسيره ﷺ وهو مأخوذ منه لا تنقصه إلا إضافته إليه ﷺ غير أن هناك فريقاً من العلماء المحققين كابن الصلاح والنووي قيدوا هذا الاطلاق وشرطوا لاعتبار تفسير الصحابة مرفوعاً شرطين لا بد منهما، فإن فقدا أو أحدهما كان موقوفاً والشرطان هما:

1 - أن لا يكون المروي مما ليس للرأي فيه مجال كأسباب النزل وأحوال الآخرة وعلامات الساعة.

2 - أن يكون الصحابي الذي روى عنه هذا التفسير غير مشهور بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا أي غير معروف برواية الإسرائيليات.

قال ابن الصلاح في مقدمته: ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك مما لا

(1) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 1، ص 400.

يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي ﷺ ولا مدخل للرأي ليه.. فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى الرسول ﷺ، فمعدودة في الموقوفات، وهذا الشرط الذي ذكره ابن الصلاح قد تنبه إليه الحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث» وقيد به تفسير الصحابي كما قيده ابن الصلاح ومن معه. ومن هنا قال العلماء: إن كلام الحاكم المطلق في المستدرك محمول على المقيد في علوم الحديث مع إضافة الشرط الثاني وهو عدم اشتهار الراوي بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا.

والخلاصة: أن تفسير الصحابة له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول أو مما ليس للرأي فيه مجال، أما ما كان للرأي فيه مجال فهو موقوف عليهم ومعتبر من اجتهاداتهم ما دام لم يسندوه إلى الرسول ﷺ.

ثانياً - حكم قبول تفسير الصحابة:

أما ما حكم عليه بالرفع فهو مقبول بالاتفاق، ولا يجوز العدول عنه إلى غيره. وأما ما حكم عليه بالوقف فقد اختلفت فيه أنظار العلماء؛ فمنهم من قال: أن التفسير الموقوف على الصحابي لا يجب الأخذ به لوقوعه بالاجتهاد والمجتهد قد يصيب وقد يخطىء.

وذهب آخرون إلى القول بأنه ينبغي الأخذ به لظن سماعهم له من الرسول ﷺ، ولأنهم وإن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب من رأي غيرهم لكونهم أدرى الناس بالكتاب الذي نزل بين أظهرهم وهم أهل اللسان وفرسان اللغة وتشرفوا ببركة الرسول ﷺ وتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه واسترشدوا بإرشاداته. قال شيخنا الذهبي: وهذا الأخير هو الذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب[1]. وأيضاً رجحه الإمام الزركشي في البرهان وابن كثير في التفسير[2].

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 96.
(2) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 2، ص 183.

ثالثاً ـ مميزات التفسير في عصر الصحابة:

من الأمثلة التي عرضت فيما تقدم من التفسير المرفوع إلى النبي ﷺ ومن تفسير الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ذكر العلماء أن التفسير في هذا العصر ـ عصر النبي ﷺ والصحابة ـ يمتاز بميزات عديدة وفي الأسطر التالية إجمال لأهمها:

1 ـ أن تفسيرهم لم يكن شاملاً للقرآن كله بل هو مقتصر على ما غمض على بعضهم وهو ـ وإن كان كثيراً في نفسه ـ قليل بالنسبة للقرآن كله لأن التفسير كما تقدم تابع للغموض الذي كان قليلاً في أول الأمر وكلما ازداد الغموض زاد التفسير.

2 ـ قلة الخلاف في تفسير الآيات وهو ـ وإن وقع أحياناً ـ فهو خلاف تنوع في العبارة فقط وليس اختلاف تناقض وتضاد، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

3 ـ إنهم كثيراً ما كانوا يكتفون ببيان المعنى الإجمالي دون تفصيل ولا يلزمون أنفسهم بتتبع معاني الألفاظ والتراكيب فمثلاً عندما يفسر الواحد مثل قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبࣰّا * وَعِنَبࣰا وَقَضۡبࣰا * وَزَيۡتُونࣰا وَنَخۡلࣰا * وَحَدَآئِقَ غُلۡبࣰا * وَفَٰكِهَةࣰ وَأَبࣰّا * مَّتَٰعࣰا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾[1]. يكتفي بقوله: إنها تعداد لنعم الله.

4 ـ اقتصارهم غالباً في تفسير المفردات اللغوية على أخصر لفظ وأوجزه كقولهم مثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبࣱ﴾ شديد بلاؤه[2].

5 ـ قلة الاستنباط للأحكام الفقهية من الآيات وعدم الانتصار للمذاهب الدينية، وهذا راجع لاتحادهم وعدم تفرقهم إلى مذاهب في الفقه والعقيدة.

6 ـ لم يدون شيء من التفسير في عصر الصحابة على الطريقة التي نعرفها اليوم

---

(1) سورة عبس، الآية 27ـ 32.

(2) سورة هود، الآية 77.

وذلك لأن التدوين لم يكن معروفاً عند الكثيرين منهم ولا منتشراً لديهم.
وما وجد من تفسير مدون عند بعض الصحابة كان مثبتاً في مصاحفهم الخاصة حتى ظنها بعض المتأخرين من وجوه القرآن التي نزل بها ولا يحق لأحد أن يعترض بتفسير ابن عباس المتقدم ذكره، وذلك لأن نسبته إلى ابن عباس غير مسلمة كما علمنا هناك.

7 ـ كان التفسير في عصرهم يروى وينقل مختلطاً بالحديث باعتباره نوعاً منه وجزءاً من أجزائه فلم ينفصل عنه في ذلك العصر ولم يكن منظماً حسب أبواب الفقه كما هو الحال في الوقت الحاضر، وإنما يروى منثوراً موزعاً حسب حاجة السائل الطالب للتفسير.

والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أسـئلة في هذا الفصل

س 1 : ما المراد من الصحابي؟ ومامعنى قول العلماء أن تفسير الصحابة يأتي في المرتبة الثالثة بعد التفسير بالقرآن وبالسنة المرفوعة؟ ثم حدد مواقف الصحابة الكرام من تفسير القرآن مبيناً المكثرين منهم للتفسير والذين اشتهروا به ولم يكثروا والمقلين مع ذكر السبب في كل وصف من هذه الأوصاف.

س 2 : هناك من الصحابة من تحرج من التفسير وابتعد عنه، بيّن هؤلاء المتحرجين، واذكر سبب تحرجهم ورأيك في المسألة.

س 3 : بيّن أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة، ثم تحدث عن المفسر الأول على الاطلاق من الصحابة ابن عباس مبيناً عنه ما يلي: ترجمته مختصرة، مبلغه من العلم والتفسير، ثناء الصحابة والخلفاء عليه، أسباب نبوغه وتفوقه في التفسير، الرواية عنه وطرقها الصحيحة عنه، أمثلة لا تقل عن ثلاثة من تفسيره.

س 4 : من هو ابن مسعود؟ ولماذا سمي بصاحب النعل والسِواد، مبيناً عنه ما يلي: مبلغه من العلم والتفسير وثناء الصحابة عليه، أمثلة من تفسيره لا تقل عن ثلاثة، الرواية عنه وطرقها الصحيحة عنه.

س 5 : اكتب مذكرة عن كل واحد من الصحابة الآتية أسماؤهم تتضمن ما يلي:

أ ـ ترجمته موجزة.

ب ـ مبلغه من العلم والتفسير وثناء العلماء عليه.

ج ـ أمثلة من تفسيره لا تقل عن ثلاثة.

والصحابة هم: علي بن أبي طالب ـ أبيّ بن كعب ـ أبو بكر الصديق ـ عائشة أم المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ـ عبدالله بن عمر ـ عبدالله بن عمرو بن العاص ـ أبو موسى الأشعري ـ أنس بن مالك ـ جابر بن عبدالله.

س 6: اكتب مذكرة عن المقلين من التفسير من الصحابة وهم عثمان بن عفان ـ أبو هريرة ـ عبدالله بن الزبير ـ زيد بن ثابت، تتضمن ما يلي: ترجمة موجزة لكل واحد منهم واسمه كاملاً وكنيته وتاريخ وفاته وفضله ومبلغه من العلم.

س 7: تحدث عن المميزات التي امتاز بها التفسير في عهد الصحابة مبيناً حكمه من حيث القبول أو الرد. واذكر القيمة العلمية لتفسير الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

الباب الثاني

التفسير في عصر التابعين
وبداية تدوينه في عصر أتباعهم
وأهم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور

تمهيد

هذا هو الأصل الرابع من أصول تفسير القرآن الكريم النقلية، وهو في المرحلة الثانية من مراحله ولا يزال ينقل نقلاً شفهياً في خطوته الأولى كحاله في عصر الصحابة غير أنه نما وانتشر في معظم الآيات القرآنية. وكان في نشأته الأولى قليلاً تبعاً للغموض الذي كان نادراً في عصر الصحابة مقتصراً على بعض الآيات في أول أمره، ثم تزايد فيما بعد على تدرّج حتى شمل معظم الآيات في عصر التابعين ومن بعدهم.

لهذا، ولحاجة المسلمين إلى الأحكام العملية المستنبطة من الآيات اشتدت حاجتهم إلى تفسير الآيات التي لم يرد فيها شيء من التفسير عن النبي ﷺ ولا عن صحابته رضي الله عنهم. فاتجه الناس إلى أعلام التابعين[1]. وثقاتهم[2]، ليفسروا لهم ما غمض عليهم من كتاب الله تعالى «القرآن الكريم».

هؤلاء الأعلام من التابعين الذين شهد الله تعالى ورسوله ﷺ بخيريّتهم وخيريّة أتباعهم كما شهد بخيريّة أسلافهم من الصحابة في القرآن والحديث الصحيح. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾[3]، وقال ﷺ: خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين

---

(1) التابعي هو: من لقي الصحابي وهو مؤمن بالنبي ﷺ سواء سمع من الصحابي أم لا وسواء طال اللقى أم لا/ويشترط الخطيب البغدادي صحبة الصحابي لا مجرد اللقاء فقط. انظر الإسرائيليات في كتب التفسير، ص 82، وعلوم الحديث لصبحي الصالح، ص 357.

(2) الثقات: جمع ثقة وهو العدل الضابط. انتهى من كتاب الإسرائيليات في كتب التفسير، مصدر سابق، ص 216.

(3) سورة التوبة، الآية: 100.

يلونهم[1]. فنما التفسير على أيديهم واستفاض حتى تناول جميع الآيات القرآنية في آخر عهدهم وفي بداية عهد أتباعهم.

وسيكون الكلام في هذا الباب موزعاً على ثلاثة فصول تتناول مصادر التفسير في عصر التابعين وأشهر المفسرين منهم وتراجمهم وأمثلة مختارة من تفاسيرهم والمدارس التفسيرية المعروفة في عدهم ثم بداية تدوين التفسير بالمأثور وانتشاره وتطوره وحكم التفسير المروي عن التابعين وبيان مميزاته وعقد مقارنة بين حالي التفسير في عصر الصحابة وعصر التابعين ثم ذكر أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، وبيان القيمة العلمية لهذا اللون من التفسير عموماً، وفي الأخير بيان نوع الخلاف بين السلف في التفسير. وفي الصفحات التالية تفصيل هذه الموضوعات.

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه بلفظ: عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً. . . الحديث، ج 5، ص 3. رواه مسلم بلفظ سئل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث. والتاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول، ج 3، ص 304.

الفصل الأول
مصادر التفسير في عصر التابعين
ومدارسه وأشهر المفسرين منهم

أما المصادر فقد اعتمد التابعون في تفاسيرهم على مصادر متعدّدة منها كتاب الله تعالى وما رووه عن الصحابة من تفسير رسول الله ﷺ وتفسيرهم باجتهادهم وما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا. هذا بالإضافة إلى ما يفتح الله به عليهم من اجتهاداتهم واستنباطاتهم استكمالاً لما فات من قبلهم ولم يرد فيه شيء عن أسلافهم من الصحابة معتمدين في ذلك على ما عرفوا من لغة العرب ومناحيهم في القول وأساليبهم في التعبير والبيان. وسيتضح لنا هذا من الأمثلة التي سأذكرها لهم إن شاء الله تعالى.

وأما المدارس التي عرفت بتفسير القرآن الكريم فهي كثيرة، ذكر العلماء منها ستا[1]، وهي مدرسة المدينة المنورة التي قام بالتدريس فيها علي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنهما، ومدرسة مكة المكرمة وأستاذها الأكبر حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومدرسة العراق التي اشتهر بالتدريس فيها عبدالله بن مسعود، ومدرسة الشام وفيها قام بالتدريس الصحابيان الجليلان أبو الدرداء الأنصاري وتميم الداري، ومدرسة مصر التي قامت على يدي عبدالله بن عمرو بن العاص، ومدرسة اليمن التي اشتهرت بمدرسة معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري، إلى غير ذلك من

(1) من الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 92 ـ 93، بتصرف.

المدارس التفسيرية التي كانت منتشرة في العواصم الإسلامية في هذا العصر وبعده. غير أنني سأقتصر في التفصيل على المدارس المشهورة فقط، وهي مدرسة المدينة، ومدرسة مكة، ومدرسة العراق. هذا وقد اشتهر بالتفسير في هذه المدارس وخارجها عدد كبير من علماء التابعين الكبار والصغار، وقد ترددت أسماؤهم في كتب التفسير بالمأثور مثل تفسير محمد بن جرير الطبري والدر المنثور للسيوطي، أذكر منهم العلماء الآتية أسماؤهم على سبيل الإجمال، وهم:

1 - أبو العالية زياد بن مهران
2 - زيد بن سالم
3 - محمد بن كعب القرظي
4 - سعيد بن المسيّب
5 - مجاهد بن جبر
6 - سعيد بن جبير
7 - عطاء بن أبي رباح
8 - عكرمة مولى ابن عباس
9 - مسروق بن الأجدع
10 - قتادة بن دعامة
11 - الحسن البصري
12 - الضحّاك بن مزاحم
13 - مرّة الهمداني
14 - علقمة بن قيس
15 - عامر الشعبي
16 - الأسود بن يزيد
17 - عمر بن عبد العزيز
18 - عبد الرحمن بن غنم
19 - رجاء بن حيوة
20 - كعب الأحبار
21 - يزيد بن أبي حبيب
22 - مرثد بن عبدالله
23 - طاووس بن كيسان
24 - وهب بن منبه
25 - اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير
26 - الربيع بن أنس[1].

(1) يلاحظ القارىء أن ذكرهم جاء مرتباً على ترتيب المدارس التي مرّ ذكرها فالأربعة الأوائل من مدرسة المدينة، والأربعة الذين يلونهم من مدرسة مكة والثمانية الذين بعد هؤلاء من مدرسة العراق، والأربعة بعد الثمانية من مدرسة الشام، والاثنان بعد الثمانية هؤلاء من مدرسة مصر والاثنان بعدهما من مدرسة اليمن وبقي اثنان وهما السدي والربيع لم تتعين نسبتهم لمدرسة معينة من هذه المدارس عندي والله أعلم.

وفي الصفحات التالية بيان لتراجم مختصرة لهؤلاء الأعلام، مع ذكر أمثلة مختارة من تفاسير أشهرهم ليستعين الطلاب ويستفيدوا منها ويعرفوا مدى اهتمام سلف هذه الأمة بهذا العلم - علم تفسير كتاب الله تعالى - ومجهوداتهم العظيمة فيه[1]. ويعرفوا فضلهم عليهم وعلى المسلمين عامة.

أولاً - من مدرسة المدينة المنورة:

كانت المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ دار الهجرة والموطن الذي تأسست فيه دولة الإسلام الأولى بقيادة الرسول الكريم ﷺ، وبقيت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى مقراً للخلافة الراشدة حتى سنة أربعين هجرية ثم انتقلت الخلافة إلى الشام في عهد خلفاء بني مية ولكن لا زال للمدينة مركزها العلمي المرموق والمكانة العالية في قلوب المسلمين لبقاء جمهور الصحابة الذين أخذ عنهم التابعون العلم والتفسير فيها[2].

(1) أبو العالية زياد بن مهران

ترجمته - مكانته في التفسير - أمثلة من تفسيره:

أ - ترجمته:

هو أبو العالية زياد[*] بن مهران الرياحي مولاهم أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، روى عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين توفي سنة 90 هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(1) وسيرى القارىء أنني اقتصرت في التفصيل الكامل على اثني عشر من التابعين الذين ذكروا واكتفيت بالتعريف الموجز بباقيهم وبقي ثلاثة وهم كعب ووهب وابن جريج سيأتي الكلام عليهم في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

(2) محمد محمد أبو شهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 97.

(*) وقيل اسمه رفيع بضم الراء وفتح الفاء وتسكين الياء. المصدر السابق ص 215، وله ترجمة في تهذيب التهذيب ج 3، ص 287. وفي خلاصة تهذيب الكمال، ص 101. وفي اللباب ج 1، ص 423.. وفي العبر ج 1، ص 108.

ب ـ مكانته من العلم والتفسير:

قرر العلماء أن أبا العالية من ثقاة التابعين المشهورين بالتفسير قال عنه ابن معين وأبو زرعة وابن أبي حاتم: أنه ثقة، وقال العجلي: تابعي ثقة من كبار التابعين، وقد أجمع أصحاب الكتب الستة على الأخذ عنه، وكان رحمه الله تعالى يحفظ القرآن ويتقنه، وقال أبو داوود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية[1].

روى عن أبيّ بن كعب نسخة كبيرة في التفسير ورواها عنه الربيع بن أنس وأبو جعفر الرازي وهي صحيحة كما تقدم في ترجمة أبيّ بن كعب وروى عنه من التابعين بديل بن ميسرة وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما[2].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾[3].

أخرج الطبري بسنده عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في هذه الآية قال: فرق به بين الحق والباطل[4] وهو تفسير للفرقان في الآية.

2 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[5].

روى ابن جرير الطبري بسنده عن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن أبي العالية: «ومن يتبدل الكفر بالإيمان» يقول: يتبدل الشدة بالرخاء. ولعله أراد من قوله هذا ما يصير إليه حال المؤمن وحال الكافر في الآخرة كما أوضحه الطبري وبيّن وجهته فقال: بعد أن ذكر القول المتبادر من الآية

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 115 بتصرف.
(2) محمد أبو شهبة في الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث، ص 97 ـ 98.
(3) سورة البقرة، الآية 53.
(4) جامع البيان، ج 1، ص 225.
(5) سورة البقرة، الآية 108.

بقوله: «يعني بالكفر الجحود بالله وبآياته، بالإيمان يعني التصديق بالله وبآياته والإقرار به» «ولا أعرف الشدة في معاني الكفر ولا الرخاء في معنى الإيمان إلا أن يكون قائل ذلك أراد بتأويله الكفر بمعنى الشدة في هذا الموضع وبتأويله الإيمان بمعنى الرخاء، وما أعد الله للكفار في الآخرة من الشدائد وما أعد الله لأهل الإيمان فيها من النعيم»[1].

3 - في قوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2].

أخرج محمد بن جرير الطبري بسنده عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في هذا الآية قال: «السلام لا يؤذيه بردها ولولا أنه قال: وسلاماً لكان البرد أشد عليه من الحر»[3].

4 - في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[4].

أخرج الطبري بسنده عن أبي العالية أنه قال في هذه الآية: أمّرنا مثقلة جعلنا عليها مترفيها مستكبريها، وفي رواية أخرى عنه ذكرها السيوطي يقول: أمرنا عليهم أمراء[5].

5 - في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾[6].

أخرج عبد بن حميد وآخرون عن الربيع بن أنس قال: قلت لأبي العالية: قال الله تعالى: وذكر هذه الآية وقال: ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون[7] فكيف هذا؟ قال نعم أما قوله: لا تختصموا لدي فهؤلاء أهل

---

(1) الطبري، ج 1، ص 387.
(2) سورة النساء، الآية 69.
(3) الطبري، ج 7، ص 34.
(4) سورة الإسراء، الآية 16.
(5) الطبري، ج 15، ص 42، والدر المنثور، ج 4، ص 169.
(6) سورة ق، الآية 28.
(7) سورة الزمر، الآية 31.

الشرك وقوله: ثم إنكم يوم القيامة... الآية، فهؤلاء أهل القبلة يختصمون في مظالمهم[1].

(2) زيد بن أسلم[*]

ترجمته ـ مكانته في التفسير ـ أمثلة من تفسيره:

أ ـ ترجمته:

هو أبو أسامة أو أبو عبدالله زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسّر، كان والده ـ أسلم ـ مولى لعمر بن الخطاب، أخذ العلم عن والده وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعن عائشة أم المؤمنين وغيرهم، وأخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس إمام دار الهجرة، توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ست وثلاثين ومائة هجرية[2].

ب ـ مكانته من العلم والتفسير:

كان زيد رحمه الله تعالى معروفاً بغزارة العلم بدليل ما رواه البخاري في تاريخه من أن علي بن الحسين كان يجلس إليه ويترك ما سواه قائلاً: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وقال فيه الإمام أحمد وجماعة: إنه ثقة ويروي له أصحاب الكتب الستة، وكان لا يتحرج من تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد لما روي عن عبيدالله بن عمر ما يشهد بهذا[3].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4].

---

(1) الدر المنثور للسيوطي، ج 6، ص 106.
(2) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 97.
(3) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 117.
(4) سورة البقرة، الآيتان 1 ـ 2.
(*) له ترجمة في تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 132. وفي خلاصة تهذيب الكمال، ص108. وفي طبقات القراء لابن الجزري، ج 1، ص 296.

أخرج الطبري بسنده عن عبدالله بن وهب قال: سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قوله الله: «الم ذلك الكتاب...» والم تنزيل والم تلك، فقال: قال أبي: «إنما هي أسماء السور»[1].

2 - في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن زيد بن أسلم أنه قال في هذه الآية: هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسواري منهم كردم ومرداس وأبو لبابة[3].

3 - في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا.. ﴾[4].

أخرج الطبري بسنده عن زيد بن أسلم قال: لما أطلق ﷺ أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسواري قالوا يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها فأنزل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها... الآية.

4 - في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ... ﴾ الآية، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾[5].

أخرج ابن جرير بسنده عن زيد بن أسلم في قوله: شهادة بينكم الآية كلها قال: كان ذلك في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام وذلك في أول الإسلام والأرض حرب والناس كفار إلا أن رسول الله ﷺ وأصحابه

---

(1) تفسير الطبري، ج 1، ص 67.
(2) سورة التوبة، الآية 102.
(3) جامع البيان، ج 11، ص 12.
(4) سورة التوبة، الآية 103.
(5) سورة المائدة، الآية 106. وتمامها: ﴿ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾.

بالمدينة وكان الناس يتوارثون بينهم بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل المسلمون بها[1].

(3) محمد بن كعب القرظي

ترجمته ـ مكانته في التفسير ـ أمثلة من تفسيره:

أ ـ ترجمته:

هو أبو حمزة محمد بن كعب القرظي نسبة إلى بني قريظة حلفاء الأوس، روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 118 هـ وعمره ثمانٍ وسبعون سنة، وروى عنه جماعة من كبار التابعين وصغارهم منهم عمرو بن دينار وأبو سهيل ومحمد بن المكندر وزيد بن أسلم[2].

اشتهر محمد بن كعب رحمه الله تعالى بالثقة والعدالة والورع وكثرة الحديث وتأويل القرآن. قال عنه ابن سعد: كان ثقة عالماً، كثير الحديث، ورعاً. وقال العجلي: مدني، تابعي، ثقة، رجل صالح عالم بالقرآن. وقال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن حبان: كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً. وقال النووي عنه: وهو تابعي جليل من كبار التابعين[3].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ . . . ﴾[4].

---

(1) الدر المنثور للسيوطي، ج 2، ص 343.

(2) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج 1، ص 90.

(3) انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 116، ثم ذكر سبب وفاته فقال: وكان يقص في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقف فمات هو وجماعة معه تحت الهدم رحمه الله رحمة واسعة.

(4) سور هود، الآية 114.

أخرج محمد بن جرير الطبري بسنده إلى محمد بن كعب القرضي في هذه الآية قال: طرفي النهار؛ الفجر والظهر والعصر[1].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ . . . ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن أبي حمزة عن محمد بن كعب القرضي أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوماً وهو على المدينة يومئذ فقال: يا أبا حمزة آية أسهرتني البارحة قال محمد وما هي أيها الأمير؟ قال: «قول الله تعالى يأيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم». فقال محمد: أيها الأمير: «إنما عني الله بالذين آمنوا الولاة من قريش من يرتد عن الحق[3].

3 ـ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

أخرج الطبري بسنده عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرضي وغيره قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها فأتاه أعرابي اخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: الله فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه وضرب برأسه الشجرة حتى انتشر دماغه فأنزل الله: «والله يعصمك من الناس»[5].

(1) الدر المنثور للسيوطي، ج 12، ص.
(2) سورة المائدة، الآية 54.
(3) جامع البيان، ج 16، ص 199.
(4) سورة المائدة، الآية 67.
(5) جامع البيان، ج 6، ص 199.

(4) سعيد بن المسيب(*)

ترجمته ـ مبلغه من العلم ـ أمثلة من تفسيره:

أ ـ ترجمته:

هو أبو محمد سعيد بن المسيب[1] بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي التابعي إمام التابعين أبوه وجده صحابيان ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر بن الخطاب وسمع منه ومن عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان وابن عمر وغيرهم، وروى عنه جماعة من أعلام التابعين منهم عطاء بن أبي رباح ومحمد الباقر وغيرهما واتفق الجميع على إمامته وتقدمه على أهل عصره في الفضيلة ووجوه الخير، توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ثلاث وتسعين هجرية.

ب ـ مكانته من العلم بالتفسير:

كان سعيد رحمه الله تعالى من علماء أهل المدينة وفقهائهم شهد بهذا عدد من العلماء منهم محمد بن يحيى بن حبان. فقال: كان (يعني سعيد بن المسيب) رأس أهل المدينة في دهره المقدم عليهم وهو أحد الفقهاء السبعة فيها. وقال علي بن المديني شيخ البخاري: لا أعلم أحداً في التابعين أوسع علماً من سعيد بن المسيب وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به، ثم قال وهو عندي أجل التابعين.

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ

---

(1) قال النووي: ويقال المسيب بفتح الياء وكسرها والفتح هو المشهور وحكي أنه كان يكرهه ومذهب أهل المدينة الكسر، ج 1، ص 219، هامش من تهذيب الأسماء واللغات.

(*) له ترجمة في الأعلام للزركلي، ج 3، ص 102. وفي طبقات ابن سعد، ج 5، ص 88، وفي وفيات الأعيان، ج 1، ص 206، وحلية الأولياء، ج 2، ص 161.

ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[1].

أخرج الطبري بسنده عن عطاء الخرساني عن سعيد بن المسيب فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات. قال: تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة[2].

2 - في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

أخرج الطبري بسنده عن قتادة عن سعيد بن المسيب «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا» قال في الصلاة[4].

3 - في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[5].

أخرج الطبري بسنده عن الزهري عن ابن المسيب في قوله والمحصنات من النساء، قال: هن ذوات الأزواج حرم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها قال معمر: وقال الحسن مثل ذلك[6].

4 - في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[7].

أخرج الطبري بسنده عن ابن صياد عن سعيد بن المسيب، قال: الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله[8] وعن ابن عمر ومجاهد مثله.

---

(1) سورة الفرقان، الآية 70.
(2) جامع البيان، ج 19، ص 30.
(3) سورة الأعراف، الآية 204.
(4) جامع البيان، ج 9، ص 110.
(5) سورة النساء، الآية 24.
(6) جامع البيان، ج 5، ص 3.
(7) سورة الكهف، الآية 46.
(8) جامع البيان، ج 15، ص 166.

ثانياً ـ من مدرسة مكة المكرمة:

مدرسة مكة أصل مدارس التفسير وأعلمها به لوجود ابن عباس «حبر الأمة وترجمان القرآن» على رأس أساتذتها الذي دعا له الرسول ﷺ بالفقه والتأويل وهو التفسير قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس[1] ثم ذكر منهم عدداً تقدم بيانهم في أول هذا الفصل.

ومن أشهر علماء مكة من التابعين من يلي:

(1) مجاهد بن جبر المكي

ترجمته ـ مكانته في التفسير ـ أمثلة من تفسيره:

أ ـ ترجمته:

هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المقري المفسر المكي المخزومي مولى السائب بن أبي السائب ولد سنة 21 هـ. في خلافة عمر بن الخطاب. قال النووي: وهو تابعي إمام متفق على جلالته وإمامته سمع من ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم وآخرين من الصحابة، وسمع منه خلائق من التابعين منهم طاوس وعكرمة وعمرو بن دينار والأعمش وغيرهم[2]. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 104 هجرية وهو ساجد بمكة المكرمة[3].

ب ـ مكانته من العلم بالتفسير:

كان مجاهد رحمه الله تعالى من أكابر العلماء التابعين وخصوصاً في التفسير متفق على إمامته وجلالته وتوثيقه في الحديث[4]. واستدلوا على ذلك

---

(1) مقدمة في أصول التفسير، ص 24.
(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 82.
(3) لمجاهد ترجمة في تذكر الحفاظ، ج1، ص92. وفي تهذيب التهذيب، ج10، ص 42. وفي حلية الأولياء، ج 2، ص 279. وفي خلاصة تهذيب الكمال، ص 215.
(4) النووي في تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 83.

بقوله المروي عنه: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة. وفي رواية أخرى عنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيم نزلت وكيف كانت[1].

وقد نقل عنه البخاري في كتاب التفسير من الصحيح، وهذه شهادة من البخاري على توثيقه وعدالته. وأخرج له ابن جرير الطبري كثيراً في تفسيره، وقال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك[2].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[3].

أخرج الطبري بسنده عن مجاهد في معنى قوله تعالى يتلونه حق تلاوته. قال: يتبعونه حق اتباعه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر. وفي رواية أخرى عن مجاهد ذكرها الطبري أيضاً فقال: يعملون به حق عمله[4].

2 ـ في معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

أخرج الطبري بسنده عن مجاهد قال في تفسير هذه الآية: أنه سيكون في ذريتك ظالمون، ثم قال الطبري: وأما نصب الظالمين فلأن العهد هو الذي لا ينال الظالمين. وذكر أنه في قراءة ابن مسعود لا ينال عهدي الظالمون... بمعنى أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله وإنما جاز

---

(1) التفسير والمفسرون نقلاً عن تهذيب التهذيب، الأول، ج 1، ص 041، والثاني، ج 10، ص 42. وقال الذهبي: ولا تعارض بين الروايتين لأن الأخبار بالكثير لا ينافي الأخبار بالقليل ولعله عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة لتمام الحفظ ودقة التجويد، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات لطلب التفسير، فلا إشكال.

(2) أبو شهبة، ص 94.

(3) سورة البقرة، الآية 121.

(4) جامع البيان، ج 9، ص 412، والدر المنثور للسيوطي، ج 1، ص 111.

(5) سورة البقرة، الآية 124.

الرفع في الظالمين والنصب وكذلك في العهد لأن كل ما نال المرء فقد ناله المرء كما يقال: نالني خير فلان ونلت خيره اهـ. وفي رواية أخرى عن مجاهد أيضاً قال: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به[1].

3 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن مجاهد قوله يؤتي الحكمة من يشاء... الآية، قال: ليست بالنبوءة ولكنه القرآن والعلم والفقه، وفي رواية أخرى عنه قال: الكتاب يؤتي أصابته من يشاء[3].

4 ـ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ...﴾[4].

أخرج ابن جرير وابن المنذر ومحمد بن نصر والبيهقي في الدلائل عن مجاهد رضي الله تعالى عنه في قوله: نافلة لك. قال: لم تكن النافلة لأحد إلا للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما عمل من عمل مع المكتوب فهو نافلة له سوى المكتوب من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب فهي نوافل له وزيادة والناس يعملون ما سوى المكتوب في كفارة ذنوبهم فليس للناس نوافل إنما هي للنبي ﷺ خاصة[5].

---

(1) جامع البيان، ج 1، ص 414.
(2) سور البقرة، الآية 269.
(3) الدر المنثور، ج 1، ص 348.
(4) سورة الإسراء، الآية 79.
(5) الدر المنثور للسيوطي، ج 4، ص 196.

(2) سعيد بن جبير(*)

ترجمته ـ مكانته في التفسير ـ أمثلة من تفسيره:

أ ـ ترجمته:

هو أبو محمد أو أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم كان رحمه الله تعالى حبشي الأصل أسود اللون أبيض الخصال أخذ القراءة عن ابن عباس عرضاً وسمع منه التفسير والفقه وأكثر روايته عنه، وقد جمع القراءات الباقية عن الصحابة وكان يقرأ بها وحدث عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم، وقرأ عليه أبو عمرو والمنهال ابن عمرو وجعفر بن أبي المغيرة والأعمش وغيرهم من التابعين. توفي إلى رحمة الله تعالى مقتولاً على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 90 من الهجرة وعمره 49 سنة(1).

ب ـ منزلته من العلم والتفسير:

كان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع وغيرها من صفات أهل الخير(2). لذا نجد أستاذه ابن عباس يثني عليه وينوه بمكانته ويعبر عن ثقته الكبيرة فيه وفي علمه فكان يحيل عليه من يستفتيه ويقول لأهل الكوفة إذا أتوه ليستفتوه أليس فيكم ابن أبي الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير.

وقال اسماعيل بن عبد الملك: كان سعيد بن جبير يؤمّنا في رمضان فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وعن أشعث بن اسحاق قال: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء، وقال النووي: ومناقبه كثيرة مشهورة(3).

---

(1) طبقات المفسرين للداودي، ج 1، ص 181.

(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 216.

(3) المصدر السابق.

(*) لسعيد بن جبير ترجمة في تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 76. وفي تهذيب التهذيب، ج 4، ص 11. وفي حلية الأولياء، ج 4، ص 272. وفي وفيات الأعيان، ج 2، ص 112.

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى . . . ﴾[1].

أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله اليوم أكملت لكم دينكم . . قال: تمام الحج ونفي المشركين عن البيت[2].

2 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[3].

أخرج الطبري ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله: والذين صبروا يعني على أمر الله (ابتغاء وجه ربهم) يعني ابتغاء رضى ربهم (وأقاموا الصلاة) يعني وأتموها (وأنفقوا مما رزقناهم) يعني من الأموال (سراً وعلانية) يعني في حق الله تعالى وطاعته، ، (ويدرءون) يعني ويدفعون (بالحسنة السيئة) يعني يردون معروفاً على من يسيء إليهم (أولئك لهم عقبى الدار) يعني دار الجنة[4].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[5].

أخرج عبدالله بن أحمد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه في قوله: أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال هو الموت ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت فكونوا الموت إن استطعتم فإن الموت سيموت وروى مثله عن ابن عباس وابن عمر[6].

---

(1) سورة المائدة، الآية 3.

(2) الدر المنثور للسيوطي، ج 2، ص 258.

(3) سورة الرعد، الآية 22.

(4) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 4، ص 57 ـ 58.

(5) سورة الإسراء، الآيتان 50 ـ 51.

(6) الدر المنثور للسيوطي، ج 4، ص 187.

4 - في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾[1].

أخرج محمد بن جرير الطبري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار» هم كفار قريش[2].

5 - في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[3].

أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: الخشية حكمة من خشي الله فقد أصاب أفضل الحكمة[4].

(3) عطاء بن أبي رباح

ترجمته - منزلته من العلم والتفسير - أمثلة من تفسيره

أ - ترجمته:

هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم وأصله من اليمن ولد في آخر خلافة عثمان بن عفان سنة سبع وعشرين هجرية وهو من موالي قريش ولهذا يقال عنه القرشي. وهو معدود من كبار التابعين نشأ بمكة المكرمة وكان رحمه الله تعالى أسود اللون أفطس أعرج وقد عمي في آخر عمره. سمع من العبادلة الأربعة وجماعات من الصحابة وغيرهم، وأخذ عنه جماعات من التابعين منهم عمرو بن دينار والزهري وقتادة بن دعامة. توفي إلى رحمة الله تعالى بمكة المكرمة سنة خمس عشرة ومائة هجرية رحمه الله تعالى رحمة واسعة[5].

---

(1) سورة الرعد، الآية 28.

(2) جامع البيان، ج 13، ص 147.

(3) سورة البقرة، الآية 269.

(4) الدر المنثور للسيوطي، ج 1، ص 348.

(5) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 334.

ب ـ مكانته من العلم والتفسير:

كان عطاء رحمه الله تعالى من كبار التابعين وساداتهم علماً وفقهاً وفضلاً وورعاً. وهو عند أصحاب الكتب الستة[1] يروون عنه ويوثقونه وهو مفتي مكة. قال النووي: واتفقوا على توثيقه وجلالته وإمامته. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سفيان الثوري عن عمرو بن سعيد عن أمه قالت: قدم علينا ابن عمر مكة فسألوه فقال ابن عمر: تجمعون لي المسائل وفيكم ابن أبي رباح[2].

وقال ربيعة: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى. وعن محمد الباقر قال: ما بقي أحد من الناس أعلم بمناسك الحج من عطاء[3].

هذه الأقوال تدل في وضوح على مكانة عطاء العلمية عند الناس ومبلغ ثقتهم به على العموم في التفسير وغيره.

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾[4].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عطاء أنه قال في هذه الآية: في صفوف الصلاة والقتال[5].

2 ـ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[6].

أخرج وكيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح بأنه بلغه لما أنزلت: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم»

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) سورة الحجر، الآية 24.

(4) تهذيب الأسماء واللغات، المصدر السابق.

(5) الدر المنثور، ج 4، ص 97.

(6) سورة البقرة، الآية 186.

قالوا لو نعلم أي ساعة ندعو فنزلت «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون»[1].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن حجاج بن أرطأة عن عطاء قال: يوم الحج الأكبر: يوم النحر[3].

4 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(*).

أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء رضي الله تعالى عنه قال: لا يدخل الحرم كله مشرك وتلا هذه الآية(**).

(4) عكرمة مولى ابن عباس

ترجمته ـ منزلته من العلم والتفسير ـ أمثلة من تفسيره

أ ـ ترجمته:

هو أبو عبدالله عكرمة مولى ابن عباس الهاشمي، أصله بربري من بلاد المغرب، وهومن كبار التابعين سمع الحسن بن علي وابن عباس وأبا قتادة وابن عمر وابن عمرو وأبا هريرة وغيرهم، وسمع منه وروى عنه جماعات من التابعين منهم أبو الشعثاء والشعبي والنخعي وابن سيرين وغيرهم. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة (104) هـ أربع ومائة هجرية[4].

---

(1) الدر المنثور للسيوطي، ج 1، ص 194.
(2) سورة التوبة، الآية 3.
(3) جامع البيان، ج 10، ص 53.
(4) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 341.
(*) سورة التوبة، الآية 28.
(**) الدرالمنثور، ج 3، ص 227.

ب ـ منزلته من العلم والتفسير:

كان عكرمة رحمه الله تعالى من كبار علماء التابعين في التفسير والحديث. قال سعيد بن أبي عروبة: أعلم الناس أربعة عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن. وقال سلام بن مسكين عن قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة فاقصدوه. وقال يحيى بن أيوب المصري: سألني ابن جريج هل كتبتم عن عكرمة؟ قلت: لا. قال: فاتكم ثلث العلم. وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة. وقال النسائي: ثقة، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عكرمة فقال: ثقة قلت يحتج بحديثه. قال: نعم[1].

وغير هذا من شهادات العلماء له كثير وكلها تؤكد أنه أمين في روايته مقدم في علمه مبرز في فهمه لكتاب الله تعالى كما نراه في الأمثلة من تفسيره التي سيأتي ذكرها.

غير أن هناك اختلافاً ورد في شأنه عن بعض العلماء فمنهم من وثقه كما علمنا سابقاً ومنهم من طعن فيما روي عنه ولكن البحث الجاد والتمحيص الدقيق يؤكدان أن كل المطاعن الموجهة إليه لا أساس لها ولا ينبغي أن يلتفت إليها[2]. ولعل ما وجه إليه من نقد كان بسبب جرأته على التفسير بالرأي والاجتهاد كما قال ابن أبي حاتم: وإنما أنكر عليه مالك ويحيى ابن سعيد لرأيه[3].

ج ـ أمثلة مختلفة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[4].

---

(1) انظر تهذيب التهذيب، ج 7، ص 266. وتذكرة الحفاظ، ج 1، ص 95.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 109، وما بعدها.

(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 341.

(4) سورة آل عمران، الآية 112.

أخرج محمد بن جرير الطبري بسنده عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: «إلا بعهد من الله وعهد من الناس». وكذلك روى هذا التفسير عن الربيع بن أنس وابن جريج والسدي ومجاهد[1].

2 - في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً . . ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن سليمان الأحول عن عكرمة قال: لما أنزلت هذه الآية: «ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله». . . إلى قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]. قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون». ونزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ . . . ﴾[4]. وفي رواية أخرى ذكرها الطبري بسند آخر عن سليمان الأحول عن عكرمة قال: سمعته يقول: «لما نزلت إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً» وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب. . . إلى قوله: «ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون». قال المنافقون: هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه - وقد كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم - فأنزل الله: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة». . . إلى قوله: «لعلهم يحذرون»، ونزلت «والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له. . .» الآية[5].

---

(1) جامع البيان، ج 4، ص 12.
(2) سورة التوبة، الآية 122.
(3) سورة التوبة، الآية 120.
(4) سورة الشورى، الآية 16.
(5) جامع البيان، ج 11، ص 50.

3 ـ في تفسير الماعون في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1].

روى ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة. ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله عكرمة حسن فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة[2].

4 ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ...﴾ الآية[3].

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة رحمه الله: «ولا يزالون مختلفين» قال: اختلاف الملل، «إلا من رحم ربك» قال أهل القبلة، ولذلك خلقه قال للرحمة[4].

ثالثاً ـ من مدرسة العراق:

مدرسة العراق إحدى المدارس التفسيرية التي أصبح لها شأن ملحوظ في عصر التابعين وكان تلاميذها موزعين فرقتين؛ منهم من كان مقيماً في البصرة، ومنهم أصحاب ابن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه أستاذ مدرسة الكوفة الذي بعثه عمر بن الخطاب معلماً مع عمار بن ياسر الذي أرسله والياً عليها، فأصبح تلاميذه وتلاميذ مدرسة البصرة متأثرين بطريقته في الاجتهاد في الفقه والتفسير وهي جرية الرأي وحسن التصرف في النصوص الشرعية[5]. وعلى أساس من هذه المدرسة نشأ مذهب أهل الرأي في العراق في مقابل مذهب أهل

(1) سورة الماعون، الآيات 4 ـ 7.

(2) تفسير ابن كثير، ج 4، ص 556.

(3) سورة هود، الآية 118 ـ 119.

(4) الدر المنثور للسيوطي، ج 3، ص 351.

(5) من كتاب الإسرائيليات والموضعات في كتب التفسير، بتصرف، ص 98 ـ 99. والتفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 118.

الحديث في الحجاز ومن أشهر تلاميذ مدرسة العراق عموماً من يلي.

(1) قتادة بن دعامة(*)

ترجمته - منزلته من العلم بالتفسير - أمثلة من تفسيره

أ - ترجمته:

هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي الآكمه[1]، العربي الأصل كان يسكن البصرة ولد سنة إحدى وستين من الهجرة. أخذ العلم والتفسير عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعمران بن الحصين وأبي الطفيل وروى عنه كثير من التابعين منهم أيوب السختيان والأعمش وجرير بن حازم وشعبة. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 117 هـ، وله من العمر ست وخمسون سنة[2].

ب - مبلغه من العلم والتفسير:

كان قتادة رحمه الله تعالى على مبلغ كبير من العلم فوق ما اشتهر به من معرفته بالتفسير. قال النووي: وأجمعوا على جلالته وتفوقه وتوثيقه وحفظه واتقانه وفضله. قال بكر بن عبدالله: من سره أن ينظر إلى أحفظ رجل أدركنا وأحرى أن يؤدي الحديث كما سمعه فلينظر إلى قتادة[3]. وقال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري ثم قتادة[4]. وقال سعيد بن المسيب عنه - بعد أن قدم له قتادة أسئلة متعددة وأجابه عنها ثم اختبره فوجده يحفظها كلها مع أجوبتها - ما كنت أظن أن الله خلق مثلك. وقال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس[5].

---

(1) الأكمة هو من لد أعمى ودعامة بكسر الدال والسدوسي نسبة إلى سدوس أحد أجداده، انظر النووي في تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 54.

(2) تهذيب التهذيب، ج 8، ص 351.

(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 54.

(4) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 123.

(5) المصدر السابق.

(*) له ترجمة في خلاصة تهذيب الكمال، ص 268، وفي وفيات الأعيان، ج 2، ص248. وفي اللباب، ج 1، ص 537.

وقال ابن حبان في الثقات: كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه[1] ومما يدل على حفظه ونباهته وقوة ذاكرته ما رواه النووي عن المدائني قال: سأل أعرابي على باب قتادة وانصرف[2] ففقدوا قدحاً فحج قتادة بعد عشر سنين فوقف أعرابي فسأله فسمع قتادة كلامه فقال: هذا صاحب القدح فسألوه فأقر[3]. وقد شهد له أصحاب الكتب الستة وأحمد بن حنبل بالحفظ والاتقان ورووا له في مصنفاتهم واحتجوا به رحمه الله تعالى.

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

أخرج الطبري بسنده عن همام قال: حدثنا يحيى قال: سمعت قتادة في قول الله تعالى: «فأينما تولوا فثم وجه الله» قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وبعدما هاجر رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام فنسخها الله في آية أخرى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[5] قال: فنسخت هذه الآية ما كان قبلها في أمر القبلة[6].

2 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[7].

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 57.
(2) الظاهر أنه سأل حاجة ليستعين بها في أمر معاشه.
(3) تهذيب الأسماء واللغات، مصدر سابق.
(4) سورة البقرة، الآية 115.
(5) سورة البقرة، الآية 144.
(6) جامع البيان، ج 1، ص 400.
(7) سورة البقرة، الآية 45.

أخرج عبد بن حميد بسنده عن قتادة في قوله: «واستعينوا بالصبر والصلاة» قال إنهما معونتان من الله فاستعينوا بهما[1].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن قتادة أنه قال في هذه الآية: حبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به هذا القرآن[3].

4 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[4].

أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: والعصر... قال: ساعة من ساعات النهار، وفي قوله: وتواصوا بالحق.. قال: كتاب الله، وتواصوا بالصبر.. قال: طاعة الله[5].

5 ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[6]. أخرج محمد بن جرير الطبري بسنده عن قتادة، قال: لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا أللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم، وقال الحسن أللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد. وروى مثل هذا عن عدد من الصحابة منهم ابن عباس وكعب بن عميرة وعبد الرحمن بن بشر بن مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنهم[7].

---

(1) الدر المنثور، ج 1، ص 65.

(2) سورة آل عمران، الآية 103.

(3) جامع البيان للطبري، ج 4، ص 21.

(4) سورة العصر، الآيتان 1 ـ 2.

(5) الدر المنثور، ج 6، ص 392.

(6) سورة الأحزاب، الآية 56.

(7) جامع البيان، ج 22، ص 32.

(2) الحسن البصري(*)

ترجمته ـ منزلته من العلم والتفسير ـ أمثلة من تفسيره

أ ـ ترجمته:

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري فهو من موالي زيد بن ثابت الأنصاري. وأمه خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونشأ بوادي القرى فصيحاً[1] زاهداً ورعاً واعظاً لا يجاري في وعظه ولا يداني في مبلغ تأثيره. روى عن عدد من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وابن عمر وأنس بن مالك وعمران بن الحصين وعمرو بن تغلب وغيرهم، وعن خلائق من التابعين وسمع منه خلائق من التابعين منهم حميد الطويل وقتادة وأيوب وعوف الأعرابي وبكر بن عبدالله البزني وغيرهم. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة (110) هـ عشر ومائة هجرية وعمره ثمانية وثمانون سنة[2].

ب ـ مكانته في العلم والتفسير:

كان الحسن البصري رحمه الله تعالى من كبار التابعين المبرزين علماً وفضلاً وغزارة علم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. قال عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا، وقال سليمان التميمي: الحسن شيخ أهل البصرة، وقال أبو عوانة عن قتادة، قال: ما جالست فقيهاً قط إلا رأيت فضل الحسن عليه. وكفانا دليلاً على ثقته اعتماد أهل كتب الحديث السنة

---

(1) ذكر النووي سبب فصاحته فقال: فربما خرجت أمه في شغل فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله تعالى عنها ثديها فيدر عليه فيرون أن تلك الفصاحة والحكم من ذلك اهـ. ج 1، ص 161. من تهذي الأسماء واللغات.

(2) التفسير والمفسرون، ج1، ص124 نقلاً عن تهذيب التهذيب، ج2، ص263 ـ 270.

(*) له ترجمة في تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 71. وفي وفيات الأعيان، ج 1، ص 354. وفي حلية الأولياء، ج 2، ص 131. وفي ميزان الاعتدال، ج 1، ص 527.

عليه[1] قال النووي: وروينا عن محمد بن سعد قال: كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة فأجلسوه على سرير واجتمع الناس إليه فيهم طاوس وعطاء ومجاهد وعمرو بن شعيب فحدثهم فقالوا أو قال بعضهم: لم ير مثل هذا قط[2].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: الفيء الاشهاد، وفي رواية أخرى أخرجها عبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد عنه قال: الفيء الجماع، فإن كان له عذر من مرض أو سجن أجزؤه أن يفيء بلسانه[4].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ. . . ﴾[5].

أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن البصري: «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» قال: التبديل في الدنيا يبدل بالعمل السيء العمل الصالح وبالشرك إخلاصاً وبالفجور عفافاً ونحو ذلك[6].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[7].

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن في هذه الآية

---

(1) تهذيب التهذيب، ج 2، ص 263.

(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 163.

(3) سورة البقرة، الآية 226.

(4) الدر المنثور، ج 1، ص 271.

(5) سورة الفرقان، الآية 70.

(6) الدر المنثور، ج 5، ص 79.

(7) سورة آل عمران، الآية 90.

قال: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد في كتابهم وأقروا به وشهدوا أنه حق فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسداً للعرب حين بعث من غيرهم[1].

4 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ . . . ﴾[2].

أخرج ابن جرير وأبوالشيخ عن الحسن «تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حيّ الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد[3].

(3) مسروق بن الأجدع(*)

ترجمته ـ مبلغه من العلم والتفسير ـ أمثلة من تفسيره

أ ـ ترجمته:

هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمذاني الكوفي العابد العالم العامل[4]. روى عن الخلفاء الأربعة وابن مسعود وخباب بن الأرث وزيد بن ثابت وابن عمر وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، وروى عنه وسمع منه عدد من التابعين منهم أبو الضحى وأبو وائل وسليم بن أسود والشعبي والنخعي وآخرون. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة اثنتين أو ثلاث وستين هجرية[5]. 62، 63 هـ

(1) الدر المنثور للسيوطي، ج 2، ص 49.
(2) سورة آل عمران، الآية 27.
(3) الدر المنثور، ج 2، ص 15. والطبري، ج 3، ص 150.
(4) أبو شهبة، ص 99.
(5) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 88. والإصابة ت 8406.
(*) له ترجمة في الإصابة، ج 3، ص 8406. وفي الأكليل، ج 10، ص 77. وفي التهذيب، ج 10، ص 109. وقيل أنه سرق في صغره ثم وجد فسمي بذلك، هامش التفسير والمفسرون، ج 1، ص 129.

ب ـ مبلغه من العلم بالتفسير:

اشتهر مسروق رحمه الله تعالى بأنه كان أعلم أصحاب ابن مسعود لما امتاز به من غزارة العلم والعدالة والورع، وكان شريح القاضي يستشيره في معضلات المسائل. قال الإمام النووي: واتفقوا على جلالته وتوثيقه وفضيلته وإمامته، وقال الشعبي: ما علمت أحداً كان أطلب للعم من مسروق. . وقال علي بن المديني شيخ البخاري: لن أقدم على مسروق أحداً من أصحاب ابن مسعود[1]. وقيل أنه حج فما نام إلا ساجداً على وجهه[2]. وذكره ابن حبان في الثقاة وقال: كان مسروق من عباد أهل الكوفة وقد أخرج له الأئمة أصحاب الكتب الستة[3] وهذا وحده دليل على عدالته وثقتهم به.

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1 ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[4].

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مسروق أنه سئل عن الآية التي في سورة النساء فمن لم يجد فصيام شهرين. صيام الشهرين عن الرقبة وحدها أو عن الدية والرقبة؟ فقال: من لم يجد فهو عن الدية والرقبة[5]. وقد رجح الطبري بعد ذكر هذه الرواية أن الصوم عن الرقبة دون الدية وذلك لأن دية الخطأ على العاقلة وليست على القاتل والكفارة على القاتل بإجماع.

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 88.
(2) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 6، ص 79.
(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 120.
(4) سورة النساء، الآية 92.
(5) الدر المنثور، ج 2، ص 195. والطبري، ج 5، ص 135.

2 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ... ﴾[1].

أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن أبي الضحى عن مسروق «والشجرة الملعونة في القرآن» قال: شجرة الزقوم[2].

3 ـ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ... ﴾[3].

أخرج الطبري بسنده إلى مسروق قال: والله ما نزلت (يعني هذه الآية) في عبدالله بن سلام ما نزلت إلا بمكة، وإنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة وإنما كانت خصومة خاصم بها محمد ﷺ قومه قال: فنزلت «قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بين إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم» قال: فالتوراة مثل القرآن وموسى مثل محمد ﷺ فآمنوا بالتوراة وبرسولهم وكفرتم.

4 ـ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4].

أخرج عبد الرزاق بسنده عن مسروق بن الأجدع قال: شارب الخمر كعابد الوثن وشارب الخمر كعابد اللات والعزى[5].

---

(1) سورة الإسراء، الآية 60.
(2) الطبري، ج 15، ص 78.
(3) سورة الأحقاف، الآية 10.
(4) الدر المنثور، ج 2، ص 326.
(5) سورة المائدة، الآيتين 90 ـ 91.

(4)عامر الشعبي

ترجمته ـ مكانته في العلم والتفسير ـ أمثلة من تفسيره

ا ـ ترجمته:

هو أبو عمرو عامر بن شراحبيل بن عبد الشعبي[1] الحميري الكوفي لتابعي الجليل قاضي الكوفة، ولد سنة ست وعشرين هجرية، وكان نحيفاً نئيلاً[2]، روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم[3] وسمع من بي هريرة وعائشة أم المؤمنين وابن عباس وأبي موسى الأشعري وغيرهم ثير من الصحابة ذكر منهم ابن سعد في الطبقات ما لا يقل عن خمس عشرين[4].

ـ مبلغه من العلم والتفسير:

كان الشعبي رحمه الله تعالى عالماً غزير العلم بالتفسير والفقه والمغازي. لى القضاء بالكوفة، وكان قوي الذاكرة، جيد الحفظ. روي عنه قوله: ما تبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ولا حدثني رجل حديث فأحببت أن يعيده علي[5].

وقد وثقه ابن حبان وأبو زرعة وابن معين ومر عليه عبدالله بن عمر وهو حدث بالمغازي فقال: لقد شهدت القوم فلهو أحفظ وأعلم بها، وقد اعتمده

---

(1) الشعبي نسبة إلى ذي الشعبين اسم جبل باليمن نزله أحد أجداده ودفن به هو وولده فمن كان منهم بالكوفة قيل له شعبيون ومنهم عامر الشعبي هذا انتهى من الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 6، ص 246 ـ 247.

(2) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج 6، ص 247.

(3) خلاصة تهذيب الكمال، ص 155، انظر الذهبي، ج 1، ص 121.

(4) الطبقات الكبرى، ج 6، ص 246.

(5) الطبقات الكبرى، ج 6، ص 244.

أصحاب كتب الحديث الستة، وقال ابن سيرين: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير.

وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن الشعبي أنه قال: والله ما من آية إلا سألت عنها ولكنها الرواية عن الله[1].

ويفهم من هذه الرواية وغيرها أن الشعبي كان رجلاً نقاداً للمفسرين في عصره وذكر أبو حيان أن الشعبي كان لا يعجبه تفسير السدي ويطعن عليه وعلى أب صالح لأنه كان يراهما مقصرين في النظر. قال شيخنا الذهبي بعد ذكر ما تقدم ملخصه: كل هذه الشهادات من العلماء تدل على مبلغ علم الشعبي وعظيم حظه منه على اختلاف فنونه من حديث إلى تفسير إلى فقه إلى شعر إلى قوة حفظ وكثرة أخذ عن الصحابة وعلماء الأمصار المختلفة.... ثم يقول: فإنه مع ذلك لم يكن جريئاً على كتاب الله حتى يقول فيه برأيه بل كان يتحرج من ذلك ويتوقف عن إجابة سائليه إذا لم يكن عنده شيء عن السلف. انتهى[2].

ج ـ أمثلة مختارة من تفسيره:

1) في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ... ﴾[3] الآية.

أخرج الطبري بسنده عن أبي خالد قال: رأيت الشعبي وصف لنا التيمم فضرب بيديه إلى الأرض ضربة ثم نفضها ومسح وجهه ثم ضرب أخرى فجعل يلوي كفيه إحداهما على الأخرى ولم يذكر أنه مسح الذراع[4] وفي

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 121.
(2) الذهبي في التفسير والمفسرون، ج1، ص123. وانظر البحر المحيط، ج1، ص 13.
(3) سورة النساء، الآية 43.
(4) جامع البيان، ج 5، ص 70.

رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أيضاً أنه قال: لا يصلي بالتيمم إلا صلاة واحدة[1].

2 ـ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2].

أخرج الطبري بسنده عن الشعبي أنه قال: على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فإن تاب وأنس منه خيراً جازت شهادته وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته[3].

3 ـ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ .. ﴾ السورة. أخرج الطبري بسنده عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أنه قال: الصمد الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب[4].

4 ـ في الآيات الثلاث في سورة المائدة: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، وفي الآية الثانية ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، وفي الآية الثالثة ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[5].

أحرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن الشعبي قال: الثلاث آيات التي في المائدة ومن لم يحكم بما أنزل الله أولها في هذه الأمة، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى[6].

---

1) المصدر السابق نفسه.
2) سورة النور، الآية 4.
3) جامع البيان، ج 18، ص 60.
4) المصدر السابق، ج 30، ص 222.
5) سورة المائدة، الآيات 44 ـ 47.
6) الدر المنثور للسيوطي، ج 2، ص 286.

ﺭﺍﺟﻢ ﺑﻘﻴﺔ ﺍﻟﻤﻔﺴﺮﻳﻦ ﻣﻦ ﺍﻟﺘﺎﺑﻌﻴﻦ ﺍﻟﻤﺘﻘﺪﻡ ﺫﻛﺮﻫﻢ:

بعد الانتهاء من الكلام على أهم مدارس التفسير وأشهر تلاميذها وأمثلة ن تفاسيرهم، يحسن أن يعرف الطالب نبذة مختصرة عن بقية من ذكروا من تابعين الذين لهم دور في التفسير ليكون على بينة ومعرفة ولو باختصار بهؤلاء رجال الذين نقلوا إلينا التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ وصحابته ـ رضي الله الى عنهم ـ وقد جاء ترتيبهم على حسب سني وفاتهم، وفيما يلي البيان:

1 ـ علقمة بن قيس النخعي؛ ترجمته، علمه وفضله

ـ ترجمته:

هو أبو شبل علمقة بن قيس بن عبدالله بن مالك ابن علقمة النخعي نسبة ى أحد أجداده. الكوفي التابعي كانت ولادته في عهد الرسول ﷺ ولم يره فهو ن كبار التابعين وعم الأسود بن يزيد الآتي ذكره. سمع من عمر وعلي وعثمان خباب بن الأرث وحذيفة وأبي موسى الأشعري وسلمان الفارسي وغيرهم من صحابة رضي الله تعالى عنهم[1].

يعد من أشهر الرواة عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. وروى عنه ماعة من التابعين منهم أبو وائل وإبراهيم النخعي والشعبي وابن سيرين وعبد حمن بن يزيد وأبو الضحى وغيرهم توفي إلى رحمة الله تعالى سنة اثنتين ستين هجرية وعمره تسعون سنة رحمه الله تعالى.

ـ علمه وفضله:

كان علقمة رحمه الله تعالى من أجلاء التابعين وفقهائهم البارعين تقدميهم في العلم والتفسير. قال النووي: وأجمعوا على جلالته وعظم محله فور علمه وجميل طريقته. وقال إبراهيم النخعي: كان علقمة يُشبَّه بابن عود، وكان أصحاب عبدالله الذين يُقرئون الناس ويعلمونهم السنة ويصدر

---

1 تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج 1، ص 342. ترجمته رقم 425.

الناس عن رأيهم ستة وذكر منهم علقمة والأسود[1]. وقال السبيعي ومرة: كان علقمة من الربانيين. وقال الفضل بن دكين: كان علقمة ثقة كثير الحديث[2]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: ثقة من أهل الخير وهو عند أصحاب الكتب الستة هذه الشهادات من العلماء تدل على عظيم فضل علقمة ووفرة علمه في الحديث والتفسير والفقه[3] رحمه الله تعالى وأجزل له الثواب.

2 ـ الأسود بن يزيد؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي وهو ابن أخي علقمة المتقدم قبله قريباً وكان أكبر في السن من علقمة، وكان الأسود رحمه الله تعالى من كبار التابعين من أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، وكان صواماً قواماً حجاجاً، ثقة عند العلماء وثقة ابن معين، وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: هو ثقة من أهل الخير ولهذا قال النووي: واتفقوا على توثيقه وجلالته[4]. روى عن أبي بكر وعمر وعلي وحذيفة وبلال وغيرهم[5] وروى عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه عبد الرحمن بن زيد وابن أخيه إبراهيم النخعي وأبو اسحاق السبيعي وآخرون. قال شيخنا الذهبي: كان رحمه الله تعالى ثقة صالحاً على جانب عظيم من الفهم لكتاب الله تعالى... وهو عند أصحاب كتب الحديث الستة[6]. توفي إلى رحمة الله تعالى بالكوفة سنة أربع وسبعين هجرية[7].

---

1) تهذيب التهذيب، ج 7، ص 276. نقله الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 119.
2) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ج ، ص . والطبقات الكبرى، ص 91.
3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 119.
4) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 122.
5) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 161.
6) المصدر السابق، ج 1، ص 121.
7) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 342.

3 ـ مرة الهمذاني؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو اسماعيل مرة بن شراحيل الهمذاني الكوفي المفسّر ويقال له مرة الخير ومرة الطيب لزهده وعبادته. روى عن أبي بكر وعمر وأبي ذر وابن مسعود وأبي موسى رضي الله تعالى عنهم، وروى عنه أسلم الكوفي واسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير وعطاء بن السائب واسماعيل بن أبي خالد وحصين بن عبدالرحمن وآخرون[1]. وثقة ابن معين والعجلي وهو عند أصحاب كتب الحديث الستة. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ستة وسبعين هجرية[2].

76

4 ـ عبد الرحمن بن غنم الأشعري؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو عبد الرحمن بن غنم بن كريب بن هانىء الأشعري فقيه الشام وصاحب معاذ بن جبل، وعليه تفقه عامة التابعين بالشام وكانت له جلالة وقدر. بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه الناس بها. عدّه ابن سعد من طبقة التابعين الأولى[3]. وهو تابعي مخضرم كان مسلماً في عهد الرسول ﷺ ولم يره. وروى عنه مرسلاً وسمع عمر بن الخطاب وعلياً ومعاذاً وأبا الدرداء وأبا ذر وأبا مالك لأشعري رضي الله تعالى عنهم. وروى عنه خلائق من التابعين. توفي إلى حمة الله تعالى سنة ثمان وسبعين هجرية[4].

5 ـ مَرثَد بن عبدالله اليَزَني[5]؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزني الحميري من تلاميذ مدرسة مصر لتفسيرية وهو المفتي بمصر في زمانه من الطبقة الثانية من طبقات التابعين من ناة أهل الحديث في ولاية عبد العزيز بن مروان، وهو الذي أجلسه في خلافة

---

1) طبقات المفسرين، ج 2، ص 317.
2) له ترجمة في تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 67. وخلاصة تهذيب الكمال، ص 318.
3) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 7، ص 441.
4) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ص 302 ـ 303.
5) مرثد بفتح الميم والثاء المثلثة بالياء والزاي المفتوحتين نسبة إلى ذي يزن بطن من حمير.

الوليد بن عبد الملك. قال ابن سعد: وكان ثقة له فضل وعبادة[1]. ووثقه أيضاً ابن حبان. روى عن أبي أيوب الأنصاري وأبي بصرة الغفاري وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر الجهني وكان لا يفارقه، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب وربيعة بن جعفر وكعب بن علقمة وغيرهم[2]. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 90 هجرية.

6 ـ عمر بن عبد العزيز؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي التابعي، وأمه أم عاصم حفصة أو ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد سنة أحدى وستين هجرية بمصر[3]. وعمل والياً على المدينة قبل خلافته وسمع من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبدالله بن سلام وخولة بنت حكيم وغيرهم، وسمع جماعة من كبار التابعين منهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن وعامر بن سعد والزهري، وسمع منه خلائق من التابعين منهم سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن المكندر ويحيى الأنصاري وحميد الطويل وآخرون[4]. قال النووي: وأجمعوا على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين[5].

تولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك بعد موته سنة تسع وتسعين هجرية، وكانت خلافته سنتين وأشهراً نحو خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فملأ الأرض قسطاً وعدلاً.. وصلّى أنس بن مالك خلفه قبل خلافته، ثم قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى[6].

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 7، ص 511، وسيرة ابن هشام، ج 1، ص 150.
(2) طرح التثريب للعراقي، ج 1، ص 111.
(3) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 18.
(4) المصدر السابق.
(5) نفس المصدر السابق.
(6) الحديث المشار إليه رواه أبو داوود في سننه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وهو معدود من الخلفاء الراشدين ومن الذين يبعثهم الله إلى الأمة على رأس كل مائة سنة يجددون لها أمر دينها[1] فهو مبعوث على رأس المائة الأولى[2]. قال الإمام النووي: ومناقبه أكثر من أن تحصى. توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة 101 هجرية، وعمره تسع وثلاثون سنة.

7 ـ الضحاك بن مزاحم؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم البلخي الخراساني المفسر له كتاب في التفسير يرويه عنه عبيد بن سليمان[3]. وهو من الطبقة الخامسة، صدوق كثير الإرسال، خرج أحاديثه أصحاب كتب الحديث الأربعة ووثقه الإمام أحمد وابن معين وأبو زرعة. روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن عمرو وزيد بن أرقم وأنس بن مالك[4]. وممن روى عنه التفسير علي بن الحكم وهو ثقة وعلي بن سليمان وهو صدوق وأبو روق عطية بن الحارث وهو لا بأس به[5]. وكان رحمه الله مؤدباً للأطفال الذين يبلغ عددهم أحياناً ثلاثة آلاف يطوف عليهم على حمار. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة خمس ومائة هجرية[6].

8 ـ طاووس بن كيسان؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني الحميري مولاهم كان يسكن الجند (بفتح الجيم والنون؛ بلدة معروفة باليمن) وهو من كبار التابعين والعلماء والفضلاء الصالحين، سمع ابن عباس وابن عمر وأبا هريرة وزيد بن

---

(1) انظر طبقات المفسرين، ج 1، ص 216.
(2) هامش ص 44، من مقدمة في أصول التفسير.
(3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 214.
(4) خلاصة تهذيب الكمال، ص 150.
(5) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 251.
(6) المرجع السابق.

ثابت وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وروى عنه ابنه عبدالله الصالح بن الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلائق من التابعين[1].

قال النووي: واتفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتثبته. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ست ومائة هجرية[2].

9 ـ رجاء بن حيوة؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبوالمقدام رجاء بن حيوة بن جندل الكندي الشامي الأردني[3] التابعي الإمام. روى عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ومعاوية بن أبي سفيان وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وابن عمرو وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وروى عنه جماعة من التابعين منهم الزهري وقتادة وحميد الطويل. قال ابن سعد: كان يسكن الأردن وكان ثقة عالماً فاضلاً كثير العلم، وقال مكحول: رجاء شيخنا وسيدنا وسيد أهل الشام ومناقبه كثيرة مشهورة[4]. قال النووي: قالوا: وكان رجاء قاضياً وأجمعوا على جلالته وعظم فضله في نفسه وعلمه. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة اثنتي عشرة ومائة هجرية[5].

10 ـ السدي الكبير؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن السدي[6] الكوفي أصله من الحجاز مولى زينب بنت قيس بن مخرمة من بني المطلب بن عبد مناف. روى عن ابن عباس وأنس بن مالك وطائفة. وروى عنه أبو عوانة والحسن بن صالح

(1) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 251.
(2) المرجع السابق.
(3) بضم الهمزة والدال وتشديد النون منسوب إلى الأردن مدينة معروفة بالشام وهي المملكة الأردنية الآن.
(4) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 190. وتذكرة الحفاظ، ج 1، ص 102.
(5) المصدر السابق.
(6) السدي بضم السين نسبة إلى سدة مسجد بالكوفة كان يبيع فيها المقانع وهي عبارة عن رحبة المسجد التي تكون أمامه.

ﻭزائدة وأبو بكر بن عياش. . وهو معدود من الطبقة الرابعة. أخرج له الجماعة إلا البخاري وقال عنه ابن عدي صدوق مستقيم الحديث. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة سبع وعشرين ومائة هجرية[1].

11 ـ يزيد بن أبي حبيب المصري؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب وأبو حبيب اسمه سويد الأزدي مولاهم هو مولى شريك بن الطفيل الآزدي. ولد يزيد سنة ثلاث وخمسين هجرية وكان سود اللون نوبياً. قال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر وعالمها في زمانه وأول ن أظهر علوم الدين والفقه في مصر وكان حليماً عاقلاً حجة، حافظاً لحديث[2]. وقال ابن سعد: وكان ثقة كثير الحديث وهو أحد ثلاثة جعل مر بن عبد العزيز الفتيا إليهم بمصر روى عن عبدالله بن الحارث بن جزء زبيدي وعن أبي الخير مرثد بن عبدالله اليزني وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، روى عنه حيوة بن شريح وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وآخرون. توفي ى رحمة الله تعالى سنة ثمان وعشرين ومائة[3].

1 ـ الربيع بن أنس؛ ترجمته، وعلمه وفضله:

هو الربيع ابن أنس البصري من بكر بن وائل من أنفسهم عدّه ابن سعد من بقة الفقهاء والمحدثين في خراسان وقد لقي ابن عمر وجابر بن عبدالله أنس بن مالك وسكن البصرة وسمع منه عبدالله بن المبارك أربعين. وكان ول: ما يسرني بها كذا وكذا لشيء سماه. وهو من علماء التابعين المفسرين تاب الله تعالى الذين ترددت أسماؤهم في كتب التفسير بالمأثور وقد تردد

) طبقات المفسرين، ج 1، ص 104. والسدي له ترجمة في خلاصة تهذيب الكمال، ص 30. اللباب، ج 1، ص 537.

) الأعلام للزركلي، ج 8، ص 184.

) طرح التثريب للعراقي، ج 1، ص 111. وهامش ص 150، ج 1. من سيرة ابن هشام.

اسمه على الخصوص في تفسير ابن جرير الطبري كثيراً[1]. توفي إلى رحمة الله تعالى في خلافة أب جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة هجرية[2].

حكم تفسير التابعين من حيث القبول أو الرد:

هؤلاء هم المفسرون من التابعين المشهورين بالتفسير منهم وغيرهم وهم لذين لهم مشاركة في التفسير ولم يشتهروا به وجلهم كانوا من تلاميذ مدارس لتفسير في عهدهم، وهذه أمثلة من تفاسير المشهورين منهم، وغالب أقوالهم يه تلقوها عن سلفهم من الصحابة، والبعض منها أخذوه عن علماء أهل الكتاب ن اليهود والنصارى الذي أسلموا وما عدا هاذين القسمين فهو بمحض جتهادهم واستنباطهم، ولا شك أنهم كانوا على مبلغ عظيم من الفهم والعلم كتاب الله تعالى كما علمنا، ويتضح جلياً بالتأمل فيما أوردناه عنهم من أمثلة من سيرهم فيما تقدم وذلك لقرب عهدهم من عهد النبوة واتصالهم بعهد الصحابة وجودهم في وقت كانت اللغة العربية لا زالت صافية نقية بعيدة عن العجمة ني انتشرت فيما بعد هذا وقد اختلف العلماء المحققون في قبول تفسيرهم لى قولين فبعضهم يقول بقبول تفاسيرهم معللاً قوله بأنهم نقلوها عن صحابة. وقال آخرون: إننا غير ملزمين بقبوله وذلك لكثرة خلافهم فيه وزيادته ما كان عليه في عصر الصحابة وليس لهم ما للصحابة من الحكم بعدالتهم ومن اهدتهم للقرائن والأحوال التي نزل القرآن في شأنها.

قال الزركشي في البرهان: وفي الرجوع إلى قول التابعي في التفسير ـ ايتان عن أحمد ـ رواية بالقبول ورواية بعدمه. واختار ابن عقيل المنع[3]. ال شعبة بن الحجاج: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون

---

(1) راجع الطبري، ج 1، ص 90. ج 1، ص 120، 454، 138، 43.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 7، ص 369.

(3) انظر البرهان، ج 2، ص 158. وابن عقيل هذا هو عبدالله بن محمد بن عقيل ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة.

حجة في التفسير ولكن عمل المفسرين على خلافه[1]، لأنهم قد حكوا أقوالهم في تفاسيرهم معللين ذلك بأن أقوالهم معظمها تلقوها عن الصحابة فيحكم للتابعي بما حكم به للصحابي. وذهب شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى إلى التفصيل في أقوالهم تفصيلاً قريباً من التفصيل الوارد في حكم أقوال الصحابة المتقدم، فقال: والذي تميل إليه النفس أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه فإنه حينئذ يؤخذ به عند عدم الريبة فإن ارتبنا فيه بأن كان صاحبه يأخذ من أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه. أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره[2]. وكذلك ينبغي الأخذ بأقوالهم عند عدم الريبة، والله أعلم.

مميزات التفسير في هذه المرحلة (مرحلة التفسير في عهد التابعين):

يمتاز التفسير في هذه المرحلة عن المرحلة السابقة بما يلي:

1 - دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات وهي الأخبار المروية عن الذين أسلموا من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، مما أخذوه عن أسلافهم من الأحبار والرهبان، الذي لا صلة له بالأحكام الشرعية وه الذي يتعلق بقصص الأنبياء وبدء الخليقة، وأسرار الكائنات التي يشير إليها القرآن. ذلك لأن النفوس ميالة لسماع التفاصيل المتعلقة بمثل هذه الموضوعات مثل ما روي عن ابن جريج وكعب والأحبار ووهب بن منبه الصنعاني.

2 - في أول عهد التابعين، في القرن الأول الهجري ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي كحاله في عصر الصحابة رواية يغلب عليها طابع الاختصاص فكل

1) انظر البرهان للزركشي، ج 2، ص 158. والإسرائيليات والموضوعات في كتاب التفسير، ص 83.
2) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 129.

أهل مصر من الأمصار الإسلامية يروون عن أسلافهم ممن كان معهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

3 - ظهرت في عصر التابعين بوادر الخلاف المذهبي، فنجد مثلاً قتادة بن دعامة ينسب إلى الخوض في القضاء والقدر ويتهم بأنه قدري الأمر الذي جعل بعض الناس يتحرجون من الرواية عنه، ونجد الحسن البصري قد فسر القرآن على إثبات القدر ويكفر من يكذّب به.

4 - كثر الاختلاف في التفسير زيادة على ما كان في عصر الصحابة وإن كان قليلاً نسبياً بحيث لا يصل إلى ما وصل إليه الخلاف عن متأخري المفسرين.

5 - في النصف الأخير من عصر التابعين صدر الأمر من أمير المؤمنين بتدوين الحديث، ومن ضمنه التفسير الأثري وبه ارتفع الخلاف الذي كان في حكم كتابة الحديث[1]. فسارع العلماء من التابعين إلى تدوين التفسير مختلطاً بالحديث[2].

من هذه المميزات التي ذكرت للتفسير في عصر التابعين ومن مميزاته في عصر الصحابة يمكننا عقد مقارنة بين حال التفسير في العصرين كما يلي:

---

(1) ذلك لأن حكم الحاكم في مسألة فيها خلاف بالجواز وعدمه يرفع الخلاف ويكون القول الذي صدر به الحكم هو الذي ينبغي اتباعه ويطرح ما عداه.

(2) من التفسير والمفسرون، ص 130، بتصرف قليل.

مقارنة بين حالي التفسير في العصرين (عصر الصحابة وعصر التابعين)

التفسير في عصر الصحابة	التفسير في عصر التابعين
1 ـ لم يفسر القرآن كله إنما فسر ما غمض منه فقط.	ظهرت تفاسير شاملة لأغلب آيات القرآن
2 ـ قلة الاختلاف في فهم معاني القرآن	زاد الاختلاف نسبياً في فهم معاني القرآن عما كان عليه في عصر الصحابة
3 ـ الاكتفاء بالمعاني الإجمالية للآيات	ظهرت تفاسير لكل آية ولكل لفظ
4 ـ قلة الخلاف المذهبي حول الآيات	زاد الخلاف المذهبي حول الآيات
5 ـ لم يدون التفسير في عصر الصحابة	دوّن التفسير مختلطاً بالحديث ومستقلاً عنه
6 ـ اتخذ التفسير شكل الحديث	استقل التفسير في كتب خاصة وبعضه لا زال يأخذ شكل الحديث
7 ـ قلة الرجوع إلى أهل الكتاب	كثر الرجوع إلى أهل الكتاب؛ لكثرة من دخل منهم الإسلام

أسئلة في هذا الفصل

س 1: ما المقصود من التابعي؟ ومتى يبتدي عصر التابعين، ولماذا كان تفسيرهم في المرتبة الثانية بعد تفسير الصحابة، وما المصادر التي اعتمد عليها التابعون في تفسيرهم لكتاب الله تعالى؟

س 2: تحدث عن المدارس التي نشأت للتفسير في عصر التابعين. اذكرها مجملة مبيناً الصحابة الذين قاموا بالتدريسي في كل واحدة منها.

س 3: فصل الكلام في أشهر المدارس التفسيرية مبيناً أهميتها وتلاميذ كل مدرسة منها مع ذكر ترجمة موجزة لكل منهم ومكانتهم في العلم والتفسير وتاريخ وفاتهم وأمثلة من تفاسيرهم لا تقل عن ثلاثة لكل واحد منهم.

س 4: اكتب ترجمة مختصرة لكل مفسر من التابعين الذين لهم دور في تفسير القرآن الكريم مبيناً أسماءهم وموطن كل واحد منهم ومبلغه من العلم وتاريخ وفاتهم وشيئاً مما يشهد لعلمهم وفضلهم في التفسير.

س 5: اذكر حكم تفسير التابعين من حيث القبول أو الرد مبيناً خلاف العلماء فيه مع التوجيه والتوضيح.

6: بين مميزات التفسير في عصر التابعين مع عقد مقارنة بين حال التفسير في عصر الصحابة وحاله في عصر التابعين موضحاً النتائج المترتبة على هذه المقارنة.

الفصل الثاني

المرحلة الثالثة من مراحل التفسير بالمأثور

تروينه وتطوره

ي هذا الفصل تحديد بداية هذه المرحلة وبيان الخطوات التي تدرّج التفسير في نموه وتطوره في كل خطوة من خطواته وذكر طبقات العلماء م على أيديهم من الرواة[1] والمؤلفين من الصحابة والتابعين وتابعي ، وذلك لأنه لما انقرض رجال التفسير من الصحابة خلفهم من تولّى العناية بالتفسير من تلاميذهم التابعين لهم بإحسان، وبعد هؤلاء، جاء م وتلاميذهم من تابعي التابعين، ثم خلف هؤلاء وأولئك تلاميذهم ن كبار أئمة الحديث والمفسرين وأقرانهم من الأئمة المجتهدين في وأصول الدين فتكونت من رجال التفسير في كل مصر من الأمصار ة طبقات، وكل طبقة يمكننا أن نعتبر رجالهاتلاميذاً لسلفهم وفي نفس م أساتذة لخلفهم.

ن هذه الطبقات وما خلفوا من تفسير تكونت خطواته في هذه المرحلة طر التالية بيان لهذه الخطوات، وذكر أمثلة من كبار رجال التفسير فيها موجز بهم.

، الرواة على رأي بعض العلماء ثلاث، وهي طبقة الصحابة وطبقة التابعين وطبقة لتابعين مستندين إلى قوله ﷺ: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً. انظر علوم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح، 34، والحديث مخرج في الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه.

أولاً ـ تحديد بداية هذه المرحلة :

تبدأ هذه المرحلة من بداية ظهور تدوين الحديث بما فيه التفسير المروي عن الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم، وذلك لأن التفسير في البداية كان مختلطاً بالحديث؛ يروى كباب من أبوابه بعنوان «كتاب التفسير أوباب التفسير» كما هو موجود في كتب الحديث المشهورة مثل البخاري ومسلم ونحوهما.

وقد حدد شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى بداية هذه المرحلة بأواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين[1] سنة 132 هجرية. ولكن الذي يظهر أن التدوين بدأ قبل هذا التحديد الذي ذكره الشيخ رحمه الله تعالى، وإنما كان ذلك في آخر القرن الأول الهجري في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز الذي أمر رسمياً بتدوين العلم[2] وهو حديث رسول الله ﷺ ومن ضمنه التفسير كما سبقت الإشارة.

بل إن هناك من العلماء من يرجح أن بداية التدوين كانت قبل هذه المدة وتلك فقال مبيناً رأيه ومفنداً ما يرمي إليه بعض المستشرقين الزاعم بأن السنة لم تدون إلا في عصر متأخر كثيراً عن عهد النبوة: ومن أعظم الخطأ في تدوين الحديث دعوى بعض الناس أنه بدأ بعد المائة، وذلك تبعاً لخطئهم في تحديد زمن التابعين، فإنه لما بلغهم أن التدوين بدأ في عهد التابعين وهم يعلمون أن بعض الصحابة امتد بهم العمر إلى أواخر المائة الأولى للهجرة ظنوا أن عهد التابعين يبدأ بعد انقضاء زمن الصحابة[3]، فذهبوا إلى أن التدوين بدأ

---

1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 14.

2) كان العلماء من الصحابة والتابعين يقصدون من العلم هو سنة رسول الله ﷺ وتعاليمه السمحة.

3) كان أنس بن مالك آخر الصحابة وفاة سنة 97 هـ. وبعده توفي أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي عام 100 هـ على الأرجح، صبحي الصالح في علوم الحديث، ص 354.

بعد المائة. وهذا كله خطأ، والحق أن عنوان التابعين يطلق على الذين لم يدركوا النبي ﷺ أو ولدوا في آخر عهده ولم يروه كما هو واضح ومعلوم لمن تدبّر.

وبناء على هذا.. فيعد تابعياً كل من ولد بعد وفاة الرسول ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة هجرية وما بعدها. وليس من المحتم أن لا ينسب إلى التابعين إلا ما صدر عنهم بعد وفاة آخر الصحابة بقاء على قيد الحياة - كما يفهم من كلام بعض العلماء في هذا المقام - بل من الجائز أن ينسب إليهم كل ما صدر عن التابعين في السنة الحادية عشرة وفيما بعدها[1]، ومن ضمنه تدوين الحديث والتفسير.

هذا وتروي لنا كتب مصطلح الحديث أن كثيراً من كبار التابعين حضّوا على كتابة العلم، يعنون سنة النبي ﷺ وفيها التفسير المروي عنه ﷺ. منهم على سبيل المثال سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر وسعيد بن المسيب[2]، ودونوا بعض مروياتهم أو دوّنها عنهم تلاميذهم من صغار التابعين بإملاء منهم ورووا عنهم أقوالاً وأفعالاً تؤيد ما ذكر مثل ما روي عن مجاهد أنه كان يصعد بالناس إلى غرفته فيخرج لهم كتبه فينسخون منها[3] وكان بعضهم يردّد العبارة المشهورة «الكتابة قيد العلم»[4] فهذا يدل في وضوح على أن مرحلة تدوين التفسير قد بدأت في أواخر القرن الأول الهجري أو بعده بقليل.

هذه هي المرحلة الثالثة من مراحل التفسير، وهي مرحلة طويلة ممتدة من البداية التي عرفناها إلى العصر الحاضر إلى ما شاء الله.

---

(1) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، ص 55.

(2) الأول توفي سنة 59 هـ، والثاني توف سنة 102 هـ، والثالث توفي سنة 105 هـ.

(3) انظر علوم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح، ص 44.

(4) وهو الشعبي رحمه الله تعالى، انظر تقييد العلم، ص 100.

ثانياً ـ بيان الخطوات التي تدرج فيها:

في أثناء هذه المرحلة كانت للتفسير خطوات علمية متعددة بعد «خطوته الأولى» في عهد النبي ﷺ وصحابته ومعظم عصر التابعين وهي الخطوة التي كان التفسير فيها ينقل مشافهة برواية اللاحق عن السابق.

أما «الخطوة الثانية» فهي خطوة الانتقال من الرواية الشفهية إلى التدوين، فقد كانت هذه الخطوة في أواخر هذا العهد عهد التابعين[1]. وهي خطوة تدوينه كباب من أبواب الحديث مختلطاً به وبدون ترتيب معروف[2]، وقد تسمى الخطوة عند البعض بالطور من أطوار جمع الحديث وهو الذي قام فيه أهل كل مصر من الأمصار الإسلامية بتدوين ما عند علماء ذلك المصر من العلم في كتب خاصة بأهل مصرهم، كما فعل كل من محمد بن شهاب الزهري المتوفي سنة 124 هـ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المتوفي سنة 120 هـ[3] امتثالاً للأمر الصادر من الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز، وكذلك فعل مثلهما الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة المتوفي سنة 179 هـ، وهذه الخطوة أو الطور قد امتدت من بداية التدوين حتى نهاية عصر أتباع التابعين المحدد بسنة 220 هـ.

(1) عصر التابعين ينتهي في سنة 181 هـ، وعصر أتباعهم ينتهي سنة 220 هـ.

(2) وهذه الخطوة غير بداية التدوين الذي كان في أواخر القرن الأول، وهذه كانت في النصف الأول من القرن الثاني، وهي التي عم فيها التدوين وانتشر وازدهر على أيدي أئمة الحديث والمفسرين والفقهاء المجتهدين.

(3) دون الزهري كتاباً في الحديث وكان يفخر به ويقول: لم يدوّن هذا العلم أحد قبل تدويني. انظر الرسالة المستطرفة ص 4، وأما ابن حزم فقد كان قاضياً بالمدينة في زمن عمر بن عبد العزيز وهو الذي وجه إليه الخطاب قائلاً: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء. انظر الحديث والمحدثون ص 244، وطبقات ابن سعد، ج 2، ص 387.

وقد اشتهر بالتفسير في هذه الخطوة (خطوة الانتقال من الرواية الشفهية ى التدوين) عدد من العماء البارزين منهم على سبيل المثال؛ على ترتيب سنة وفاة لكل واحد منهم:

- مقاتل بن سليمان البلخي، المولود في سنة 80 هـ والمتوفي سنة 150 هـ[1].
- شعبة بن الحجاج الأزدي، المولود في سنة 82 هـ والمتوفي سنة 160 هـ[2].
- سفيان الثوري الكوفي، المولود في سنة 97 هـ والمتوفي سنة 161 هـ[3].
- مالك بن أنس الأصبحي، المولود في سنة 93 هـ والمتوفي سنة 197 هـ[4].
- وكيع بن الجراح الرؤاسي، المولود في سنة 129 هـ والمتوفي سنة 197هـ[5].
- سفيان بن عيينة، المولود في سنة 107 هـ والمتوفي سنة 198 هـ[6].

---

(1) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي البلخي المفسر وهو من الطبقة السابعة روي عن مجاهد والضحاك وعطاء والزهري له تفسير مشهور روى عنه عبد الرزاق وبقية بن الوليد الحمصي وغيرهم. انظر طبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 330.

(2) هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم البصري من أئمة الحديث حفظاًودراية وتثبياً، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين. تهذيب الأسماء واللغات، 1، ص 245، ج 3، ص 164.

(3) هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الفقيه الحجة الحافظ من بلدة ثور همدان الكوفي صاحب التفسير المشهور الذي رواه عنه أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي. انظر طبقات المفسرين للدوادي، ج 1، ص 186.

(4) هو أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي القرشي بالولاء، إمام دار الهجرة، من مشاهير أتباع التابعين وهو أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة المنورة وأعرض عمّن ليس بثقة أخذ العلم عن ثلاثمائة من التابعين وهو من حجج الله على خلقه المجمع على فضله وإمامته. انظر تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 75 وما بعدها.

(5) وكيع هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي حافظ للحديث ثبت من أهل الكوفة وله تفسير وكتاب في السنن. قال الإمام أحمد: «ما رأيت أحداً أوعى منه ولا أحفظ»، وكيع إمام المسلمين. انظر الأعلام، ج 8، ص 118.

(6) ابن عيينة هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي من علماء الطبقة الخامسة من أهل مكة، كان إماماً عالماً ثبتاً زاهداً مجمعاً على صحة روايته، انظر الأعلام، ج 3، ص 104. وطبقات المفسرين، ج 1، ص 190.

7 ـ يحيى بن سلام البصري الأفريقي، ولد سنة 124 هـ والمتوفي سنة 200 هـ[1].

8 ـ روح بن عبادة القيسي، المولود في سنة 122 هـ والمتوفي سنة 205 هـ[2].

9 ـ يزيد بن هارون السلمي، المولود في سنة 118 هـ والمتوفي سنة 206 هـ[3].

10 ـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المولود في سنة 126 هـ والمتوفي سنة 211هـ[4].

هؤلاء العلماء من أتباع التابعين الذين تم على أيديهم جمع التفسير في هذه الخطوة وكثيرون غيرهم كان معظمهم من أئمة الحديث وكان جمعهم للتفسير كباب من أبواب الحديث كما تقدمت الإشارة. وفيهم من جمع التفسير وحده مثل سفيان الثوري وعبد الرزاق بن همام ومقاتل بن سليمان.

وهؤلاء وتفاسيرهم هم الذين عناهم الشيخ محمد أبو شهبة بقوله: والظاهر أن هذه التفاسير كانت مستقلة عن الحديث وأن هذا العصر كانت فيه

---

(1) هو يحيي بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء البصري ثم الأفريقي، المفسر الفقيه أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، ولد بالكوفة ثم رحل إلى البصرة ونسب إليها وذهب إلى أفريقيا بتونس ونسب إليها. له تفسير كبير لا زال مخطوطاً توجد نسخة منه بالقيروان. انظر الأعلام، ج 8، ص 148. وطبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 331.

(2) هو أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي البصري، ثقة فاضل صنف الكتب في السنن والأحكام، وجمع تفسيراً رواه عنه أبو الأزهر صالح بن درهم الباهلي البصري، روى عن عدد من التابعين وروى له الجماعة. انظر طبقات المفسرين، ج 1، ص 174.

(3) هو أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمي بالولاء الواسطي كان من حفاظ الحديث الثقاة واسع العلم ذكياً كبير الشأن أصله من بخارى وكان يحضر مجلسه سبعون ألفاً وكان يقول: «احفظ عشرين ألف حديث بأسنادها ولا فخر». انظر الأعلام، ج 8، ص 190.

(4) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحميري، مولاهم صاحب التصانيف روى عن الأوزاعي والثوري ومعمر وغيرهم وثقه غير واحد وحديثه مخرج في الصحاح، وكان من أوعيةالعلم وله تفسير كبير رواه عنه محمد بن حماد الطهراني وهو لازال مخطوطاً. انظر الطبقات للداودي، ج 1، ص 196.

طريقتان طريقة التأليف في التفسير على أنه جزء من الحديث وطريقة التأليف ي التفسير على سبيل الاستقلال[1].

الخطوة الثالثة: وهي خطوة استقلال التفسير وانفصاله عن الحديث عمومه، أصبح التفسير فيها علماً مستقلاً بنفسه وتناول العلماء فيه القرآن كله لتفسير آية آية على ترتيبه في المصحف. هذا مع العلم بأن التدوين في التفسير لى الطريقة الأولى لا زال معمولاً به ومستمراً جنباً إلى جنب مع هذه الطريقة طريقة الاستقلال) مثل صحيح البخاري المتوفي سنة 256 هـ ونحوه.

ويلاحظ على التفسير في هذه الخطوة أنه يحوي كل ما روي من تفسير عن بي ﷺ وعن صحابته رضي الله تعالى عنهم، وما روي عن التابعين بالإسناد يس فيه شيء غير ذلك، أللهم إلا تفسير ابن جرير الطبري الذي امتاز عن غيره ن تفاسير المعاصرين له من الاستشهاد بالشعر على المعاني القرآنية وتوجيه أقوال وترجيح الروايات بعضها على بعض، والاعراب والاستنباط[2].

وقد تم التفسير في هذه الخطوة على أيدي طائفة من الأئمة والعلماء أجلاء الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري إلى النصف أول من القرن الرابع الهجري. ومن هؤلاء المفسرين الأعلام الآتية أسماؤهم ى سبيل المثال:

- عبد بن حميد الكسي[3] المتوفي سنة 249 هـ.
- محمد بن اسماعيل البخاري، المولود في 194 هـ، والمتوفي سنة 256 هـ.
- ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد، المولود في 209 هـ، والمتوفي سنة 273 هـ.

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 104.

(2) الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 212.

(3) الكسي نسبة إلى بلدة من بلاد السند وله تفسير مخطوط ومسند في الحديث. انظر الأعلام للزركلي، ج 3، ص 269.

4 ـ محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، المولود في 224 هـ، والمتوفي سنة 310هـ.

5 ـ عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس التميمي، المتوفي سنة 327 هـ.

6 ـ ابن حيان أبو الشيخ عبدالله بن محمد، المولود في 274 هـ، والمتوفي سنة 369 هـ.

7 ـ الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المولود في 321 هـ، والمتوفي سنة 405 هـ.

8 ـ أبو بكر بن مردويه أحمد بن موسى الأصبهاني، المولود في 323 هـ، والمتوفي سنة 410 هـ.

هؤلاء المذكورون وأمثالهم كانوا من المحدثين الذين اشتهروا بالتفسير وكان لمعظمهم كتب مدونة في التفسير الذي تلقوه عن السلف من الصحابة والتابعين، دونوه على سبيل الاستقلال كابن جرير الطبري وعبد بن حميد وابن ماجه وابن أبي حاتم. وبعضهم دونه باباً من أبواب الحديث كالإمام البخاري كما تقدمت الإشارة. قال شيخنا الذهبي بعد بيانه لهذه الخطوة: «وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث فليس معنى ذلك أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به بل معناه أن التفسير تدرّج في خطواته فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له وهي تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة وهي تدوينه على استقلال وانفراد. فكل هذه الخطوات تم استلام بعضها إلى بعض بل وظل المحدثون بعد هذه الخطوة الثالثة يسيرون على نمط الخطوة الثانية من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث مقتصرين في ذلك على ما ورد عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين[1].

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 142.

أول تفسير شامل:

قبل إكمال الحديث عن بقية خطوات التفسير ينبغي أن نعرف جواباً عن سؤال نشأ من الخطوتين الثانية والثالثة، وهو من أول مفسر جاء تفسيره شاملاً لجميع الآيات على ترتيبها في المصحف تم تدوينه أولاً؟

لا يستطيع الناظر في تاريخ التفسير من بداية تدوينه ونموّه في خطواته السالفة أن يجزم من أول وهلة بجواب شاف كاف لهذا الاستفهام.

ولكنني أضع بين يدي القارىء ما ذكره العلماء في هذا الشأن وبإمكانه ـ بعد التدبر والمقارنة ـ أن يجد جواباً كافياً أو شبه كاف وفيما يلي البيان:

أورد شيخنا الذهبي في هذه النقطة عبارة لابن النديم في كتابه «الفهرست» وهي التي أخذ منها الأستاذ أحمد أمين واستنتج أن الفراء يحيى بن زياد، المتوفي سنة 207 هـ هوأول من ألف كتاباً في التفسير كاملاً[1].

وملخص عبارة ابن النديم: أن الفراء قام بإملاء تفسير كامل للقرآن بإشارة من الأمير الحسن بن سهل[2].

وجاء في آخر كلامه أن أبا العباس ثعلب راوي هذه العبارة قال: «لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه»[3]. غير أن الشيخ الذهبي لم يرتض هذا قائلاً: «لا نستطيع أن نفهم هذا من عبارة ابن النديم لأنها غير قاطعة». . . ثم علل عدم رضاه فقال: «لأن معاني القرآن للفراء شبيهة في تناوله للآي على ترتيبها في السور بكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة. . . فليس للفراء أولية في هذا بل تلك على ما يبدو كانت خطة العصر»[4].

---

(1) الفهرست لابن النديم، ص 99.

(2) الحسن بن سهل وزير المأمون العباسي بن هارون الرشيد، توفي سنة 236 هـ.

(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 143.

(4) المصدر السابق بتصرف قليل.

وكذلك نجد الدكتور عبدالله شحاتة يؤيد كلام الذهبي فيقول: «تفسير الفراء ليس تفسيراً كاملاً للقرآن بل هو تفسير لما أشكل من كلماته ذلك أن الفراء في معاني القرآن يفسر كلمة أوكلمات من آية ثم يترك آيات لا يفسرها»[1]، وهمة الفراء متجهة إلى تفسير كلمات من جهة اللغة أو النحو». ثم بعد ذلك يميل إلى أن أول تفسير كامل دوّن هو تفسير مقاتل بن سليمان المتوفي سنة 150 هـ، وهو أسبق من الفراء بكثير[2]. «ولكن مقاتل نفسه غير موثوق به متروك الحديث[3]. ومنتقد عند كثير من العلماء، وبعضهم قد شك في نسبة هذا التفسير إليه وهو الشيخ الذهبي في بحث نشره مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ثم انتقده انتقاداً شديداً لإكثاره من الروايات الإسرائيلية المخالفة للعقل والنقل ولا يعقب عليها بشيء ويؤيده ما روى عن وكيع أنه سئل عن تفسير مقاتل هذا، فقال: «لا تنظر فيه فقال السائل وما أصنع به؟ قال: ادفنه يعني التفسير»[4].

وهناك تفسير آخر دوّنه سفيان الثوري بعد مقاتل بقليل وقبل الفراء وهو من التفاسير الجيدة المسندة. قال الدكتور شحاتة في وصفه: «تفسير الثوري

---

(1) انظر معاني القرآن للفراء، ج 3، ص 11، فإنك تراه يترك تفسير 14 آية من آخر سورة المؤمن، وينتقل إلى السورة التي بعدها.

(2) وهو تفسير كامل للقرآن الكريم قام بتحقيقه الدكتور شحاتة وهو عازم على نشره، وقد طبع الجزء الأول منه سنة 1970 إفرنجي. ا.هـ. من علوم التفسير، ص 162.

(3) قال ابن معين: حديثه ليس بشيء، وقال ابن أبي حاتم: متروك الحديث. ا.هـ. من تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 111. وفي الاتقان قال السيوطي فمقاتل في نفسه ضعفوه والشافعي أشار إلى أن تفسيره صالح. ا.هـ. وقال الذهبي في نقده ما نصه: «وأنا في شك من تفسير مقاتل فالعصر الذي عاش فيه مقاتل كان عصر اسناد حتى من الوضاعين وما وجدنا في تفسير مقاتل اسناداً إلا نادراً»... ثم يقول: أغلب الظن أن هذا التفسير من عمل بعض المتأخرين عن عصر مقاتل جمع فيه ما روي عنه في التفسير ا.هـ. من هامش ص 192 ـ 193.

(4) تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 111.

تفسير بالمأثور فقط فليس فيه تفسير لكلمة أو آية إلا ومعه ذكر الإسناد ويعطينا صورة صادقة للجهود التي بذلت لحفظ كتاب الله تعالى وحفظ تفسيره والأمانة التامة للمفسرين وجهودهم وهو تفسير مسند إلى الرسول ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين وللمحافظة على الإسناد ميزة مهمة لمعرفة قيمة الأثر المروي كما قرر العلماء.

هذا مع العلم بأن تفسير الثوري[1] لا يتناول القرآن كله بالتفسير بل هو يحتوي على تفسير القرآن من أول سورة البقرة إلى سورة الطور فقط[2] وهناك تفاسير أخرى قبله وتشبهه من حيث الاقتصار على بعض الأجزاء وتفسير المشكل من الآيات مثل التفاسير التي نسبت إلى بعض كبار التابعين مثل مجاهد ابن جبر الذي قال عنه ابن أبي مليكة: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس: اكتب قال: حتى سأله عن التفسير كله[3].

وسعيد بن جبير الذي كتب تفسيراً بطلب من عبد الملك ابن مروان المتوفي سنة 86 هـ، وتفسير سعيد هذا هو الذي وجده عطاء بن دينار فأرسله عن سعيد بن جبير وكذلك فعل مثلهما عبد الملك بن جريج الذي جمع ثلاثة أجزاء كبار في التفسير رواها عنه محمد بن ثور[4].

وأفاد الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه التفسير ورجاله[5] أن

(1) الثوري نسبة إلى أثير وهي بلدته التي ولد فيها بالكوفة وهو سفيان بن سعيد بن مسروق أمير المؤمنين في الحديث ومن الأئمة المجتهدين في الدين المجمع على توثيقه ولد في 97 هـ وتوفي 161 هـ. طبقات المفسرين، ج 1، ص 186.

(2) علوم التفسير للدكتور عبدالله شحاتة، ص 165.

(3) تفسير ابن جرير الطبري، ج 1، ص 30. ومقدمة في أصول التفسير، ص 44.

(4) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 143 ـ 144.

(5) التفسير ورجاله للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ص 36 وما بعدها.

تفسير يحيى بن سلام الأفريقي المتقدم ذكره[1] هو أول تفسير أثري نظري كامل وصل إلينا، وقال: «وبهذا التفسير اتصلت سلسلة التطور في الأوضاع التفسيرية بين القرن الأول الهجري قبل ابن سلام وبين القرن الثالث الهجري الذي يمثله ابن جرير الطبري فالحلقة بن هذين القرنين الأول والثالث تتمثل في ابن سلام الذي عاش في القرن الثاني الهجري وهي حلقة افريقية تونسية»... ثم يستمر قائلاً: «وهو أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الاطلاق... وهو - يعني يحيى بن سلام - الذي يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي أو النظري الأثري التي سار عليها بعده ابن جرير الطبري واشتهر بها.

ثم يستمر في وصف تفسير ابن سلام فيقول: «وهو تفسير يقع في ثلاثين جزءاً من التجزئة القديمة أي في ثلاث مجلدات ضخمة وهو مبني على إيراد الآثار مسندة ثم يتعقبها بالنقد والاختيار مفتتحاً الإسناد بقوله حدثنا، والاختيار بقوله: قال يحيى ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي وله أيضا اختيارات في القراءات وهي على ما يظهر قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري كما تشير إلى هذه عبارته في الاختيار أحياناً بقوله: والذي في مصحفنا[2].

هذا وقد شهد لهذا التفسير بالتفوق والجودة كل من ابن الجزري وأبي عمرو الداني، فقد ورد عنهما عبارة: «إن هذا التفسير ليس لأحد من المتقدمين مثله».. ثم يقول ابن عاشور: وتوجد من هذا التفسير ببلادنا التونسية نسخة عظيمة القدر موزعة منها مجلد يشتمل على سبعة أجزاء موجودة بالمكتبة لعبدلية بجامع الزيتونة وآخر يشتمل على عشرة أجزاء بمكتبة جامع القيروان من مجموعها يتكون نحو ثلثي الكتاب، ويوجد جزء آخر لعله يتمم بعض نقص.

---

1) عند الكلام على العلماء الذين ألفوا في التفسير في خطوته الأولى خطوة الانتقال من النقل الشفهي إلى التدوين.

2) التفسير ورجاله، مرجع سابق، ص 43.

النسخة وهو عند بعض العلماء الأفاضل. انتهى[1].

وبعد هذا البيان لعلي لا أعدو الحقيقة إن قلت: إن أول تفسير مسند وصل إلينا وتناول القرآن كله آية آية على ترتيب المصحف ومطبوع ومعتمد عند جماهير العلماء قديماً وحديثاً هو تفسير محمد بن جرير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) وهو خلاصة جامعة لتفاسير من تقدمه من العلماء كما سيأتي الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله تعالى[2].

الخطوة الرابعة:

من خطوات التفسير خطوة حذف السند، وذلك لأن التفسير لم يقف عند هذه الخطوة - الثالثة - بل تعداها وتجاوزها وخطا خطوة رابعة، غير أنه لا زال مقتصراً على المأثور وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد الذي كان ملتزماً قبلها، فجاء أناس فسروا القرآن وأوردوا أقوال العلماء السابقين مبتورة بلا سند، فدخل من هذا الباب الدخيل والتبس الصحيح بالعليل. قال السيوطي عند الكلام على هذه الخطوة: ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال بتراً فدخل من هذا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» نحو عشرة أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم: «لا أعلم في ذلك خلافاً بين المفسرين»[3].

---

(1) المصدر السابق، ص 44.

(2) يلاحظ هنا أن الفرق بين تفسير ابن سلام وبين تفسير ابن جرير أن الثاني مطبوع ومتداول بين الناس والأول لازال مخطوطاً ولا يطلّع عليه إلا القليل.

(3) الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 212.

وحذف السند من الروايات في التفسير والحديث وإن كان فيه إيجاز واختصار وهو ممدوح ومطلوب إذا كانت الرواية عن العلماء الثقاة المحققين ومخرجه في الكتب المعروفة برواية الصحيح[1]. أما إذا كانت بغير هذه الصفة فقد تكون من العوامل التي تساعد على كثرة الروايات الضعيفة والأحاديث الموضوعة وشيوع القصص الإسرائيلي في التفسير وذلك لأن ذكر السند من شأنه أن يدل على موضع العلة ومكمن الداء فيسهل تحاشيه والابتعاد عنه، وهذه هي الطريق التي اتبعها السابقون من الصحابة والتابعين وتابعيهم في بداية تدوين التفسير في خطواته الثلاث الأولى كما فعل ابن جرير الطبري في جامع البيان وحذا حذوه من المتأخرين جلال الدين السيوطي في الدر المنثور[2]. وسيأتي الكلام عليهما بالتفصيل في فصل قادم إن شاء الله تعالى.

الخطوة الخامسة:

ظهور التفسير العقلي واختلاطه بالتفسير النقلي؛ وصف شيخنا الذهبي هذه الخطوة فقال: وهي أوسع الخطا وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا. فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف[3] هذه الأمة تجاوزه بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي وكان ذلك على تدرّج ملحوظ[4].

ويظهر من كلامه هذا أن هذه الخطوة بدأت تباشيرها على يد ابن جرير الطبري وابن سلام وامتدت إلى وقت ظهور تفسير الكشاف للزمخشري[5] ومن

(1) مثل الصحيحين البخاري ومسلم وكتب السنن المعروفة.
(2) غير أن السيوطي في الدر المنثور اقتصر على المأثورفقط، وأما الطبري فقد علمنا أن تفسيره مشوب بالتفسير العقلي كما علمنا فيما سلف في الخطوة الثالثة، ص 139.
(3) يعني تدوين المروي لا غير في البداية.
(4) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 145 ـ 146.
(5) توفي الزمخشري سنة 538 هـ.

حذا حذوه من العلماء بعده مثل النسفي[1] والبيضاوي[2] ونحوهما كما سيأتي بيان هذا مفصلاً في القسم الثاني من هذا الكتاب عند الكلام على التفسير العقلي - التفسير بالرأي - ومناهج المفسرين به إن شاء الله تعالى، والله أعلم وهو الموفق إلى كل خير.

---

(1) توفي سنة 701 هـ.

(2) توفي سنة 685 هـ. وقد ذكرالشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره عدداً من المفسرين القدامى قبل الزمخشري من أهل اللغة الذين حذفوا الأسانيد من التفسير منهم:

أ - أبو اسحاق الزجاج المتوفّي سنة 310 هـ.

ب - أبو علي الفارسي المتوفي سنة 377 هـ.

ج - أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي المتوفي سنة 430 هـ.

وذكر للمهدوي هذا تفسيراً بعنوان (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل). انتهى، من الجزء الأول ص 10. من تفسيرالمراغي.

أسئلة في هذا الفصل

1: حدّد المرحلة الثالثة من مراحل التفسير بداية ونهاية مبيناً تطوره ونموه منذ بداية تدوينه إلى العصر الحاضر.

2: تحدث عن خطوات التفسير في مراحله المختلفة مبيناً حاله في كل خطوة من خطواته مع ذكر الفرق بين الخطوة من خطوات التفسير وبين المرحلة من مراحله.

3: اذكر أسماء أبرز العلماء الذين تم على أيديهم تطور التفسير في خطوتيه الثانية (خطوة الانتقال من الرواية إلى التدوين) والثالثة (خطوة الاستقلال عن الحديث)، مبيناً أسماءهم وتاريخ وفاتهم مبرزاً من كان له تفسير للقرآن منهم.

4: ما أول تفسير كامل للقرآن تم تدوينه وهو معتمد عند العلماء وتم طبعه وانتشر مع الإشارة إلى الخلاف في هذه المسألة مع التوضيح.

الفصل الثالث

أقسام التفسير وأهم مصادر المأثور منه والقيمة العلمية لهذا اللون من التفسير عموما والخلاف بين السلف فيه

أولاً ـ أقسام التفسير عموماً:

لتفسير القرآن الكريم أقسام كثيرة وردت في كتب التفسير وعلوم القرآن قديماً وحديثاً بلغت في مجموعها بقطع النظر عن تداخلها أو تفرع بعضها عن بعض اثني عشر قسماً، وهي بالإجمال كما يلي:

1 ـ التفسير بالمأثور.

2 ـ التفسير بالرأي.

3 ـ التفسير الإشاري.

4 ـ التفسير الفقهي أو تفسير آيات الأحكام[1].

5 ـ التفسير الموضوعي.

6 ـ التفسير العلمي أو الكوني.

7 ـ التفسير الصوفي[2].

8 ـ التفسير الأدبي الاجتماعي.

9 ـ التفسير المذهبي.

---

(1) بعض الباحثين يعتبرونه من التفسير الموضوعي لتعلقه بآيات الأحكام الشرعية في القرآن فقط.

(2) بعض العلماء يعتبرونه مساوياً للإشاري ولكني أرجح أن يكون أعم من الإشاري.

10 ـ التفسير الفلسفي.

11 ـ تفسير الفرق المبدعة.

12 ـ التفسير الإلحادي.

وهذه الأقسام على كثرتها كما ترى يمكن إرجاعها كلها إلى القسمين الأولين، وذلك لأن الأقسام الباقية يمكن اعتبارها تفسيراً بالرأي وذلك لأنه إما محمود أو مذموم. والمحمود يشتمل على جميع الأقسام عدا القسمين الأخيرين المعتبرين من المذموم.

هذه أقسام التفسير كله بالاجمال ذكرتها كتوطئة للكلام على مصادر التفسير بالمأثور الذي هو المنقول على نحو ما تقدم حوته كتب خاصة به أو مختلطة منه ومن غيره غير أنه هو الغالب والكثير فيها.

ثانياً ـ أهم كتب التفسير بالمأثور ومصادره:

وهي كثيرة متنوعة يصعب على الباحث حصرها واستقصاؤها وخصوصاً إذا نظرنا إليها ككل وبدون تقييد بقيود معينة، ولهذا أرى أنه لا بد من اعتبار بعض القيود في التفاسير التي وقع عليها الاختيار كنموذج يحوي هذا اللون من التفسير وليتمكن الطلاب والباحثون من الرجوع إليها والاستفادة منها استفادة كاملة متى أرادوا.

وفي الفصل السابق قبل هذا الفصل تقدم ذكر بعض هذه التفاسير المطلقة عن التقييد وهي التي تناولت بعض سور القرآن أو بعض الآيات أو تلك التي لم تثبت نسبتها إلى أصحابها[1].

هذا ومن القيود التي اعتبرتها فيما اخترته كنموذج للتفسير الأثري صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه أولاً واعتماد روايته عند المحدثين ثانياً، ثم شموله وتناوله للقرآن كله بالتفسير، وأيضاً شهرته وتداوله بين العلماء. وهذه الكتب

(1) مثل تفسير ابن عباس وسفيان الثوري ومقاتل بن سليمان ونحوهم، راجع ص 128.

التي اخترتها مرتبة حسب تاريخ وفاة مؤلفيها الأقدم فالأقدم أذكرها أولاً بالإجمال ثم أتبع الإجمال بالتفصيل أما إجمالها فهو كالآتي:

1 ـ جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري المتوفي 310 هـ.

2 ـ بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي المتوفي 375 هـ.

3 ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحاق الثعلبي المتوفي 427 هـ.

4 ـ معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي المتوفي 510 هـ.

5 ـ المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي المتوفي 540 هـ.

6 ـ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل ابن كثير المتوفي 774 هـ.

7 ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي المتوفى 876هـ.

8 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي المتوفى 911 هـ.

هذه هي أهم مصادر التفسير بالمأثور مجملة وأما تفصيل الكلام عليها فيتلخص في بيان ترجمة للمؤلف لكل كتاب منها وبيان مدى أهمية التفسير وقيمته العلمية وخصائصه ومميزاته وطريقته في التفسير وغير ذلك، وهو كما يلي:

1 ـ جامع البيان في تفسير القرآن:

أ ـ ترجمة المؤلف:

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري[1] ولد بآمل طبرستان سنة 224 أربع وعشرين ومائتين هجرية، ولهذا نسب إليها لكنه لم يمكث فيها طويلاً فقد رحل منها في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة فسمع بالعراق والشام ومصر ونال من العلوم أهمها فكان متفوقاً في الحديث والتفسير والفقه وكان من طبقة الترمذي والنسائي وسمع من عدد من مشائخ

---

(1) وردت ترجمة الطبري في تسعة عشر مرجعاً منها تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 78. والأعلام للزركلي، ج 6، ص 69. وطبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 106. وتذكرة الحفاظ، ج 2، ص 710. والبداية والنهاية لابن كثير، ج 11، ص 145. وطبقات المفسرين للسيوطي، ص 30.

البخاري ومسلم مثل أبي سعيد الأشج ومحمد بن المثنى وعمرو بن علي ومحمد بن بشار فقرأ القرآن على العباس بن الوليد ببيروت وسمع في مصر من يونس بن عبد الأعلى وحدث عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي واسماعيل بن موسى الفزاري وأبي همام الوليد بن شجاع السكوني وأحمد بن منيع البغوي وغيرهم من العراقيين والشاميين والمصريين[1].

وسمع منه كثير من العلماء منهم أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحراني وأبو عمرو أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في آخرين[2] وبعد أن طوف في هذه البلاد كلها طلباً للعلم من الحديث والفقه والتفسير استقر به المقام ببغداد إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 310 ثلاث مائة وعشر سنين هجرية وقت المغرب ليلة الاثنين أواخر شوال ودفن بداره وكان رحمه الله تعالى نحيف الجسم طويلاً شديد الأدمة أعيناً فصيح اللسان رحمه الله رحمة واسعة.

مبلغه من العلم والتفسير:

كان الطبري رحمه الله أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 205. وتهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 78.

(2) المرجعين السابقين وطبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 109. ويقال: إنه جمعت الرحلة بين ابن جرير وثلاثة من أمثاله من العلماء كلهم اسمه محمد وكانوا بمنزل في مصر يجتمعون فيه للدراسة فنفذ ما عندهم من الطعام وجاعوا حتى أضر بهم الجوع واتفقوا على أن يضربوا قرعة فمن خرجت عليه يخرج ويطلب لهم الطعام فخرجت على محمد بن خزيمة فقال أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة فبينما هويصلي فإذا الشموع تضيء ومبعوث من والي مصر يبحث عنهم ويدق الباب ففتحوا له فسألهم عنهم بأسمائهم واحداً واحداً ودفع لكل منهم خمسين ديناراً وقال لهم أن الوالي كان نائماً بالقائلة فرأى شبحاً يقول له أن المحامد طووا كشحهم جياعاً فانفذ إليهم هذه الصرد وأقسم عليكم إذا نفذت فابعثوا إلي أمدكم. ج 1، ص 108.

وكان حافظاً لكتاب الله تعالى عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً بأحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم في الأحكام[1].

وكان في أول أمره شافعي المذهب وتفرد بمسائل حفظت عنه وصنف في الفقه والأصول والتاريخ ومكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة وصنف تفسيره المشهور في ثلاثين ألف ورقة ثم اختصره في ثلاثة آلاف ورقة وكذلك فعل في تاريخه المشهور بعنوان تاريخ الأمم والملوك من البسط والاختصار وقال عنه محمد بن اسحاق بن خريمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ومن مصنفاته كتاب في القراءات والعدد والتنزيل وكتاب في اختلاف العلماء وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين وكتاب أحكام شرائع الإسلام ألفه على ما أداه إليه اجتهاده.

وقال الفرغاني عنه: وكان عالماً زاهداً ورعاً فاضلاً متقناً لقراءة حمزة الزيات[2] هذه الشهادات من العلماء تدل وتؤكد ما تقدم من أوصافه الدالة على تفوقه في معظم علوم عصره رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة.

ب ـ وصف تفسيره وقيمته العلمية ومنهجه فيه:

يعتبر تفسير ابن جرير الطبري بحق أهم مراجع التفسير بالمأثور وأكثرها فوائد وأقومها وأشهرها بل وأقدمها[3] وأوسعها علماً فهو يتألف من ثلاثين جزئاً على عدد أجزاء القرآن.

وإلى جانب التفسير بالمأثور يعتبر أيضاً مرجعاً مهماً في التفسير العقلي - التفسير بالرأي ـ وقد تقدم لنا في فصل سابق أن تفسير ابن جرير يمتاز على غيره

(1) طبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 107.
(2) التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج 1، ص 20.
(3) هذا بالنظر إلى شموله وتناوله لجميع آيات القرآن وكونه معتمداً عند العلماء فلا ينافي أن هناك تفاسير سابقة له ولكن ليست مثله في هاتين الصفتين.

من التفاسير بالمأثور بالاستنباط وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض مع الاستشهاد بالشعر وأقوال العرب وخلاصة ما قيل في قيمة هذا التفسير أن العلماء والباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا على عظم قدره واتفقوا على أنه لا غنى عنه في التفسير. قال السيوطي رحمه الله تعالى: وكتابه يعني تفسير محمد بن جرير أجل التفاسير وأعظمها[1] وقال النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري[2] وجاء في فتاوى ابن تيمية قوله: وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين[3].

وأما منهجه وطريقته في التفسير فتتجلى لمن يقرأه ويقطع شوطاً في قراءة أي جزء منه يرى أنه يبدأ في تفسير الآية أو الآيات بقوله: القول في تأويل قوله تعالى: كذا وكذا، ثم يذكر معنى الآية مجملاً ويورد فيه أقوال العلماء إن وجدت ويستدل على كل ذلك بما يروى من المأثور عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين كل ذلك بالسند المتصل الكامل ولا يقف عند هذا الحد بل نجده يوجه الأقوال ويرجح بعضها على بعض، كما تقدم مستنداً إلى اللغة العربية.

ويتعرض أيضاً إلى بعض الإعراب والقراءات المختلفة التي توجد في الآية مبيناً وجهة من قرأ بكل قراءة ومؤيداً ما يراه منها مناسباً.

موقفه من الإسناد:

على الرغم من أن ابن جرير يذكر سنده كاملاً في رواية التفسير بالمأثور إلا أنه لا يعقب على ما يروي بشيء من التصحيح أو التضعيف، لأنه كما يقولون كان يرى كما هو مقرر في أصول الحديث أن من أسند لك فقد حمّلك البحث

(1) الاتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 190.
(2) تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 79.
(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 208، نقلاً عن فتاوي ابن تيمية، 2، ص 192.

عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة وهذا في الأعم الأغلب وهو أحياناً يقف من بعض الروايات موقف الناقد البصير فيعدل ويجرح ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها ويصرح برأيه فيها بما يناسبها[1].

موقفه من الإسرائيليات:

القارىء لتفسير ابن جرير يجد فيه كثيراً من الإسرائيليات وهي الروايات المنقولة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أسلموا وهو ما يعرف بالأخبار الإسرائيلية أو الإسرائيليات التي تروى غالباً عن أمثال كعب بالأخبار وابن جريج ووهب بن منبه والسدي والكلبي ولعل السبب في إكثاره منها كما ذكره بعض العلماء هو تأثره بالروايات التاريخية التي عالجها في كتابه المشهور في التاريخ وهو أحياناً يتعقبها بالنقد والتمحيص وفي الغالب والكثير لا يفعل شيئاً من ذلك مما يجعل تفسيره هذا في حاجة ماسة إلى الفحص الشامل كغيره من التفاسير المشتملة على الموضوعات والإسرائيليات، علماً بأن ابن جرير قد خرج من العهدة كما تقدم التنويه بذكره السند كاملاً لجميع رواياته فعلى القارىء البحث عن رجال السند فيقبل رواية من يقبل ويرد منها ما يرد، والله تعالى أعلم بالصواب وهو الموفق إلى كل خير.

2 ـ بحر العلوم للسمرقندي:

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي[2] الملقب بإمام الهدى تفقه على أبي جعفر الهندواني له تصانيف مفيدة

---

(1) انظر تفسير ابن جرير، ج 1، ص 13. وانظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 212.

(2) له ترجمة في طبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 345. والأعلام ج 8، ص 27. وفي تاريخ التراجم ص 79، وفي الجواهر المضية، ج 1، ص 196. والفوائد البهية، ص 220. وفي مفتاح السعادة، ج 2، ص 277.

في الفقه والتفسير والوعظ والإرشاد. قال الداودي له تفسير القرآن العظيم أربع مجلدات والنوازل في الفقه وخزانة الفقه في مجلد وكتاب تنبيه الغافلين والبستان[1] توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 373 ثلاثمائة وثلاث وسبعين وقيل وخمس وسبعين.

ب ـ وصف الكتاب وقيمته العلمية ومنهجه في التفسير:

قال صاحب كشف الظنون: تفسير أبي الليث نصر بن محمد الفقيه السمرقندي الحنفي... هو كتاب مشهور لطيف مفيد خرج أحاديثه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي[2]. وقال شيخنا الذهبي: وهذا التفسير مخطوط في ثلاث مجلدات كبار موجود بدار الكتب المصرية وتوجد منه نسختان بمكتبة الأزهر الشريف... وقد رجعت إلى هذا التفسير وقرأت فيه كثيراً فوجدت مؤلفه قد قدم له بباب في الحث على طلب التفسير وبيان فضله واستشهد لذلك بروايات عن السلف رواها بأسناده إليهم ثم بين أنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه من ذات نفسه ما لم يتعلم أو يعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل واستدل على حرمة التفسير بمجرد الرأي بأقوال رواها عن السلف بإسناده إليهم أيضاً ثم بين أن الرجل إذا لم يتعلم وجوه اللغة وأحوال التنزيل فليتعلم التفسير ويتكلف حفظه ولا بأس بذلك على سبيل الحكاية[3].

ويؤخذ من كلام الشيخ هذا وما بعده أن تفسير السمرقندي يغلب عليه التفسير النقلي المروي عن الصحابة والتابعين مع حذف السند غالباً ويوجد فيه تفسير القرآن بالقرآن ويتعرض للقراءات بقلة وفيه بعض الروايات الإسرائيلية يذكرها بدون تعقيب عليها، وهو لا يعين من يروي عنهم أحياناً فيروي بعبارة: وقال بعضهم كذا، وقال آخرون كذا وبالجملة فالكتاب قيم في ذاته جمع فيه

(1) طبقات المفسرين، ج 2، ص 345.
(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 225. وكشف الظنون، ج 1، ص 234.
(3) المرجع السابق للذهبي.

صاحبه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية والنقلي عليه أغلب كما تقدم، والله أعلم.

3 ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي:

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(1) المفسر والثعلبي لقب له وليس اسمه ويقال أحياناً الثعالبي(2) قال في الوفيات لابن خلكان: إنه كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير(3).

أخذ الحديث عن أبي طاهر ابن خزيمة وأبي بكر بن مهران المقرىء وأبي بكر بن هانىء وكان كثير الحديث كثير الشيوخ صحيح النقل موثوقاً به(4).

وأخذ عنه علوم التفسير الواحدي مؤلف أسباب النزول وكذلك ذكره ياقوت في معجم الأدباء واثنى عليه وقال عنه: إنه المقرىء المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ صاحب التصانيف الجليلة(5).

توفي إلى رحمة الله تعالى في المحرم سنة 427 لسبع وعشرين وأربعمائة هجرية.

427

(1) للثعلبي ترجمه في طبقات المفسرين للداودي، ج 1، ص 65. ترجمة رقم 65. وفي الأعلام، ج 1، ص 212. وفي وفيات الأعيان، ج 1، ص 80 رقم 31. ومعجم الأدباء، ج 5، ص 36.

(2) النيسابوري بفتح النون وإسكان الياء نسبة إلى نيسابور من أحسن مدن خراسان اسمها مركب من كلمتين ني وسابور فالني بالفارسية القصب وسابور اسم ملك من ملوك الفرس. انتهى ملخصاً من الوفيات ج 1، ص 80، نقلاً عن السمعاني في كتاب الأنساب.

(3) وفيات الأعيان، ج 1، ص 79.

(4) التفسير والمفسرون، ج1، ص227. نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت، ج5، ص 36.

(5) وفيات الأعيان، ج 1، ص 80.

ب ـ وصف تفسيره وقيمته العلمية ومنهجه فيه:

يعتبر تفسير الثعلبي من التفاسير بالمأثور ذات الأهمية العالية كما وصفه مؤلفه فقال حين طلب منه تفسير القرآن: فاستخرت الله في تصنيف كتاب شامل مهذب ملخص مفهوم منظوم مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات سوى ما ألتقطه من التعليقات والأجزاء المتفرقات وتلقفته عن أقوام من المشائخ الاثبات وهم قريب من ثلاثمائة شيخ، نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب... ثم قال: وخرجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً البسائط والمقدمات والعدد والتنزيلات والقصص والنزولات والوجوه والقراءات والعلل والاحتجاجات والعربية واللغات والأعراب والموازنات والتفسير والتأويلات والمعاني والجهات والغوامض والمشكلات والأحكام والفقهيات والحكم والإشارات والفضائل والكرامات[1].

وذكر في أول تفسيره أسانيده إلى من يروي عنهم من علماء السلف واكتفى بذكرها أولاً عن إعادتها فيما بعد وكذلك ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره.

والتفسير مخطوط يحتوي على التفسير العقلي بقلة إلى جانب التفسير الأثري المروي عن السلف وفيه توسع ظاهر في الكلام على الأحكام الفقهية والصناعة النحوية وشرح الألفاظ اللغوية وفيه توسع كثير في إيراد الروايات الإسرائيلية التي رواها عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[2] وفيه أيضاً الأحاديث الموضوعة في فضائل السور سورة سورة وهاتان المسألتان مما يؤخذ عليه قال ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقاً عليه وعلى تفسيره هذا: والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما

(1) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 220.

(2) المرجع السابق، ص 229. وهذا السند المذكور هو ما يعرف عند المحدثين بسلسلة الكذب. انظر الاتقان، ج 2، ص 189.

وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. وقال الشيخ محمد أبو شهبة بعدما ذكر ما تقدم: وهذا الذي ذكره ابن تيمية هو الحق فليكن القارىء بهذا التفسير على بينة من أمره ولا يغتر بكل ما يذكر فيه فقد أساء صاحبه بهذا الصنع المذموم[1]. ومن وجد فيه شيئاً مما سأذكره عند نقد المرويات تفصيلاً فلينبذه ولا يذكره إلا مقترناً ببيان وضعه أو ضعفه، والله أعلم بالصواب.

4 ـ معالم التنزيل للبغوي:

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الفقيه الشافعي[2] ويلقب بمحيي السنة، ولد سنة 436 هـ أربعمائة وست وثلاثين بالقرية التي ينسب إليها بغا أو بغ أو بغشور من قرى خرسان. اشتهر بالحديث رواية ودراية والتفسير والفقه ألف التهذيب في الفقه الشافعي والمعايير في الحديث والجمع بين الصحيحين وشرح السنة كان لا يحدث إلا وهو على طهارة وكان تقياً زاهداً ورعاً أخذ الفقه عن القاضي حسين بن محمد فكان أخص تلاميذه وسمع منه الحديث ومن أبي عمر عبد الواحد المليحي وأبي الحسن الداودي وأبي الحسين علي بن يوسف الجويني وغيرهم[3].

وروى عنه أبو منصور محمد بن أسعد العطاري وأبو الفتوح محمد الطائي وجماعة آخرهم أبو المكارم فضل الله بن محمد النوقاني[4] وقد بورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول الحسن بنيته توفي إلى رحمة الله تعالى في شوال سنة

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 179.

(2) الفراء نسبة إلى عمل الفراء وبيعها والبغوي نسبة شاذة قاله السمعاني في الأنساب والأعلام، ج 2، ص 259. وللبغوي ترجمة في طبقات المفسرين للداودي، ج 1، ص 157. والأعلام، ج 2، ص 259. ووفيات الأعيان، ج 3، ص 136. ودائرة المعارف الإسلامية، ج 4، ص 27. وطبقات المفسرين للسيوطي، ص 12.

(3) طبقات المفسرين للداودي، ج 1، ص 158 ـ 159.

(4) المرجع السابق.

510 خمسمائة وعشر بمرو التي كانت بها إقامته ودفن عند شيخه القاضي حسين[1].

ب ـ وصف تفسيره وقيمته العلمية ومنهجه فيه:

جاء في كشف الظنون عن معالم التنزيل للبغوي ما يلي: «وهو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم»[2] ووصفه الخازن في مقدمته فقال: «إنه من أجلّ المصنفات في التفسير وأعلاها وأنبلها وأسماها جامعاً للصحيح من الأقاويل، عارياً عن الشبهة والتصحيف والتبديل، محلى بالأحاديث النبوية، مطرزاً بالأحكام الشرعية، موشى بالقصص الغربية وأخبار الماضين العجيبة، مرصعاً بأحسن الإشارات مخرجاً بأوضح العبارات، مفرغاً في قالب الجمال، بأفصح مقال»[3].

وقد ذكر العلماء: أن تفسير البغوي مختصر منتفسير الثعلبي المتقدم غير أنه مصون عن كثرة الإسرائيليات وعن الأحاديث الموضوعة والبدع ولهذا فضله الإمام ابن تيمية رحمه الله على تفسير القرطبي وتفسير الزمخشري حين سئل عن أيها أفضل فقال: وأما التفاسير الثلاثة المسؤل عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي[4] وهذا التفسير يشتمل على التفسير العقلي وإن كان أغلبه نقلياً كأصله. وقد حذف من رواياته الأسانيد مثله اكتفاء بذكر سنده إلى من يروي عنهم في أول التفسير وهو مطبوع على هامش الخازن ومتداول بين أهل العلم.

وأما منهجه وطريقته في التفسير فقد أوضحها شيخنا الذهبي فقال: وقد قرأت فيه فوجدته يتعرض لتفسير الآية بلفظ سهل موجز وينقل ما جاء عن

---

(1) المصدر السابق ص 59.
(2) الإسرائليات والموضوعات في كتب التفسير، 180.
(3) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 236.
(4) مقدمة في أصول التفسير، ص 151.

السلف في تفسيرها وذلك بدون أن يذكر السند ويكتفي في ذلك بأن يقول مثلاً: «قال ابن عباس كذا وكذا وقال مجاهد كذا وكذا وقال عطاء كذا وكذا»[1] وهذا التفسير يحتوي على بعض الإسرائيليات التي يذكرها ولا يعلق عليها وفيه تحاش لما ولع به كثير من المفسرين من مباحث الإعراب ونكت البلاغة والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير ومن محاسنه أنه قد بين مدى صحة ما ينقل من الآثار ومبلغ درجته من الصحة في مقدمة تفسيره فقال: «وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير»[2].

وعلى العموم فالكتاب في جملته أحسن وأسلم من كثير من كتب التفسير بالمأثور لذا ينبغي للطلاب الاطلاع عليه والاستفادة منه والله أعلم.

5 ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي:

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

وهو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي الحافظ القاضي[3] المفسر الفقيه ولد سنة 481 هـ أربعمائة واحدى وثمانين هجرية، ونشأ في بيت علم وفضل وكان غاية في الذكاء وحسن الفهم والتصرف. ورحل في طلب العلم وتفقه على العلماء[4] قال الداودي في الطبقات: أنه كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب مفيداً حسن

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 236.

(2) تفسير البغوي، ج1، ص9. نقلاً عن الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 237.

(3) لابن عطية ترجمة في طبقات المفسرين للداودي، ج 1، ص 260. والأعلام، ج 3، ص 282. ونفح الطيب، ج 1، ص 593. وقضاة الأندلس، ص 109. وطبقات المفسرين للسيوطي، ص 16. والديباج المذهب، ص 174.

(4) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 229.

التقييد. روى عن أبيه الحافظ الحجة غالب وعن أبي علي الغساني والصفدي وعن أبي المطرف الشعبي وغيرهم[1].

وكان له يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاء وروى عنه عدد من العلماء المشهورين منهم عبد المنعم بن الفرس مؤلف كتاب أحكام القرآن وأبو جعفر بن مضاء وأبو بكر بن أبي حمزة وآخرون غيرهم.

توفي إلى رحمة الله تعالى في الخامس عشر من رمضان سنة 546 هـ خمسمائة وست وأربعين هجرية، وقيل اثنتين وأربعين رحمه الله رحمة واسعة وأجزل لهن المثوبة.

ب ـ وصف الكتاب وقيمته العلمية وطريقته في التفسير:

يحتوي تفسير ابن عطية على عشرة مجلدات كبار معظمها لا زال مخطوطاً أحسن فيه مؤلفه وأبدع فقد لخصه كما يقول ابن خلدون من كتب التفسير كلها أي التفسير المنقول وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى[2] ووصفه أبو حيان الغرناطي في مقدمة تفسيره فقال: هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير[3].

ويمكن أن نستدل على قيمة هذا التفسير العلمية العالية من المقارنة بينه وبين تفسير الزمخشري من كلام ابن تيمية وأبي حيان فقد قال الأول: وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير[4] ويقول الثاني: «وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص وكتاب

---

(1) المرجع السابق، ص 239.
(2) مقدمة ابن خلدون، ص 440.
(3) المبحر المحيط، ج 1، ص 10.
(4) فتاوى ابن تيمية، ج 2، ص 194.

الزمخشري ألخص وأغوص»[1].

وأما منهجه في التفسير فيتلخص فيما يلي:

نراه يفسر الآية بعبارة سهلة عذبة ويورد من التفسير النقلي ويختار منه في غير إكثار وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً ويناقشه فيما ينقل عنه ويفعل مثل ذلك مع غيره أيضاً وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي معني بالشواهد الأدبية كما أنه يتعرض للقراءات وينزل عليها المعاني المختلفة[2].

وفي مقدمة أصول التفسير أن تفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً ثم أنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال[3]. «ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت المعتزلة أصولهم وإن كان أقرب إلى السنة من المعتزلة»[4] هذا هو تفسير ابن عطية وهذه بعض أقوال العلماء فيه وهو على العموم له قيمته العلمية ومنزلته بين كتب التفسير وعند جميع المفسرين وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من روحه العلمية الفياضة مما أكسبه دقة ورواجاً وقبولاً.

---

(1) تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 10.
(2) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 240.
(3) يعني في بعض المسائل وليس دائماً كما هو واضح من كلامه السابق.
(4) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص 37.

6 ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير :

وهو أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي[1]. الفقيه الشافعي المفسر ولد في قرية من قرى بصرى سنة 701 هـ. ورحل إلى دمشق مع أخيه بعد موت والده وهو ابن سبع سنين وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضي شهبة وصاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ولازمه وأخذ عنه وعن ابن تيمية كثيراً وأقبل على علم الحديث وحفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذللك وهو شاب فكان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، واشتهر رحمه الله أيضاً بالتفسير يشهد لهذا ما يراه القارىء في تفسيره من تمحيص وتصحيح ورد للضعيف فيما يرويه من الآثار. قال عنه أحد تلاميذه[2]: هو أحفظ من أدركناه لمتون الحديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك[3].

وليّ مشيخة الأشرفية بعد موت السبكي ومشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي وكف بصره في آخر عمره وتوفي إلى رحمة الله تعالى سنة 774 هـ سبعمائة وأربع وسبعين هجرية[4].

ب ـ وصف الكتاب وقيمته العلمية ومنهجه فيه :

يعتبر تفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور وهو الكتاب

---

(1) لابن كثير ترجمة في الأعلام، ج 1، ص 320. وفي طبقات المفسرين للداودي، ج1، ص 110. وفي البدر الطالع، ج 1، ص 153. وفي الدرر الكامنة، 1، ص 399. وفي طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة وشذرات الذهب، ج 6، ص 231.

(2) وهو ابن حجي.

(3) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 243.

(4) المرجع السابق.

الثاني فيه بعد الطبري ويمتاز عليه بما اعتنى به من التصحيح والتضعيف ونقد المرويات ورد الأباطيل من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة وقد قدم له بمقدمة إضافية هامة تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق بالقرآن وتفسيره كمقدمة شيخه ابن تيمية في أصول التفسير وأيضاً ألحقه بخاتمة تتضمن فضائل القرآن وتلاوته وتفسيره وما إلى ذلك.

والكتاب مطبوع متداول بين العلماء طبع مع تفسير البغوي ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار[1].

وأما طريقته ومنهجه في التفسير فتتلخص في الآتي:

يفتتح الكلام على الآية أو الآيات بتفسيرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى أو آيات ذكرها كذلك وقارن بين الآيتين أو الآيات حتى يتضح المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا اللون من التفسير المسمى بتفسير القرآن بالقرآن. ثم بعد ذلك يأتي بالروايات من السنة المرفوعة وتفاسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف بسنده المتصل إلى من يروي عنهم مع عناية تامة ببيان ما يحتج به وما لا يحتج به من الأحاديث. ونراه يرجح بعض الروايات على بعض ويضعف البعض ويصحح الآخر منها وينبه إلى ما في تفسير من سبقوه من منكرات الإسرائيليات ويحذر منها على سبيل الإجمال تارة وعلى وجه التعيين لبعض منها أحياناً أخرى[2]. ويدخل في المناقشات الفقهية ويذكر أقوال العلماء في آيات الأحكام وأدلتهم ولكنه مقل في هذا ومقتصد غير مسرف كما أسرف غيره من فقهاء المفسرين.

من هذه الطريقة التي سلكها والمنهج القويم الذي اتبعه كان لكتابه هذا قيمة علمية عالية ومنزلة عظيمة بين كتب التفسير عموماً وبالمأثور على الخصوص وما ذلك إلا لتعرضه لنقد المرويات نقداً مبنياً على علم تام بعلوم

---

(1) التفسير والمفسرون بتصرف، ج 1، ص 244 ـ 245.
(2) التفسير والفسرون بتصرف، ج 1، ص 244 ـ 245.

الحديث وأحوال الرجال ولهذا قال العلماء الثقاة: إنه لم يؤلف في التفسير مثله على نمطه[1].

وقال الشيخ محمد أبو شهبة: «وللإمام ابن كثير حاسبة دقيقة وملكة راسخة في نقد المرويات»[2] الأمر الذي جعله يتفطن إلى الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير الأخرى وينبه إلى مصدرها ومنشأها وكيف اندست في الروايات الإسلامية وقد اهتم به العلماء ونال إعجابهم فلخصوه بحذف معظم الأسانيد واستبعاد بعض الإسرائيليات ومن أهم مختصراته مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد علي الصابوني فاختصره في ثلاثة مجلدات كبار.

هذا ولسلامة هذا التفسير من الإسرائيليات والموضوعات[3] أرى أنه لا بد لطالب التفسير من مذاكرته جيداً والاعتناء بما فيه من نقد وتمحيص وتصفية لما علق بالتفسير النقلي من باطل ودس. وبهذا يتسنى له فهم كتاب الله تعالى صحيحاً سليماً، والله أعلم.

7 ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن:

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المغربي الجزائري المفسر المالكي ولد سنة 786 هـ سبعمائة وست وثمانين هجرية[4] وهو الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع، ولي الله الصالح العارف بالله تعالى كان من أولياء الله الصالحين المعرضين عن الدنيا وأهلها ومن خيار عباد الله الصالحين.. قال ابن سلامة البكري: كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً زاهداً عالماً عارفاً ولياً من

(1) الرسالة المستطرفة للكتاني، ص 146. نقله في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 247.
(2) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 183.
(3) المقصود أنه سلم من خطرها ومضارها بسبب التنبيه على فسادها على الرغم من وجودها فيه لكونه وجود كالعدم فلا يضر.
(4) للثعالبي ترجمة في الضوءاللامع، ج 4، ص 152. وفي الأعلام للزركلي، ج 3، ص 337. وفي نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 137.

أكابر الأولياء وبالجملة فقد اتفق الناس على صلاحه وإمامته وأثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح كالإمام الأبي والولي العراقي وغيرهما[1].

وقد ألف كتباً في التفسير والفقه وعلوم القرآن والحديث ورحل إلى تونس ومصر وتوفي إلى رحمة الله تعالى بالجزائر سنة 876 هـ. ثمانمائة وستة وسبعين.

ب ـ وصف التفسير وقيمته العلمية ومنهجه في تأليفه:

الجواهر الحسان للثعالبي مختصر من المحرر الوجيز لابن عطية المتقدم ذكره مع زيادات نقلها الثعالبي من غيره أو رواها عن شيوخه الكثيرين الذين يزيد عددهم عن مائة تأليف للمفسرين.

من هنا قال العلماء: «أن الثعالبي ليس له في تفسيره إلا الجمع والترتيب سوى عمل قليل وأثر ضئيل، وقد وصف تفسيره هذا بنفسه فقال: قد ضمنته بحمد الله تعالى مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقاة أعلام هذه الأمة حسبما رأيته أو رويته عن الإثبات وذلك قريب من مائة تأليف[2] وما فيها تأليف إلا وهو لإمام مشهور بالدين ومعدود من المحققين وبالجملة فالكتاب مفيد جامع لخلاصة كتب مفيدة وليس فيه ما في غيره من الحشو الممل والاستطراد المخل»[3]. وهو مطبوع في الجزائر بلد المؤلف في أربعة أجزاء كبار ومتداول بين أهل العلم.

8 ـ الدر المنثور في تفسير بالمأثور للسيوطي:

أ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

وهو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد

---

(1) من التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 247.

(2) ذكر منها تفسير البحر المحيط لابي حيان والصحيحين البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وتذكرة القرطبي والترغيب والترهيبومصابيح البغوي وغيرها.

(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 250.

الأسيوطي الشافعي[1] ولد في غرة رجب سنة 849 هـ ثمانمائة وتسع وأربعين هجرية. عاش يتيماً فقد توفي والده وعمره خمس سنين وأسند وصايته لجماعة من العلماء فحفظ القرآن وهو صغير له من العمر ثماني سنين ونشأ بالقاهرة واشتهر بالفطنة والذكاء فحفظ الكثير من متون العلوم المختلفة[2]. وأخذ العلم على كثير من العلماء والمشائخ وصل عددهم إلى واحد وخمسين شيخاً أخذ عنهم معظم العلوم المشتهرة في عصره فألف وأجاد في الكثير منها حتى وصلت مؤلفاته إلى ما يزيد على خمسمائة كتاب عدّ منها الزركلي في الأعلام ما يقرب من سبعين كتاباً في مختلف العلوم في التفسير وعلوم القرآن وفي الحديث وعلومه وفي التاريخ والنحو والآداب وغيرها، وأشهرها الدر المنثور والاتقان ولباب النقول في أسباب النزول وتاريخ الخلفاء والأشباه والنضائر حتى قال عنه العلماء: «إنه كان أعلم أهل زمانه لعلم الحديث وفنونه رجالاً وغريباً ومتناً وسنداً واستنباطاً للأحكام وكان يحفظ مائة ألف حديث»، ويقول: لو وجدت غيرها لحفظته. ولما بلغ الأربعين من عمره انقطع عن الناس وتجرد للعبادة وأعرض عن الدنيا وأهلها وترك الافتاء والتدريس وألف في صنيعه هذا كتاباً سماه التنفيس وأقام بجزيرة روضة المقياس إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سحر ليلة الجمعة 19 من جمادى الأولى سنة 911 هـ تسعمائة وإحدى عشرة هجرية[3].

---

(1) للسيوطي ترجمة في الأعلام، ج 3، ص 301. وفي الكواكب السائرة، ج1، ص226. وفي شذرات الذهب، ج 8، ص 51. وفي حسن المحاضرة، ج 1، ص 188. وفي البدر الطالع، ج 1، ص 228.

(2) من طريف ما يقال عنه إنه كان يلقب بابن الكتب لأن أباه طلب من امه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض به فولدته وهي بين الكتب، الأعلام، ج 3، ص 301.

(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 252.

ب ـ وصف الكتاب وقيمته العلمية ومنهجه في التفسير:

بيّن السيوطي نفسه في كتاب الاتقان في علوم القرآن(1) أن كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور ملخص من كتاب له آخر في التفسير يسمى ترجمان القرآن الذي يحوي بضعة عشر ألف حديث بين مرفوع وموقوف، اختصره لما رأى قصور الهمم عن تحصيل كتابه الأول فحذف منه الأسانيد المختلفة مقتصراً على المتون مصدرة بالعز والتخريج إلى كل كتاب معتبر مثل البخاري ومسلم والنسائي وأبي داود وأحمد والترمذي وابن أبي الدنيا وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم ممن تقدمه ودون في التفسير.

هذا والذي يطلع على هذا التفسير ـ الدر المنثور ـ يجد أن السيوطي رحمه الله تعالى يسرد الروايات عن السلف سرداً دون أن يعلق عليها بشيء فلا تعديل ولا تصحيح ولا تجريح ولا تضعيف كما فعل سلفه ابن كثير فكان همه الجمع فقط أتى بكل المنقول عن السلف في التفسير في الكتب السابقة عليه من غير تحر للصحة فيما يروى مع أهليته التامة للنقد والتصحيح كما تقدم التنويه، لذا فإن تفسيره يحتاج إلى تصفية تبيّن غثه من سمينه، وهو مطبوع في ستة مجلدات كبار ومتداول بين أهل العلم بالتفسير(2).

ومن الجدير بالذكر أن تفسير السيوطي هذا يمتاز على غيره من كتب التفسير بالمأثور التي تكلمت عليها سابقاً بأنه غير مخلوط بالتفسير العقلي بخلاف تلك الكتب السابقة فإنها قد اشتملت على شيء من التفسير العقلي قليلاً أو كثيراً كما تقدم وإنما صح اعتبارها من ضمن التفسير بالمأثور نظراً لما يغلب عليها والحكم للغالب كما يقال والله أعلم.

---

(1) ذكر السيوطي أن كتابه الاتقان جعله مقدمة لكتاب له آخر في التفسير سماه مجمع البحرين ومطلع البدرين جامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة والأقوال المعقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً. انتهى. ص 213. من الاتقان.

(2) وقد طبع حديثاً بدار الفكر ببيروت في ثماني مجلدات.

ثالثاً ـ حكم التفسير بالمأثور عموماً وقيمته العلمية:

مما لاشك فيه أن التفسير بالمأثور هو الذي يجب اتباعه والأخذ به لأنه الطريق إلى المعرفة الصحيحة وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في فهم كلام الله، وخصوصاً ما كان منه من القرآن نفسه أو من السنة المرفوعة المروية بطرق صحيحة.

وهو بجميع أنواعه له قيمته العلمية الفائقة ومنزلته العظمى عند جميع المفسرين قديماً وحديثاً سواء منهم من اعتمد في تفسيره القرآن الكريم على الآثار المروية أو أولئك الذين يفسرونه بآرائهم معتمدين في ذلك على أمور مرعية وقواعد معروفة يأتي الكلام عليها في موضعها، وذلك لأنه المرجع الوحيد المهم لكل من أراد فهم كلام الله تعالى الحكيم على ضوء الرواية والنقل.

كذلك يعتبر هو الأساس المتين الذي بني أو ينبغي أن يبنى عليه التفسير العقلي الاجتهادي المؤيد بالشواهد والدلائل المروية.

ومع هذا وعلى الرغم ما للتفسير بالمأثور من الأهمية الكبرى ينبغي للمفسر المتبصر أن يحترس ويحذر كل الحذر عند الأخذ بشيء من التفسير بالمأثور خوف الوقوع في شرك الإسرائيليات والموضوعات، ذلك لأن الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور التي سبق الكلام على أهمها قد أكثر معظمها من النقل والجمع من غير تفرقة بين الصحيح وغيره ودون تحر لصحة إسناد ما تروي[1] فكثر فيها الدخيل من منكرات الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي ﷺ وعلى الصحابة والتابعين، المنافية لروح الإسلام البعيدة عن مقاصد الشريعة الإسلامية ومراميها، بل وقد يوجد فيها المناقض للمعقول[2] وللحقائق العلمية الثابتة، الأمر الذي جعل المشتغلين بعلوم التفسير

---

(1) مثل الدر المنثور للسيوطي الذي تقدم الكلام عليه مفصلاً.

(2) أعني الأمور التي لا يصدقها العقل السليم.

لا يستطيعون التمييز بين ما يأخذون وما يذرون وصار الواحد منهم لا يطمئن إلى نقل شيء بالمرة ولذا ركز بعضهم اهتمامه بالتفسير العقلي ونبذ ما سواه.

وكان من آثار ذلك الإكثار وما ترتب عليه من اختلاط بين الصحيح والسقيم ومناقضة للعقول انفتاح المجال أمام المبشرين والمستشرقين والملاحدة من أعداء الإسلام إلى الطعن في التفسير بالمأثور عن طريق أقوال مسندة إلى أئمته مستغلين الاختلاف بين الرواة وتناقض المنقول عنهم مستدلين بذلك على بطلانه وعدم الثقة فيه، واتخذوا هذا ذريعة لصد الناس عن الدخول في الإسلام.

حقاً إن ما اشتملت عليه بعض تلك الإسرائيليات من الخرافات والأباطيل الملصقة بالإسلام كفيل بأن يصد أي إنسان مهما بلغ من التسامح في هذا العصر الذي نعيش فيه عن الدخول في الإسلام وذلك لأن تلك الأباطيل تجعله ينظر في الإسلام نظرة شك وارتياب خصوصاً إذا بقيت تلك الكتب التي تحمل الإسرائيليات على ما هي عليه، إلا أن الله تعالى (وله الحمد) قيض لحفظ دينه القويم ـ الإسلام ـ النقاد من أئمة الحديث وجهابذته[1]، فوقفوا لأولئك الأعداء بالمرصاد فألفوا الكتب ودونوا الداواوين الخاصة بنقد الروايات في الحديث والتفسير وتمحيصها وتمييز ما فيها من الصحيح والعليل وبينوا الحسن والضعيف والموضوع بل وذهبوا إلى أكثر من هذا فألفوا كتباً خاصة بالموضوعات[2] كشفوا عن عوارها وحذروا الناس من الاغترار بها فما بقي لنا الآن إلا تنقية كتب التفسير بالمأثور وتصفيتها مما علق بها من هذه الأباطيل التي نص هؤلاء العلماء على بطلانها وبينوها بياناً شافياً جزاهم الله تعالى عن الإسلام وأهله أحسن الجزاء أنه سميع مجيب.

---

(1) جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وهو العالم الخبير الناقد.

(2) مثل اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ونحوه.

رابعاً ـ الخلاف بين السلف في التفسير:

المقصود من السلف هنا هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، الذين لهم عناية واهتمام بتفسير القرآن الكريم ومن ضمنهم بل ومن أهمهم الذين تقدم الكلام عليهم فيما سلف وهؤلاء جميعاً قد روى عنهم خلاف في تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية وكان الخلاف المروي عن الصحابة قليلاً ولكنه توسع إلى حد ما في عصر التابعين وهو عند الجميع في الأحكام أكثر منه في التفسير ومن يطلع على كتب التفسير بالمأثور يرى أن الخلاف الواقع بين الصحابة وبين التابعين كثير في حد ذاته غير أنه يعتبر قليلاً بالنسبة لما وقع فيما بعد. وهو عبارة عن روايات مختلفة وردت فيها أقوال للصحابة والتابعين في المسألة الواحدة وأحياناً توجد روايتان أو روايات مختلفة نقلت عن صحابي واحد أو عن تابعي واحد كابن عباس أو مجاهد مثلاً.

أي أن قول الصحابي يخالف قول صحابي آخر وقول التابعي يخالف قول تابعي آخر وهناك قولان أو أقوال مختلفة رويت عن قائل واحد منهم فهل معنى هذا أن الصحابة والتابعين انتشر بينهما الخلاف في التفسير واتسع إلى حد أن بعضهم يناقض بعضاً وقد يناقض الواحد منهم نفسه أيضاً؟

الجواب: أن هذا كله غير صحيح إذا علمنا أن العلماء قد قرروا ما يفيد أن أغلب ما روي عنهم مما يتوهم أنه خلاف هو في الحقيقة والواقع لم يكن خلافاً بمعنى الكلمة الذي هو اختلاف التضاد والتناقض والتباين، وإنما كان غالبه اختلافاً في العبارة أو اختلاف تنوع. جاء في مقدمة أصول التفسير ما نصه: «الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد»[1]. وقد أوضح شيخنا الذهبي ما ورد من خلاف بين السلف وحصره في أمور خمسة بها يرتفع معظم الخلاف فقال: «ونستطيع بعد البحث

(1) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ص 67.

والنظر في هذه الأقوال (يعني أقوال الصحابة والتابعين) التي اختلفت ولم تتباين أن نرجع هذا الخلاف إلى عدة أمور نذكرها (مع التمثيل) ليتبين لنا أنه لا تنافي ولا تباين بين هذه الأقوال التي تبدو متعارضة عن السلف والواقع ليس كذلك»[1] والأمور مع أمثلتها كما يلي:

الأول: أن يعبر كل واحد من المفسرين بعبارة غير عبارة المفسر الآخر تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم «الصراط المستقيم» فقال بعضهم القرآن أي اتباعه وقال بعضهم الإسلام، فالقولان متفقان غير مختلفين لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن.

وكذلك مثل أسماء الله الحسنى وأسماء النبي ﷺ وأسماء القرآن؛ فإن أسماء الله تعالى كلها تدل على مسمى واحد فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضاداً لدعائه باسم آخر بل الأمر كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] وكل اسم من أسمائه تعالى يدل على الذات المسماة، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم كالعليم يدل على الذات والعلم والقدير يدل على الذات والقدرة والرحيم يدل على الذات والرحمة... وكذلك أسماء النبي ﷺ مثل محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب[3]، وكذلك أسماء القرآن مثل القرآن والفرقان والهدى والشفاء والبيان والكتاب وأمثال ذلك[4].

وكذلك السؤال عن الصفة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 133، ببعض تصرف واختصار.

(2) سورة الإسراء، الآية 110.

(3) روي في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وزاد مسلم الذي ليس بعده أحد وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً». من هامش المقدمة في أصول التفسير لأبي خديفة إبراهيم بن محمد، ص 68.

(4) من مقدمة أصول التفسير، ص 68.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] فيقال: ما ذكره؟ فيقال له هو: القرآن مثلاً أو هو ما أنزله من الكتب[2]، أو ذكر العبد له[3] فسواء قيل: ذكري كتابي أو كلامي أو هداي أو نحو ذلك فإن المسمى واحد[4].

الثاني: أن يذكر كل مفسر من المختلفين ظاهراً للعام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه السامع على نوع من أنواعه دون إرادة الاستقصاء بالحد، مثاله تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5].

جاء في تفسير هذه الآية بأن السابق من يصلي في أول الوقت والمقتصد من يصلي في أثنائه والظام من يصلي بعد خروج الوقت وفسرت أيضاً بأن السابق هو من يؤدي الزكاة المفروضة مع الصدقة والمقتصد من يؤديها وحدها والظالم لنفسه هو مانع الزكاة فكل من المفسرين كما ترى ذكر نوعاً من أنواع العام على سبيل التمثيل لا الحصر تعليماً للسامع بأن الآية تتناول المذكور وتنبيهاً له على نظيره والتعريف بالمثال لا يؤدي إلى الاختلاف والتباين إذ من المعلوم في هذه الآية أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق للخيرات يتناول من تقرب بالحسنات مع فعل الواجبات[6].

الثالث: أن يكون اللفظ مشتركاً ويذكر لك مفسر معنى من معانيه التي يدل

---

(1) سورة طه، الآية 124.

(2) بناء على أن المصدر وهو الذكر مضاف لفاعله أو ما يذكره وهو كلامه.

(3) هذا بناء على أن المصدر مضاف إلى مفعوله أي ما يُذكر به وهو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

(4) من مقدمة في أصول التفسير لأبي حذيفة ص 69.

(5) سورة فاطر، الآية 32.

(6) من التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 135..

عليها كتفسيرهما لقسورة في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[1] بالأسد وفسرها آخرون بالرامي من البشر، وكذلك لفظ عسعس في قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[2] فإنه مفسر عند بعضهم بإقبال الليل وعند آخرين بإدباره فتفسيره بهما ليس مختلفاً لأن اللفظ المشترك يجوز أن يراد به أحد معنييه أو معانيه.

الرابع: أن يعبر كل واحد من المفسرين أو المفسرين بألفاظ متقاربة وليست مترادفة كتفسيرهم لفظ مورا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[3] بأنه الحركة كان تقريباً للمعنى وذلك لأن المور هو الحركة الخفيفة السريعة، وكذلك تفسيرهم الوحي في قوله تعالى: «أوحينا إليك» بأنه الإعلام أو الإنزال هو تقريب للمعنى وليس تحقيقاً لأن الوحي إعلام سريع خفي. وكذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾[4] بأن تبسل بمعنى تحبس وقال آخرون ترتهن هذا لايكون من باب التضاد لأن المحبوس قد يكون مرتهناً وقد لا يكون لأنه تقريب للمعني وليس تحقيقاً.

الخامس: أن تكون في الآية قراءتان أو أكثر ويفسر كل مفسر حسب قراءته المخصوصة، فيظن ذلك اختلافاً وليس باختلاف مثاله ما أخرجه أبو جعفر الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره من طرق في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾[5] أن معنى سكرت سدت ومن طريق آخر عنه: أن سكرت بمعنى أخذت وسحرت. ثم أخرج ابن جرير أيضاً عن قتادة أنه قال: من قرأ سكّرت مشددة فإنما يعني سدت ومن قرأ سكرت مخففة فإنما يعني سحرت فظهر لنا أن التفسيرين الأولين كل تفسير تابع لقراءة وليس اختلافاً.

(1) سورة المدثر، الآيتان 50 ـ 51.
(2) سورة التكوير، الآيتان 17 ـ 18.
(3) سورة الطور، الآية 9.
(4) سورة الأنعام، الآية 70.
(5) سورة الحجر، الآية 15.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾[1] فقد فسرت الآية بأن القطران هو ما تهنأ به الإبل[2]، وفي رواية أخرى أنه النحاس المذاب وهذا ليس باختلاف بل كل من التفسيرين تابع لقراءة معينة لأن التفسير الثاني محمول على قراءة من قرأ الآية «من قطر آن» بتنوين قطر وهو النحاس وآن وهو شديد الحرارة.

ومن أمثلة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[3]. فقد فسرها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الملامسة في الآية هي الجماع، وفسرت أيضاً بالجس باليد وهو اللمس وكل من التفسيرين محمول على قراءة خاصة فالتفسير الأول للقراءة الأولى والثاني محمول على قراءة من قرأها: «أو لمستم النساء» فلا اختلاف.

ثم قال الشيخ محمد الذهبي بعد ذكر ما تقدم من الأمور الخمسة: «هذه هي الأوجه التي بواسطتها نستطيع أن نجمع بين أقوال السلف التي تبدو متعارضة»[4]، وأما إذا لم يمكن الجمع بين الأقوال بأحد هذه الأمور نظرنا إلى سند هذه الروايات فإن اختلفت صحة وضعفاً أخذنا بالصحيح وتركنا ما عداه، وأما إذا استوت الروايات في الصحة أو الضعف وكانت عن شخص واحد نظرنا إليها من حيث التقدم أو التأخر زمناً فإذا علمناه أخذنا بالمتأخرة زمناً واعتبرناها ناسخة للمتقدمة، وأما إذا لم نعلم الزمن أو كانت عن متعددين واستوت صحة أو ضعفاً فوضنا أمرها إلى الله ونؤمن بمراده بها ولا نتهجم ونقدم أحد القولين بدون مرجح. ويرى الإمام الزركشي: أن الاختلاف إن كان بين الصحابة وتعذر الجمع قدم قول ابن عباس على غيره لأن النبي ﷺ دعا له وبشره بقوله: اللهم علمه التأويل[5].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية 50.

(2) وهو المادة السوداء السائلة التي تطلى بها الإبل من الجرب وتعبد بها الطرق.

(3) سورة النساء، الآية 43.

(4) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 138.

(5) البرهان في علوم القرآن للزركشي ونقله عنه في الاتقان للسيوطي، ج 2، ص 176.

أسئلة في هذا الفصل

س 1 : اذكر أقسام التفسير عموماً مبيناً ما يدخل منها في التفسير بالرأي المحمود - وما يدخل في المذموم.

س 2 : بين الكتب المؤلفة في التفسير بالإجمال بذكر أسمائها وأسماء مؤلفيها.

س 3 : تحدث عن تفسير ابن جرير الطبري مبيناً ترجمة موجزة للمفسر فيها اسمه كاملاً وتاريخ وفاته ومبلغه من العلم والتفسير ووصف كتابه وطريقته في تأليفه وما يؤخذ عليه.

س 4 : تحدث عن الكتب الآتية مبيناً أسماءها كاملة وأسماء مؤلفيها وتراجم مختصرة لهم تحتوي على تاريخ وفاتهم ومنهجهم في التفسير، والكتب هي: بحر العلوم - الكشف والبيان - معالم التنزيل - المحرور الوجيز - الجواهر الحسان.

س 5 : تحدث عن تفسير ابن كثير وتفسير السيوطي مبيناً اسميهما كاملة وكذلك أسماء المؤلفين مع ذكر ترجمة موجزة لهما مشتملة على تاريخ الوفاة وما يمتاز به كل منهما من العلوم التي يتقنها. ثم أوضح طريقة كل منهما في تأليفه للتفسير وما يمتاز به كل من التفسيرين عما عداهما من كتب التفسير بالمأثور.

س 6 : بين حكم التفسير بالمأثور واذكر قيمته العلمية مع التوجيه وكيف يمكن للقارىء أن يتجنب ما في كتب التفسير بالمأثور من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة.

س 7: تحدث عن الخلاف الوارد عن السف في التفسير مبيناً من هم السلف وما نوع الخلاف المروي عنهم وهل هو خلاف تضاد وتباين؟ أم ماذا؟ وما هي الأمور التي بواسطتها نستطيع رفع الخلاف الوارد عن السلف. اذكر هذه الأمور مع التمثيل لها.

الباب الثالث

الضعف في التفسير بالمأثور وأسبابه

تمهيد

الضعف الذي يوصف به التفسير بالمأثور يأتي إليه في الغالب من سنده لاعتماده كله على الرواية والنقل فإذا تطرق الضعف إلى الرواية وصل إلى التفسير ووصف به وتارة يكون المتن ضعيفاً لمنافاته الشريعة الإسلامية أو كان مما لا يصدقه العقل فيوصف بالضعف بهذا الاعتبار.

ما الذي يدخله الضعف من التفسير بالمأثور؟

تقدم لنا أن التفسير بالمأثور أقسام أربعة أعلاها تفسير القرآن بالقرآن وهذا النوع لا يمكن أن يتطرق إليه ضعف بحال ولا ينبغي أن يتردد أي مسلم في قبوله، ومثله ما كان تفسيراً بالسنة المرفوعة وصح سنده إلى رسول الله ﷺ أو حسن فلم يبق إلا التفسير الموقوف المروي عن الصحابة والمقطوع المروي عن التابعين، ومثلهما المرفوع الذي لم تتوفر فيه شروط الصحة أو الحسن فهذه الأنواع الثلاثة هي موطن الضعف الذي لاحظه العلماء على التفسير بالمأثور فوجدوا فيه الصحيح والضعيف والموضوع وخرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم التي اندست في الروايات الإسلامية وفي كتبهم ومن بينها كتب التفسير سواء منها ما كان خاصاً بالمأثور أو كان مختلطاً بالتفسير العقلي وسواء حذف منه السند أم لا فتكوّن من هذا وأمثاله ركام من الروايات المتباينة التي كثر فيها الضعف كثرة كادت تفقدنا الثقة بكل ما روي من تفسير بسبب اختلاطه وعدم تمييز صحيحه من سقيمه الأمر الذي جعل الإمام أحمد بن حنبل يقول ثلاثة: ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي[1] ويقول الإمام الشافعي: أنه لم

(1) قال المحققون من أصحابه أن مراده أن الغالب فيها ليس له إسناد صحيح متصل وإلا فقد

يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث[1].

من هنا نعلم مدى انتشار الضعف في التفسير هذا هو مقادر الضعف المنتشر في المأثور وأما أسبابه فهي كثرة متنوعة أهمها إجمالاً كثرة الوضع ودخول الإسرائيليات في التفسير وحذف الإسناد منه هذه هي الأسباب الرئيسية لأن الوضع له أسباب أخر يمكن أن نعتبرها أسباباً للضعف أيضاً سيأتي الكلام عليها عند الكلام عن الوضع إن شاء الله تعالى هذا وكلاً منا في الباب يشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: في الإسرائيليات وما يتعلق بها.

الفصل الثاني: الوضع في التفسير وما يتعلق به.

الفصل الثالث: حذف الإسناد وفيما يلي التفصيل:

- صح من ذلك شيء غير قليل كما تقدم لنا وتأيد برواية أخرى عنه فيها بلفظ ثلاثة ليس لها إسناد ذكرها ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير، ص 22. والمقصود من الملاحم: المعارك الكبرى والمغازي مطلق المعارك.

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 122.

الفصل الأول

الإسرائيليات وفيه النقاط التالية:

أ ـ بيان المراد من الإسرائيليات وصلتها بالقرآن الكريم وتفسيره.

ب ـ مبدأ دخولها في التفسير وأثرها فيه ومدى خطورتها على الإسلام والمسلمين.

ج ـ أقسامها وحكم روايتها.

د ـ موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية وواجب العلماء نحوها وأقطابها.

أولاً: المراد من الإسرائيليات: الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وهي عبارة عن قصة أو حادثة أو رواية نقلت عن مصدر إسرائيلي منسوبة أصلاً إلى إسرائيل لقب سيدنا يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام. وإلى إسرائيل ينسب اليهود فيقال: بنو إسرائيل وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في آيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

وأما المراد بها في الاصطلاح فهو ما ذكره شيخنا الذهبي بقوله: لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير وما للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه إلا أننا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل وهو ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير وما تأثر به التفسير من الثقافتين وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب[2].

(1) سورة النمل، الآية 76.

(2) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 165.

وبناء على كلام الشيخ هذا واسترشاداً بمصادر أخرى يمكن أن يقال:

أن المراد بها كل ما تطرق إلى التفسير من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما وتوسع بعض المحدثين والمفسرين فعدوا من الإسرائيليات كل ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم في التفسير من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم وإنما صنعها هؤلاء بخبث وسوء طوية ثم دسوها بطريقة ما في التفسير ليفسدوا على المسلمين عقيدتهم كقصة عوج بن عنق وقصة الغرانيق[1]. ونحوها وأطلقوا على كل ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب كما تقدم إذ غالب ما يروي من هذه الأساطير يرجع في أصله إلى مصادر يهودية، واليهود كما يقال قوم بهت وأشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين وهم أيضاً أكثر اختلاطاً بالمسلمين من غيرهم من أهل الكتاب لذا كانت ثقافتهم أوسع من ثقافة غيرهم عند المسلمين هذا هو المراد من الإسرائيليات.

وأما صلتها بالقرآن وتفسيره: فتتضح مما يلي:

أ ـ أن اليهود كانت لهم ثقافة دينية استمدوها من التوراة والتلمود، وللنصارى كذلك لهم ثقافة دينية أخذوها من الإنجيل.

وكلتا الثقافتين كان لها أثر في التفسير إلى حد ما اعتمدت الثقافة اليهودية على التوراة التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[2].

وكان لليهود بجانب التوراة سنن ونصائح لم تؤخذ عن موسى عليه الصلاة والسلام بطريقة الكتابة وإنما كانت تنقل مشافهة عرفت فيما بعد باسم التلمود بالإضافة إلى كثير من الأدب اليهودي، والقصص والتاريخ

(1) وهي قصة رواها كثير من المفسرين منهم ابن كثير رواها في ج 3، ص 229. وقال إن روايتها كانت في أحاديث مرسلة لم يخرجها أحد من أهل الصحة انظر كتاب الإسرائيليات في كتب الحديث والتفسير للشيخ محمد الذهبي، ص 20 ـ 21.

(2) سورة المائدة، الآية 44.

والتشريع والأساطير التي كانوا يتناقلونها فيما بينهم مشافهة.

وأما النصارى فكانت عمدة ثقافتهم على الإنجيل الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[1].

فكان منبع ثقافتهم إلى جانب ما زادوا عليه من أخبار وتعاليم تعرف بالتعاليم الرسولية.

ب ـ إذا نظرنا في التوراة والإنجيل وجدنا أنهما قد تناولا كثيراً مما تناوله القرآن الكريم وخاصة القضايا المتعلقة بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولكنه بأسلوب يختلف عن أسلوب التوراة والإنجيل في الإجمال والتفصيل فالقرآن يعالج هذه القصص مركزاً على مواضع العظة والعبرة ولا يتناول جزئيات المسائل كتاريخ الوقائع أو أسماء الأشخاص.

فمثلاً قصة آدم عليه السلام ورد ذكرها في التوراة كما وردت في القرآن في مواضع كثيرة دون تفصيل وتوضيح مثل ذكر نوع الشجرة التي نهى آدم وزوجه عن الأكل منها ولا اسم البقعة في الأرض التي هبطا إليها وأقاما بها بيد أن التوراة تعرضت لكل هذه التفاصيل وغيرها[2]. وقل مثل ذلك في قصة موسى ويوسف عليهما السلام وكذلك الأمر بالنسبة للإنجيل فإننا نجد القرآن قد اشتمل على موضوعات كثيرة وردت في الإنجيل مثل قصة ولادة عيسى عليه السلام وأمه مريم، ومعجزاته جاءت بأسلوب موجز مقتصر على موضع العبرة فلم يتعرض لكيفية ولادة عيسى عليه السلام ولا لنسبه ولا للمكان الذي ولد فيه وقد جاءت هذه التفاصيل في الإنجيل[3]، وغيرها كثير

---

(1) سورة الحديد، الآية 27.
(2) العهد القديم الإصحاح الأول من سفر التكوين ص 4 ـ 5.
(3) العهد الجديد إنجيل متى الإصحاح الأول، ص 1. نقلاً عن التفسير والمفسرون ج 1 ص 168.

من هنا نعلم العلاقة المتينة بين الكتب السماوية المنزلة وأن مصدرها واحد انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(1). وبعد فهل يجد المسلمون هذا الإيجاز والإجمال في كتابهم القرآن الكريم في موضوعات كثيرة، أهمها قصص الأنبياء ثم يجدون شروحها وتفاصيلها في كتب الديانات الأخرى السماوية ثم لا يأخذون منها بقدر يرونه شرحاً وتوضيحاً لما في كتابهم من إجمال الظاهر أن بعضهم قد فعل هذا هو السبب والعامل الرئيسي في دخول الإسرائيليات كتب التفسير هذا بالإضافة إلى ما علمناه فيما سبق من أن الرجوع إلى أهل الكتاب كان مصدراً من مصادر التفسير في عهد الصحابة فيما لم يرد فيه شيء عن رسول الله ﷺ.

غير متعلق بالعقيدة ولا بالأحكام الشرعية امتثالاً لقوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(2).

ويذكر ابن خلدون الإسرائيليات ويبين صلتها بالقرآن وتفسيره وكيف تسربت إلى كتب المسلمين فيقول رحمه الله تعالى: وقد جمع الأقدمون في ذلك يعني التفسير النقلي وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تتشوف إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفها العامة من أهل الكتاب. إلى أن يقول:

---

(1) سورة البقرة، الآية 285.

(2) صحيح البخاري مع فتح الباري ج 6 ص 329.

فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فتتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات[1].

ثانياً: مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره:

1 - يرجع دخول الإسرائيليات في التفسير إلى عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له فيسأل أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام ومعهم ثقافة دينية يهودية أو نصرانية إلا أن الصحابة كانوا لا يقبلون كل ما يقال لهم بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا ويردون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق وجه الصواب[2] ولم يخرجوا عن الدائرة التي حدها الرسول ﷺ ولم يخالفوا قوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»، الآية[3] فما خالف الشرع الإسلامي فهم في حل من تكذيبه، وما وافقه فهم في حل من تصديقه. هذا مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب، وأخذهم عنهم.

2 - أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل اكتاب فكثرت في عهدهم الروايات الإسرائيلية ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وشدة ميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية كما تقدم عن ابن خلدون.

3 - أما في عهد أتباع التابعين فقد وجد بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً وأدى

---

(1) صحيح البخاري، ج 6، ص 329. من فتح الباري.

(2) مقدمة ابن خلدون، ص 440.

(3) راجع ص 169، من التفسير والمفسرون، ج 1، وكذلك ص 170 - 171.

هذا الشغف بالإسرائيليات إلى نقل الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة وفي عهد التدوين وجد من المفسرين من حشوا كتبهم بذلك القصص الإسرائيلي الذي كان الناس من أسلافهم لا يركنون إليه.

أثر الإسرائيليات في التفسير:

وأما ما خلفته هذه الإسرائيليات من أثر في التفسير فو لا شك أثر سيء إلى حد بعيد نتيجة للمبالغة التي حصلت فيما بعد وجعلت الناس يأخذون منها دون نظر للاعتبارات السابقة التي كان معمولاً بها في عهد الصحابة وخرجوا عن النطاق المحدد من جانب الرسول الكريم ﷺ فرووا كل ما قيل لهم سواء كان موثوقاً به أو لا ودون تحر في الأخذ حتى دخل في التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع وأدى ذلك إلى جعل كتب التفسير بالمأثور أو معظمها في موضع الشك والارتياب وذلك لصعوبة للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح منه فيها. كما أن هذه الإسرائيليات لكثرة انتشارها في كتب التفسير جعلت بعض المفسرين ينظرون إلى رواتها بعين الاتهام.

مدى خطورة الإسرائيليات على المسلمين والإسلام:

ذكر العلماء أن الإسرائيليات بما تحويه من أباطيل وأكاذيب وخرافات أضيف بعضها إلى رسول الله ﷺ، وإلى صحابته الكرام زوراً، وإقبال بعض المفسرين عليها وجعلها مادة لتفسير القرآن لا شك أنها بصورتها هذه تشكل خطراً كبيراً وشراً مستطيراً علي الإسلام والمسلمين[1]. وذلك لإفضائها إلى نتائج وخيمة كثيرة منها ما يلي:

1 - تؤدي إلى الفساد في عقائد المسلمين بما تنطوي عليه من تجسيم وتشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه ووصفه بصفات لا تليق بجلاله وكماله. وبما فيها من أوصاف تخل بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتصورهم بصورة من

(1) الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 48.

استبدت بهم الشهوات والملذات فدفعتهم إلى ارتكاب قبائح لا تليق بإنسان عادي فما بالك بالأنبياء المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

2 ـ أنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يعني بترهات وأباطيل لا أصل لها مثل ما رواه القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[1] من أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وما رواه أيضاً عن كعب الأحبار في نفس الموضع قال: لما خلق الله تعالى العرش قال: لن يخلق الله خلقاً أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية للحية سبعون ألف جناح وفي الجناح سبعون ألف ريشة وفي كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد الشجر والورق وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين فالتوت الحية بالعرش فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية عليه[2].

3 ـ أنها تكاد تذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين وذلك بسبب إسناد عدد غير قليل من هذه الإرسرائيليات إلى من عرفوا بالثقة والعادلة واشتهروا بالتفسير والحديث فاتهموا من أجل نسبتها إليهم بأبشع الاتهامات وأشنعها واعتبرهم المستشرقون ومن مشى في ركابهم مدسوسين على الإسلام وأهله مثل أبي هريرة وعبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنهما وكعب الأحبار ونحوهم.

4 ـ أنها كادت تصرف المسلمين عن الغرض الذي من أجله أنزل القرآن وتلهيهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبره وعظاته وعن البحث عن حكمه وأحكامه إلى توافه من الإسرائيليات لا خير فيها ولا فائدة من ورائها أو إلى صغائر لا وزن لها وإلى تفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها عبثاً محضاً ومضيعة

(1) سورة غافر، الآية 7.
(2) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 294.

للوقت فيما لا يعني ولا يعيد مثل البحث عن لون كلب أصحاب الكهف واسمه وعن عصا موسى عليه الصلاة والسلام وعن جنس الخشب الذي أخذت منه وعن اسم الغلام الذي قتله الخضر وعن طول سفينة نوح وعن عرضها وارتفاعها وعن أسماء الحيوانات التي حملت فيها. وغير ذلك مما طواه القرآن وسكت عنه.

ثالثاً: أقسام الإسرائيليات وحكم روايتها:

ذكر العلماء أن للإسرائيليات تقسيمات ثلاثة باعتبارات مختلفة تنقسم أولاً باعتبار الصحة وعدمها إلى قسمين قسم صحيح وقسم غير صحيح وهو الضعيف ويدخل فيه الموضوع وهو المكذوب المختلق[1]، وتنقسم ثانياً باعتبار نوع الخبر أو موضوعه الوارد فيه إلى ثلاثة أقسام قسم ورد في العقائد وقسم ورد في الأحكام الشرعية من عبادات وغيرها وقسم ورد في المواعظ والقصص النبوي وأخبار الأمم الخالية أو الحوادث التي لا صلة لها بالعقائد والأحكام، وأغلب الإسرائيليات من هذا القسم وهو الذي امتلأت به كتب التفسير، وتنقسم ثالثاً باعتبار موافقتها للشريعة الإسلامية وعدمها إلى ثلاثة أقسام أيضاً موافقة ومخالفة ومسكوت عنها وهذا التقسيم الأخير هو الأهم لابتناء حكم روايتها عليه وقد جاء بطريقة أخرى اعتمدها بعض العلماء[2]، وهي تقسيمها إلى مقبول ومردود ومتردد بين القبول والرد ويتضح للمتأمل في هذه التقسيمات كلها أنها متداخلة إلى حد ما إذ المقبول هو الصحيح الموافق للشريعة والمردود هو الضعيف أو المخالف للشريعة والمتردد هو المسكوت عنه بقطع النظر عن موضع الخبر سواء كان موضعه في العقائد أو في الأحكام أم في غيرها.

هذه هي تقسيمات الإسرائيليات وأقسامها بالإجمال.

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 150.

(2) وهو الشيخ محمد محمد أبو شهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

وأما حكم روايتها فينبغي أن أقدم له ببيان الأدلة المثبتة للحكم من القرآن والسنة وأقوال العلماء وهي قسمان أدلة تفيد المنع وأخرى تفيد الإباحة.

أما أدلة المنع فهي كما يلي:

أولاً: من القرآن الآيات المصرحة بأن اليهود والنصارى قد بدلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها مما أذهب الثقة فيما يحدثون منها وما لا يوثق به لا تجوز روايته يقول الله تعالى عن اليهود: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[1]، ويقول عنهم أيضاً: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[2]، ويقول في شأن النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[3].

ثانياً من السنة

- ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...».

ففي هذا الحديث دلالة على عدم الثقة بما يحدث به أهل الكتاب من التوراة ومن غيرها وما لا يوثق به لا تجوز روايته.

---

(1) سورة المائدة، الآية 41.

(2) سورة المائدة، الآية 14.

(3) سورة المائدة، الآية 15.

- وما رواه البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[1].

وأما أدلة إباحة الرواية عنهم فهي كما يلي:

أولاً من القرآن الآيات الدالة على جواز الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم عما في أيديهم وما عندهم من العلم وهي كثيرة منها:

قوله تعالى مخاطباً الرسول ﷺ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ[2] ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾[3].

في هذه الآية أمر من الله سبحانه لنبيه وإباحة له أن يسأل أهل الكتاب وهو في نفس الوقت أمر وإباحة لأمته لما هو مقرر شرعاً أن أمر الرسول يعتبر أمراً لأمته ما لم يقم دليل على الخصوصية.

وقوله تعالى خطاباً لرسوله ﷺ أيضاً: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4] هذه الآية صريحة في جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[5] المراد من الذي عنده علم الكتاب على الراجح هو عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه.

---

(1) أخرجه البخاري فتح الباري، ج 6، ص 220.
(2) سورة يونس، الآية 94.
(3) والتقدير في هذه الآية وإن كنت على سبيل الفرض والتقدير وإلا فهو لا يشك أبداً.
(4) سورة آل عمران، الآية 93.
(5) سورة الرعد، الآية 43.

التي لا تعلق لها بالعقائد والأحكام الشرعية وهي الأخبار المصدقة لشرعنا وعن الأمم السابقة قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرحه لقوله ﷺ: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الأذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار[1].

الاتجاه الثاني:

وهو الأولى والأقرب لما فيه من العمل بجميع الأدلة ويحصل بالتوفيق بين أدلة المنع وأدلة الإباحة بنوع من التفسير والتأويل بحيث لا يكون بينهما تعارض في الحقيقة والواقع وذلك بأن يقال: أن حديث المنع الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب» الحديث محمول على نوع خاص من أخبارهم وهو المسكوت عنه الذي لا يوصف بموافقة للشريعة الإسلامية ولا بمخالفة لها فهذا النوع حكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه لأننا إذا صدقناه لربما يكون كذباً في الواقع فنكون قد صدقنا الكذب ولا نكذبه لأنه ربما يكون صدقاً في الواقع فنكون قد كذبنا بالصدق[2]. وتجوز روايته على أنه مجرد حكاية لما عندهم بشرط أن لا يكون له تعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية وكان مما يقبله العقل ولا ينكره وهو بهذه الشروط يكون داخلاً في عموم قوله ﷺ

---

(1) فتح الباري. بشرح صحيح البخاري، ج 6، ص 320.

(2) وقد أخرج عبد الرزاق حديثاً بهذا المعنى يقول فيه عبدالله بن مسعود: لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل من الفتح، ج 17، ص 100. ومثله حديث جابر رضي الله عنه الذي يقول فيه الرسول ﷺ وفيه: ولقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به؟... الحديث.

وحدثوا عن [illegible] إسرائيل ولا حرج هذا هو حكم المسكوت عنه من أخبارهم ونفي [illegible] وهذا الموافق لكتابنا ولشريعتنا وعكسه وهو المخالف لهما أو لصريح العقل.

أما الموافق فلا شك في قبوله وجواز روايته وهو وإن كان فيما عندنا غنية عنه ولكن يجوز ذكره للاستشهاد والتأكيد ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم وذلك مثل البشارة بسيدنا محمد وذكر صفته ﷺ وبيان المراد بصاحب موسى عليه الصلاة والسلام وأنه الخضر لوروده في الحديث الصحيح، وأن التوحيد دين الله وغير ذلك كثير.

وأما النوع المخالف لشرعنا ولكتابنا ومثله المناقض لصريح العقل فهو مردود لا تجوز روايته إلا مقترناً ببيان كذبه وأنه مما حرفه أهل الكتاب وبدلوه وذلك مثل ما ذكروه من قصص وأخبار فيها طعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما في قصة داود وسليمان وأيوب ومثل ما روي عنهم أن الذبيح اسحاق وليس اسماعيل وعلى هذا القسم يحمل النهي الوارد في الأحاديث والزجر عن الأخذ عنهم في حديث ابن عباس ونحوه.

خلاصة القول في حكم رواية الإسرائيليات

أن ما جاء منها موافقاً لما في شرعنا صدقناه وجازت روايته، وما جاء مخالفاً لما في شرعنا كذبناه ورددناه وحرمت روايته إلا ببيان بطلانه، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب وتجوز روايته لأن غالبه راجع إلى القصص لا إلى العقائد والأحكام وروايته ليست إلا مجرد حكاية له كما هو في كتبهم بصرف النظر عن كونه حقاً أو غير حق[1] والله أعلى وأعلم.

(1) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للشيخ الذهبي، ص 86. بتصرف.

رابعاً: أقطاب الروايات الإسرائيليات وموقف المفسرين منها وواجب العلماء نحوها:

أقطاب الإسرائيليات الذين تدور عليهم رواياتها واشتهروا بها وترددت أسماؤهم في كتب التفسير بالمأثور هم خمسة اثنان منهم من صحابة رسول الله ﷺ، وهما عبدالله بن سلام وتميم الداري وبعضهم من التابعين وهم كعب الأحبار ووهب بن منبه وابن جريج، هذا ومما ينبغي أن يعلم هنا أن بعض الإسرائيليات قد نسب إلى الرسول ﷺ ومعظمها نسب إلى الصحابة أو التابعين فمن بعدهم، والمروي منها عن غيره ﷺ قد يصح سندها إلى من رويت عنهم وأسندت إليهم أو يحسن ولكن هذا لا ينافي عدها أو اعتبارها من خرافات بني إسرائيل وأباطيلهم لأن الصحابي أو التابعي قد تلقاها عن أهل الكتاب الذين أسلموا فثبتت الرواية عنه ولكن الخبر نفسه مختلق مكذوب من أصله الذي أخذ منه وهو كتب اليهود والنصارى المحرفة والمبدلة بشهادة القرآن وليس معنى هذا أن الصحابي أو التابعي هو الذي اختلقها واخترعها من عند نفسه وإنما معناه أنه أخذها ونقلها عن أسلافه، وعلى هذا فلا ينبغي أن يوصف أي واحد من رواة الإسرائيليات بأنه كذاب أو وضاع اللهم إلا إذا ثبت هذا الوصف له من علماء الجرح والتعديل.

وفيما يلي أكتب ترجمة موجزة للمشهورين بالتفسير من هؤلاء ليتسنى للمنصفين من الطلاب والباحثين أن يعرفوا رأي أهل الجرح والتعديل فيهم ويعلموا قدرهم عند العلماء.

1عبدالله بن سلام[1] ترجمته ومبلغه من العلم والعدالة. صحابي

أ ـ ترجمته: 43 هـ

هو أبو يوسف عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري الخزرجي[2]

---

(1) سَلام بفتح السين وتخفيف اللام.

(2) لأنه كان من حلفاء بني عوف من الخزرج وله ترجمة في تهذيب الأسماء واللغات، ج 1،

من نسل يوسف بن يعقوب بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام كان من أحبار اليهود وعلمائهم أسلم أثر قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه النبي ﷺ عبدالله روى عن النبي ﷺ وعن كبار الصحابة حتى صار من علمائهم المشهورين فانظم علمه بالتوراة وكتب بني إسرائيل إلى علمه بالقرآن وتفسيره وكان من المبشرين بالجنة وقصة إسلامه التي رواها البخاري تشهد بعلمه وفضله[1] وكذلك ما نزل في شأنه من قرآن كقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] وقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[3].

وعن يزيد بن عمير قال: حضرت الوفاة معاذاً فقيل له أوصنا فقال التمسوا العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبدالله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنه عاشر عشرة في الجنة»[4].

وقال النووي في تهذيبه: ومناقبه كثيرة مشهورة روى له عن النبي ﷺ خمسة وعشرون حديثاً أخرجها الشيخان توفي إلى رحمة الله تعالى بالمدينة سنة 43 هـ سنة ثلاثة وأربعين هجرية.

ب ـ مبلغه من الثقة والعدالة:

يكفيه في هذا أنه من علماء الصحابة والصحابة كلهم عدول قال شيخنا الذهبي عنه: لم نجد بين علماء الحديث الذين نقدوا الرجال من ناله بتهمة أو مسه بتجريح وإنما وجدناهم يعدلونه ويوثقونه ولهذا اعتمده البخاري وغيره من أهل الحديث، ولا يغض من شأنه ما صح عنه من روايات إسرائيلية فهي على

- ص 270. وخلاصة تهذيب الكمال، ص 200. والأعلام، ج 4، ص 90.

(1) انظر صحيح البخاري باب الهجرة، ج 5، ص 63.

(2) سورة الرعد، الآية 43.

(3) سورة الأحقاف، الآية 10.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 2210.

فلنها لا تعدو أن تكون من قبيل ما أذن الرسول ﷺ في روايته وما نسب إليه من إسرائيليات كذباً وزوراً بقصد ترويجها فهذا ذنب من نسبها ولي له فيها جناية[1].

2 ـ كعب الأحبار، ترجمته، ومبلغه من العلم والعدالة.

أ ـ ترجمته:

هو أبو اسحاق كعب بن ماتع الحميري التابعي[2] أصله من اليمن من آل ذي رعين وقيل من ذي الكلاع كان يهودياً من يهود اليمن وأسلم في خلافة عمر وقيل في خلافة أبي بكر وقدم المدينة في خلافة عمر ثم صحبه وأكثر من الرواية عنه، وكان رحمه الله في جاهليته من كبار علماء اليهود وأحبارهم وبعد إسلامه تعلم الكتاب والسنة عن كبار الصحابة وأخذوا عنه كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وكذلك روى عنه عدد من التابعين منهم سعيد بن المسيب وغيره وفي تهذيب النووي، أن أبا الدرداء ذكره وقال: «أن عنده علماً كثيراً» ثم قال واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه[3] سكن المدينة وغزا الروم في خلافة عمر وتحول إلى الشام في خلافة عثمان وسكن حمص وتوفي بها سنة 32 هـ اثنتين وثلاثين هجرية.

ب ـ مبلغه من العلم والعدالة والتوثيق:

قال الشيخ محمد أبو شهبة ضمن كلامه عن كعب: لم يتهمه أحد من علماء الجرح والتعديل بالوضع والاختلاق ولم نجد له ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين والجمهور على توثيقه[4].

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 187، بتصرف.

(2) لكعب ترجمة في تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 68. وفي تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 49. وفي الأعلام، ج 5، ص 228. وفي حلية الأولياء، ج 5، ص 364. وفي الإصابة في تمييز الصحابة، ترجمة رقم 7498.

(3) ج 2، ص 187.

(4) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 144.

وأما الإسرائيليات التي رواها أو نسبت إليه وما كان فيها من كذب وباطل فهذا يرجع إلى من نقلها عنهم من أسلافه الذين حرفوا وبدلوا، وإلى بعض كتب اليهود المليئة بالأكاذيب والخرافات وهو منها بريء وإن كان عليه لوم في عدم تحريه الصدق والحق فيما يروي وينقل من الكتب القديمة[1]. والله أعلم.

3 ـ وهب بن منبه الصنعاني، ترجمته، ومبلغه من العلم والعدالة.

أ ـ ترجمته:

هو أبو عبدالله وهب الصنعاني الذماري[2] التابعي أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمه من حمير ولد بصنعاء في خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال النووي في تهذيبه: وهو تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية سمع جابر بن عبدالله وابن عباس وابن عمرو بن العاص وأبا هريرة وأنساً وروى عنه عدد من التابعين منهم عمرو بن دينار والمغيرة بن حكيم وآخرون وتولى قضاء صنعاء وتوفي بها سنة 110 هـ مائة وعشر هجرية.

ب ـ مبلغه من العلم والعدالة

قال العلماء وثقه الجمهور وأخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

هذا وعلى الرغم من توثيقه فقد كان رحمه الله تعالى واسطة لدخول كثير من الإسرائيليات في كتب التفسير وغيرها.

وهو وإن لم يكن قد اختلقها ووضعها من عند نفسه عليه تبعة نقلها

---

(1) نفس المصدر السابق.

(2) الذماري بكسر الذال نسبة إلى ذمار قرية على مرحلتين من صنعاء اليمن. ولوهب ترجمة في مصادر كثيرة منها تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 149. والأعلام، ج 8، ص 125. وحلية الأولياء، ج 4، ص 23. وتهذيب التهذيب، ج 11، ص 166. ووفيات الأعيان، ج 2، ص 180. وطبقات ابن سعد، ج 5، ص 395.

وإدخالها في كتب المسلمين وإلصاقها بالتفسير إلصاقاً والقرآن بريء منها ويا ليته ما فعل[1].

4 ـ عبد الملك بن جريج، ترجمته، ومبلغه من العلم والعدالة.

أ ـ ترجمته:

هو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي الأموي مولاهم أصله رومي نصراني ولد سنة80 هـ ثمانين هجرية قال عنه في طبقات المفسرين: الإمام المجتهد الحافظ فقيه الحرم[2] وقال الذهبي هو: قطب الإسرائيليات في عهد التابعين كما يعلم من الروايات الكثيرة التي رويت عنه في تفسير ابن جرير الطبري وخصوصاً في الآيات الواردة في شأن النصارى[3] وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي من أول من صنف الكتب؟ قال ابن جريج وابن أبي عروبة[4] ويعرف عنه أنه كان رحالة في طلب العلم فقد ولد بمكة ثم تطوف في كثير من البلاد، فرحل إلى البصرة وإلى اليمن وبغداد ورويت عنه أجزاء كبيرة في التفسير عن ابن عباس منها الصحيح ومنها غير الصحيح[5] وروى عن أبيه وعن عطاء بن أبي رباح وعن زيد بن أسلم وروى عنه ابناه والأوزاعي والليث ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم توفي سنة 150 هـ مائة وخمسين هجرية.

ب ـ مبلغه من العلم والعدالة:

أما كونه من العلماء فهذا مسلم بشهادة ما تقدم. وأما درجته من العدالة

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 149.
(2) طبقات المفسرين للداودي، ج 1، ص 353. ولابن جريج ترجمة في الطبقات هذا وفي الأعلام، ج 4، ص 166. وفي تذكر الحفاظ، ج 1، ص 169. وفي وفيات الأعيان، ج 2، ص 338. وفي تهذيب التهذيب، ج 6، ص 402.
(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 190.
(4) نفس المصدر السابق.
(5) المصدر السابق. ص 200.

فهو لم يظفر بإجماع النقاد وإنما وجدناهم قد اختلفوا فيه فمنهم من قال بتوثيقه ومنهم من يضعفه فقد وثقه العجلي وسليمان بن النظر وابن معين وقال: هو ثقة في كل ما روى عنه من الكتاب[1].

ومن الذين ضعفوه ووصفوه بالتدليس[2] الدارقطني والذهبي وأحمد بن حنبل ومالك الذي كان يرى فيه أنه لا يبالي من أين يأخذ، ويقول: «كان ابن جريج حاطب ليل».

وعلى العموم فإن المفسر الذي يريد الرجوع لمرويات ابن جريج عليه أن يكون حذراً فيما يروي من تفسير عنه فقد اختلط فيه الصحيح بالسقيم حتى لا يروي ضعيفاً ولا يعتمد سقيماً والله الموفق والمستعان.

موقف المفسرين من الإسرائيليات

علمنا فيما سلف موقف المفسرين من الصحابة من رواية الإسرائيليات فرأينا أن نفراً منهم كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب[3] يأخذون عنهم بعض ما عندهم من جزئيات الحوادث التي تعرضت لها كتبهم بالتفصيل وتعرض لها القرآن بالإيجاز والإجمال غير أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

كانوا ملتزمين بالنهج القويم الذي رسمه لهم الرسول ﷺ استخلصوه من أحاديثه في هذا الشأن فلم يكن سؤالهم لأهل الكتاب في كل شيء ولم يكونوا يصدقونهم في كل شيء، وإنما كان رجوعهم إليهم في توضيح قصة من القصص القرآني.

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 199.

(2) بمعنى أنه يرسل الحديث ولا يذكر من روي عنه ويقول: أخبرت وحدثت وهو حين يقول ذلك لا يقوله إلا عن مجروح.

(3) كابن عباس وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن سلام انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي من ص 96 ـ 115.

أو بيان لما أجمل منها كانوا يأخذون هذا ونحوه في حرص شديد ودقة وروية فما كان منه على وفق شرعنا صدقوه وما كان على خلافه كذبوه ورفضوه وما كان مسكوتاً عنه توقفوا فيه فلا يحكمون عليه بصدق ولا بكذب.

وأما المفسرون من التابعين فقد علمنا أنهم أكثروا من رواية الإسرائيليات نظراً لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب، ولشدة ميل نفوس القوم إلى سماع تفاصيل ما أجمله القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية أو غيرها.

وأما المفسرون من طبقة أتباع التابعين الذين كانوا في عصر تدوين التفسير فقد وجدنا من بينهم من دون التفسير دون تحر للصحة فجمعوا في مصنفاتهم الصحيح وغيره وفي ضمنه كثير من الإسرائيليات ووجدنا بعضهم قد حذفوا الأسانيد من الرواية فلبسوا على الناس أمر دينهم وكلما تقدم الزمن بالناس كلما تهاون بعض من تصدى للكتابة في التفسير حتى وجدنا منهم من أغرم بالقصص الإسرائيلي وحشوا به تفاسيرهم مثل الكلبي والسدي الصغير ومقاتل بن سليمان وأبو اسحاق الثعلبي والبغوي ونحوهم.

علماً بأن بعض هؤلاء من أصحاب الكتب من يذكر السند لمروياته كاملاً وهي طريقة أخف خطراً من محذوفة السند ومن هؤلاء ابن جرير الطبري وابن كثير الذي يتعقب الإسرائيليات بالنقد وبيان ما فيها من باطل وزيف كما سبق قريباً[1].

واجب العلماء والمفسرين نحو الإسرائيليات

بعدما علمنا معنى الإسرائيليات وأقسامها وحكم روايتها وأثرها في التفسير ومدى خطورتها وموقف المفسرين منها يحسن أن نعلم هنا ما ينبغي أن يفعله العلماء والمفسرون إيزاءها ليتسنى لمن يتصدى للتفسير أن يتجنبها

(1) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للشيخ الذهبي، ص 38 ـ 92، 93 ـ 24 بتصرف.

ويَنجو من خطرها وهي تتلخص في الأمور الآتية:

أولاً: إحصاؤها والتنصيص عليها وبيان أنها من الدخيل على الإسلام والمسلمين ثم نشرها بين أبناء الأمة الإسلامية في كتب خاصة بها على نطاق واسع مشفوعة بالرد والإبطال عقلاً ونقلاً حتى يتمكن المسلمون من اجتنابها وعدم الاغترار بها.

ثانياً: يتحتم على المفسر لكتاب الله تعالى أن يكون حذراً ويقظاً إلى أبعد حدود اليقظة وناقداً إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة وروية حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الركام الهائل من الإسرائيليات التي امتلأت بها بعض كتب التفسير فيأخذ منه ما يناسب روح القرآن ويتفق مع العقل والنقل.

ثالثاً: أن يبتعد المفسر ما أمكنه عن النقل عن أهل الكتاب ما دام في السنة المرفوعة بيان لمجمل القرآن، ويبتعد كل البعد عن الإسرائيليات التي لا طائل تحتها ولا فائدة ترجى من ورائها.

رابعاً: ينبغي أن يقدر المفسر الحاجة الضرورية الماسة فلا يذكر في تفسيره من الإسرائيليات الموثوق بها إلا ما دعت إليه ضرورة إيضاح المعنى المراد دون زيادة أو نقصان.

خامساً: يحسن إلقاء المحاضرات العامة ونشر المقالات التي تنبه الناس إلى خطر هذه الإسرائيليات الملصقة بالدين الإسلامي عموماً وبتفسير القرآن الكريم على وجه الخصوص والله أعلم وهو المستعان.

١- احصاؤها والتنصيص على بيان أنها دخيل على الإسلام
ونشرها في كتب خاصة والرد وإبطالها عقلاً ونقلاً

س 1: ذكر العلماء أن التفسير بالمأثور يوصف بالضعف بين المراد من الضعف وما يدخله من التفسير وما لا يدخله موجهاً ما تقول، ثم اذكر أسباب الضعف بالإجمال؟

س 2: ما معنى الإسرائيليات؟ وما المراد بها عند المفسرين مبيناً الصلة التي تربطها بالقرآن وتفسيره مسترشداً بالعلاقة المتينة بين القرآن من جهة وبين التوراة والإنجيل من جهة أخرى؟

س 3: حدّد التاريخ الذي بدأ فيه دخول الإسرائيليات في التفسير وهل وجدت فيه في عصر الصحابة وفي عصر من بعدهم من التابعين وأتباعهم؟

س 4: بيّن أثر الإسرائيليات في التفسير ومدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام؟

س 5: بيّن تقسيمات الإسرائيليات وأقسامها باعتبارات مختلفة إجمالاً؟

س 6: ما حكم رواية الإسرائيليات شرعاً مستدلاً عليه من القرآن والسنة واذكر أدلة المنع من روياتها وأدلة الإباحة مع بيان التوفيق بين النوعين من الأدلة مبيناً اتجاهات العلماء في التوفيق وخلاصته؟

س 7: اكتب ترجمة موجزة لكل واحد من أقطاب الروايات الإسرائيلية مبيناً مبلغه من العدالة والثقة وتاريخ وفاته؟

س 8: حدّد مواقف المفسرين من الإسرائيليات في العصور المختلفة مبيناً واجب العلماء والمفسرين نحو الإسرائيليات التي امتلأت بها كتب التفسير بالمأثور؟

الفصل الثاني

الوضع والموضوعات في التفسير بالمأثور

للإحاطة بهذا الموضوع ينبغي أن يشتمل الكلام فيه على النقاط التالية:

أ ـ معنى الوضع لغة واصطلاحاً وحكمه ونشأته ومبدأ دخوله في التفسير.

ب ـ أقسامه وعلاماته وأسبابه.

ج ـ أثره في التفسير وقيمته الذاتية ومقاومته ومجهودات العلماء نحوه.

وفيما يلي تفصيل هذه النقاط:

أولاً: معنى الوضع لغة واصطلاحاً

أما معناه لغة فهو: إسقاط الشيء وطرحه إلى أسفل، ويطلق ويراد به الولادة من قولهم وضعت المرأة مولودها إذا ولدته[1] وأما معناه في الاصطلاح فهو: ما نسب إلى الرسول ﷺ اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره[2].

وقال النووي: هو المختلق المصنوع وشر الضعيف[3]، وعرف بتعريف آخر أعم وأشمل وهو: اختلاق الحديث[4] وصنعه وكذبه على رسول الله ﷺ أو على من بعده من الصحابة والتابعين[5]، لكنه إذا أطلق ولم يقيد لا ينصرف إلا

---

(1) انظر القاموس المحيط، ج 3، ص 98.

(2) انظر أصول الحديث ومصطلحه محمد عجاج الخطيب، ص 415.

(3) شرح التقريب للسيوطي، ص 185.

(4) الاختلاق أعم من أن يكون ابتدع كلاماً لم يسبق إليه أو أخذ كلام الغير ثم نسبه إلى النبي ﷺ فيكون الاختلاق في النسبة فقط.

(5) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث، ص 24.

إلى الموضوع عن الرسول ﷺ، أما الموضوع عن غيره فإنه ينبغي أن يقيد بقيد يخصصه فيقال مثلاً موضوع عن ابن عباس أو ابن مسعود أو عن مجاهد أو الحسن البصري.

والمناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي على المعنى اللغوي الأول أن الحديث الموضوع ساقط ومنحط في الاعتبار عن غيره.

وأما المعنى اللغوي الثاني فلما فيه من معنى التوليد والاختراع.

حكم رواية الموضوع شرعاً:

حكم رواية الموضوع سواء كان بالمعنى الأول الخاص أو الثاني العام فهو حرام لأنه كذب بل هو أشر أنواعه لما يترتب عليه من المضار والمفاسد العامة والخاصة وهو بالمعنى الأول كذب على رسول الله ﷺ وهو من الكبائر المجمع على تحريمها بل عده بعضهم من المكفرات وهو الجويني[1] من أئمة الشافعية قائلاً: يكفر من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، وأيده الإمام ناصر الدين ابن المنير من المالكية ووافقهم آخرون من الحنابلة ويتأيد هذا الرأي بقوله ﷺ فيما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه: إن كذباً ليس ككذب علي أحد فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[2] فإن قوله عليه الصلاة والسلام: إن كذباً ليس ككذب علي أحد مشعر بأن حكمه عليه ليس كحكمه على غيره وحكمه على الغير كبيرة فيكون الكذب عليه أكثر من الكبير وهو أن يكون من أكبر الكبائر كالشرك وقتل النفس بغير حق. وأما القول بأنه من المفكرات فهو غير مسلم أللهم إلا أن يحمل على المستحل لذلك والله أعلم.

قال الإمام النووي في التقريب مبيناً حكم رواية الموضوع: وتحرم روايته

---

(1) نسبة إلى جوين ناحية من نواحي نيسابور تشتمل على قرى مجتمعة وهو أبو محمد عبدالله بن يوسف والد إمام الحرمين المتوفي سنة 438 هـ.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، ج 1، ص 69 ـ 70.

مع العلم به في أي معنى كان إلا مبينا[1] أي مقروناً ببيان وضعه في أي باب من الأبواب في الحلال والحرام أو في غيرها من الترغيب والترهيب أو القصص والتاريخ أو غير ذلك إلا مقروناً ببيان أنه موضوع مكذوب على من روى عنهم ونسب إليهم ليجتنبه الناس ويبتعدون عنه، ومن رواه بدون بيان فقد باء بإثم عظيم بدليل قوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه بسنده: من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين[2].

نشأة الوضع ومبدأ دخوله في التفسير

علمنا فيما سلف أن التفسير بالمأثور في بداية نشأته كان مختلطاً بالحديث وجزءاً منه وكان الوضع قد ظهر في الحديث بعد خلافة الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه سنة 41 هـ إحدى وأربعين للهجرة في الوقت الذي دب فيه الخلاف السياسي بين المسلمين وانقسموا إلى شيعة[3] وخوارج[4] وجمهور وعليه يمكننا أن نقول إن نشأة الوضع في التفسير كانت مع نشأته في الحديث إثر

---

(1) التدريب شرح التقريب، ص 178.

(2) صحيح مسلم، ج 1، ص 62، والكاذبين بفتح الباء وكسر النون بصيغة المثنى وهما من وضعه ومن رواه لأنه أذاعه وأشاعه بين الناس وبصية الجمع بكسر الباء وفتح النون بمعنى أن الراوي صار في عدادهم وواحد منهم لما ذكر وهي إشاعة على رسول الله ﷺ.

(3) الشيعة أنصار سيدنا علي بن أبي طالب وهم طوائف وفرق كثيرة أخبثهم وأبعدهم عن الإسلام الروافض الذي رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر وكفروهما وأعدل طوائف الشيعة وأقربهم الزيدية الذين يفضلون علياً على غيره ويجيزون إمامه المفضول مع وجود الأفضل.

(4) الخوارج هم الذي خرجوا عن الإمام علي بعد قبوله التحكيم بينه وبين معاوية وقالوا لا حكم إلا لله وقالوا بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في سنيه الأولى قبل أن يغير ويبدل وصحة خلافة علي قبل الرضي بالتحكيم وهم أصلب الطوائف في عقيدتهم وأكثرهم عبادة انتهى. من هامش الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 32.

عملية التحكيم الواقعة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما وترتب عليها إذكاء نار الفتنة التي كانت بذورها قد نبتت في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على يد زعيم السبئية عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وتبطن الكفر فانتهز فرصة ظهور الخلاف بين المسلمين فأظهر التشيع للإمام علي وآل البيت وأخذ يبث سمومه بين المسلمين ومن وسائله التي اعتمد عليها هو وأتباعه وضع أحاديث في فضل علي رضي الله عنه منها وأنه وصي رسول الله ﷺ وخليفته من بعده ويقولون: هو أولى بالخلافة حتى من أبي بكر وعمر وعثمان ويطعنون في خلافة هؤلاء كذلك كان لظهور الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية فيما بعد أثر ظاهر في نشأة الوضع وانتشاره في الحديث والتفسير وكذلك فعل مثل هؤلاء وأولئك القصاص والزهاد فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب والفضائل.

واستمر أتباع هذه الفرق والمذاهب يحاولون دعم ما يدعون إليه بالقرآن والسنة، ومن البديهي أن لا تجد كل فرقة ما يؤيد دعواها في القرآن ولا في نصوص السنة المعروفة بما لا تحتمله من معان ولما لم يجدوا في هذين الأصلين سبيلاً إلى غايتهم لكثرة حفاظ القرآن الكريم ولمعرفة الناس الواسعة بالسنة النبوية الشريفة لجأوا إلى وضع أحاديث في تفسير القرآن وغيره أتوا بها من عند أنفسهم ونسبوها كذباً وزوراً إلى رسول الله ﷺ أو إلى أحد مشاهير الصحابة فوضع الشيعة كثيراً من الأحاديث في فضائل علي كرم الله وجهه وآل بيته غير مكتفين بما ورد فيهم من صحيح الحديث وقابلهم بعض الجهلة من أهل السنة فوضعوا أحاديث في فضائل الخلفاء من قبله أبي بكر وعمر وعثمان.

ومما وضعه الرافضة[1] من الشيعة ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي اسحاق قال: لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي رضي الله عنه قال

(1) الروافض من الرفض وهو الترك قال الأصمعي وغيره سموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي فتركوه من شرح النووي لمسلم، ج 1، ص 102.

رجل من أصحاب علي: قاتلهم الله اي علم أفسدوا قال النووي في شرح هذا الكلام: أشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض والشيعة في علم علي رضي الله عنه وحديثه وتقولوه عليه من الأباطيل وأضافوا إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة وخلطوه بالحق فلم يميزوا ما هو صحيح عنه مما اختلقوه(1).

ومن وضعهم أيضاً في التفسير ما رواه مسلم بسنده عن سفيان قال: سمعت رجلاً سأل جابراً ـ الجعفي(2) عن قوله عز وجل: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾(3) فقال جابر: لم يجيء تأويل هذه قال سفيان وكذب فقلنا لسفيان وما أراد بهذا؟

فقال أن الرافضة تقول: إن علياً في السحاب فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء يريد علياً أنه ينادي أخرجوا مع فلان يقول جابر: فهذا تأويل هذه الآية وكذب كانت في أخوة يوسف ﷺ(4).

ثانياً: أقسام الموضوع

ينقسم الموضوع بحسب مادته ونصه إلى قسمين أساسيين

أولهما أن يضع الواضع كلاماً من عند نفسه ثم ينسبه إلى النبي ﷺ أو إلى أحد الصحابة أو أحد التابعين.

ثانيهما أن يكون الموضوع مأخوذاً من كلام الصحابة أو التابعين أو الحكماء أو من الإسرائيليات أو من كلام الفلاسفة ثم ينسبه الواضع إلى رسول الله ﷺ.

---

(1) صحيح مسلم، ج 1، ص 83.

(2) هو جابر بن يزيد الجعفي الشيعي الغالي في تشيعه قال فيه الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر الجعفي الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 35.

(3) سورة يوسف، الآية 80.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، ج 1، ص 102.

أمثلة لهذه الأقسام:

من أمثلة القسم الأول ما رواه أحد الوضاعين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾[1] فقد وصف تلك المساكن بقوله: أنها قصور من لؤلؤ حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطي المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله[2] ومنه أيضاً ما رواه أبو عصمة نوح بن أبي مريم[3] عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ولما سئل: قال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي بن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة[4] وروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا قال: وضعتها أرغب الناس فيها[5] وقد اغتر بعض المفسرين بهذه الأحاديث المروية عن هذين الرجلين وأمثالهما وذكروها في تفاسيرهم مثل الزمخشري والبيضاوي والنسفي وأبي السعود وغيرهم[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية 72.

(2) الموضوعات الكبرى لابن الجوزي، ج 3، ص 252.

(3) كان يلقب بالجامع لجمعه كل شيء إلا الصدق فقد أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى والتفسير عن الكلبي ومقاتل والحديث عن الحجاج بن أرطأة والمغازي عن محمد بن اسحاق فجمع علوماً كثيرة. هامش الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 432.

(4) حسبة أي احتساباً للأجر عند الله. انظر تدريب الراوي، ص 184.

(5) وكان ميسرة هذا غلاماً جليلاً يتزهد ويهجر شهوات الدنيا وغلقت أسواق بغداد لموته ومع ذلك كان يضع الحديث قيل له عند موته حسن ظنك قال كيف لا وقد وضعت في فضل علي سبعين حديثاً. هـ. من التدريب، ص 185.

(6) هذا وليكن معلوماً أن هناك بعض السور قد صح في فضلها أحاديث وهي الفاتحة والزهروان. والأنعام والسبع الطول مجملة والكهف ويس والدخان والملك والزلزلة

ومن أمثلة القسم الثاني: المأخوذ من كلام الصحابة - ما يروى مرفوعاً: «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» فهو من كلام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه رفعه الوضاعون إلى رسول الله ﷺ[1].

والمأخوذ من كلام التابعين - ما رواه أبو العباس المنصور أحمد بن محمد بن صالح وكان ظاهريا بإسناده إلى علي بن أبي طالب مرفوعاً: أول من قاس إبليس فلا تقيسوا «فهو حديث موضوع حكم بوضعه الذهبي في ميزان الاعتدال»[2].

ولكنه ثابت من كلام ابن سيرين والحسن البصري روى الدارمي عن الحسن أنه تلا قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[3].

فقال: «قاس إبليس وهو أول من قاس»[4]. ومثال ما كان من كلام الحكماء وروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ القول المشهور: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»[5] قال الحافظ: العراقي: إنه لا أصل له عن النبي ﷺ وأنه من كلام بعض الأطباء قيل أنه الحرث بن كلدة طبيب العرب[6].

ومثال ما روي مرفوعاً وهو من الإسرائيليات ما ذكروه من تحديد عمر الدنيا وأنه سبعة آلاف سنة وأن النبي محمداً بعث في آخر السادسة فقد ورد

= والكافرون والنصر والإخلاص والمعوذتان وما عداها لم يصح فيها شيء والطول جمع الطولى كالكبر جمع الكبرى وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة. انظر التدريب، ص 190.

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 24.

(2) ج 1، ص 133.

(3) سورة الأعراف، الآية 12.

(4) من الترمذي، ج 1، ص 165.

(5) تدريب الراوي شرح التقريب، ص 188.

(6) نفس المصدر السابق.

مرفوعاً وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في الموضوعات قال: وهو مخالف للحس والمشاهد وذلك لأنهم يقولون فيه: «أن محمداً بعث في آخر المائة السادسة فلو كان كلامهم صحيحاً لقامت القيامة من زمن مضى والواقع يكذبه»[1]. ومناقض لصريح القرآن كما هو واضح. ومثال المأخوذ من كلام الفلاسفة ونسب زوراً إلى النبي ﷺ قولهم: أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل: «وعزتي وجلالي: ما خلقت خلقاً أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب» وهو موضوع مختلق ونقل ابن تيمية الاتفاق على أن هذا الحديث كذب موضوع[2].

علامات الحديث الموضوع

ذكر العلماء علامات وقواعد يعرف بها الحديث الموضوع بعضها من جهة السند وبعضها توجد في المتن أهمها ما يلي:

1 - اعتراف الواضع نفسه بأن ما رواه من حديث فهو موضوع وقد اعترف كثير ممن قاموا بهذه العملية وصرحوا بها.

منهم أبو عصمة نوح بن أبي مريم المتقدم ذكره وعمر بن صبح بن عمران التميمي الذي أقر بوضع خطبة على النبي ﷺ وميسرة بن عبد ربه الفارسي الذي أقر بوضع سبعين حديثاً في فضل علي كما تقدم أيضاً.

2 - مخالفة المروي للعقل والنقل أو دلت قرينة فيه على وضعه مثال الأول ما رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت سبعاً وصلت عند المقام ركعتين[3].

ومثال الثاني: «ما رواه الحاكم بسنده عن سيف بن عمر التميمي قال كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب يبكي فقال ما لك؟ قال

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 405.
(2) المقاصد الحسنة للسخاوي، 233.
(3) تدريب الراوي، ص 181.

ضربني المعلم قال لأخزينهم اليوم حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً معلمو صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين»[1].

3 ـ أن يتضمن المروي وعيداً شديداً لمن فعل أمراً صغيراً أو وعداً عظيماً على أمر حقير كالخلود في جهنم مع مقت الله وغضبه على ترك مندوب أو فعل مكروه وكالخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار في رفقة الآلاف من الحور العين لفعل مندوب أو ترك مكروه وكان القصاص مولعين بوضع أحاديث من هذا اللون يستميلون بها قلوب العوام إليهم[2].

4 ـ مخالفة المروي لصريح القرآن أو السنة الصحيحة كالحديث المروي في تحديد عمر الدنيا المتقدم ذكره فإنه مخالف لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[3]. وكالأحاديث الواردة التي تذكر أسماء معينة كمحمد مثلاً ويقولون فيها من تسمي بها لا يلج النار.

5 ـ أن يكون في الحديث لحن في العبارة أو ركاكة في اللفظ والمعنى: فإن وجدت هذه الأشياء في حديث دلت على أنه موضوع لا أصل له مثل ما أسند من طريق محمد بن شجاع البلخي عن حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها»[4]. قال السيوطي: هذا لا يضعه مسلم بل ولا عاقل والمتهم به محمد بن شجاع كان زائغاً في دينه وفيه أبو المهزم قال شعبة: «رأيته لو أعطي درهماً وضع خمسين حديثاً»[5].

(1) تدريب الراوي، ص 181.
(2) تدريب الراوي، ص 180.
(3) سورة الأعراف، الآية 187.
(4) تدريب الراوي، ص 181.
(5) نفس المرجع السابق.

أسباب الوضع في الحديث والتفسير

ذكر العلماء للوضع في الحديث وكذلك في التفسير أسباباً متعددة فيما يلي بيان لأهمها:

1 ـ التعصب المذهبي والانتصار للفرقة التي ينتسب إليها الراوي حدث هذا حين انقسم المسلمون إلى شيعة أفرطوا في حب علي كرم الله وجهه وإلى خوارج انصرفوا عنه وناصبوه العداء وإلى جمهور المسلمين الذين لم يمسهم شيء من التشيع أو الخروج وكان من نتائج هذا الانقسام لجوء بعض أهل هذه الفرق إلى القرآن الكريم يلتمسون فيه ما يؤيد آراءهم فوضع الشيعة كثيراً من الأحاديث في التفسير وغيره تشهد لهم وتفضل الإمام علياً وآل البيت مثل ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1] فقد فسرو المنذر بالنبي ﷺ والهادي بأنه علي رضي الله عنه وهو مخالف لما علي جمهور المفسرين من أن المنذر والهادي كل منهما هو رسول الله ﷺ وكذلك ما روي عنهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[2] من أ المراد بها أذن عليّ فقد رووا أن النبي ﷺ لما نزلت الآية أخذ بأذن علي وقال هي أذنك يا علي وفي رواية: اللهم اجعلها أذن علي، وهما موضوعا كما نبه على ذلك ابن تيمية وغيره من الأئمة[3] ووضعوا أحاديث كثيرة ف فضل سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه منها قولهم وينسبونه إلى الرسول ﷺ عليّ خير البشر من شك فيه كفر.

2 ـ العداء للإسلام وقصد تشويهه وإظهاره بمظهر الدين الخرافي وهذا ما فع الزنادقة[4] من الأمم المغلوبة كفارس ونحوها فقد كان هؤلاء وأمثال

(1) سورة الرعد، الآية 7.

(2) سورة الحاقة، الآية 12.

(3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 465.

(4) الزنادقة جمع زنديق ورد خلاف كثير في المراد به وأهم ما جاء فيه ما يلي: الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإسلام أو هو المتبع لدين ما باطناً مع اعتناق الإسلام ظاهراً

يعتزون بدولهم وقومياتهم التي كانت قوية وزالت على أيدي الفاتحين من العرب المسلمين، وكان من بينهم من يحاول الدس في الحديث والتفسير وصولاً إلى غايتهم الدنيئة وأغراضهم القبيحة عندما عجزوا عن النيل من المسلمين بالقوة والحجة قال حماد بن زيد وضعت الزنادقة على النبي ﷺ 14 ألف حديث أربعة عشر ألف حديث منهم عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي قتل وصلب في الزندقة في زمن المهدي ولما قدم لتضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام وكيان بن سمعان النهدي وغيرهم[1].

3 ـ كذلك نجد من بين الأسباب الانحياز السياسي والتزلف إلى الخلفاء والأمراء الذي نراه يترك أثراً ظاهراً في وضع كثير من الأحاديث المتعلقة بالتفسير وغيره عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ويرجع هذا كثرة ما روي عنهما في التفسير كثرة تجعلنا نميل إلى أن الوضع قد لعب دوراً كبيراً في نسبة معظم هذه الروايات إليهما وذلك لكونهما من بيت النبوة وقربهما من رسول الله ﷺ فالوضع عليهما يكسب الموضوع رواجاً وثقة وقبولاً هذا بالإضافة إلى ما تقدمت الإشارة إليه من أن علياً كانت له شيعة يتزلفون بنسبة كثير من الأقوال في التفسير إليه ظانين أن هذا يعلي من قدره ويرفع من شأنه، وكذلك ابن عباس وهو الآخر كان من نسله الخلفاء العباسيون فوجد من الناس من تزلف إليهم بالرواية عن جدهم ابن عباس ومن أمثلة التزلف إلى خلفاء بني العباس قصة غياث بن إبراهيم حين دخل على المهدي فوجده يلعب بالحمام فقيل له حدث أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو جناح»

* هو الملحد الذي لا يؤمن بدين مطلقاً. أو هو المستهتر بأمور الدين الماجن دون تصريح بكفر أو تلميح به.

(1) تدريب الراوي بشرح التقريب للنووي، ص 186.

فأدخل في الحديث أو جناح إرضاء للخليفة فأمر له ببدرة[1] فلما خرج قال: «أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ ثم قال أنا حملته على ذلك ثم أمر بذبح الحمام ورفض ما كان فيه»[2].

ثالثاً: أثر الموضوع في التفسير وقيمته الذاتية

لا شك أن للوضع في الحديث أثراً ظاهراً في التفسير بالمأثور لما علمنا سلفاً أن التفسير منذ نشأته كان مختلطاً بالحديث وباباً من أبوابه وعلى هذا فإن أثر الوضع في الحديث يسري إلى التفسير أيضاً.

وعلى كل حال فإن الموضوعات في التفسير كثرت وانتشرت إلى حد جعلها تطغى على الصحيح وتختلط به الأمر الذي جعل الناظرين في التفسير ينظرون إليه كله نظرة شك وارتياب ويفقدون الثقة بكل ما روى من تفسير مأثور وخصوصاً لمن لم تكن عندهم قدرة كافية تمكنهم من التمييز بين الصحيح والضعيف والموضوع.

هذا ومما ينبغي أن يعلم هنا أن التفسير الموضوع في حد ذاته وبقطع النظر عن إسناده ونسبته قد تكون له قيمة علمية جيدة لأنه لا يكون دائماً خيالياً لا قيمة له لأن الواضع حين يضع تفسيراً لآية ما وينسبه إلى رسول الله ﷺ أو إلى ابن عباس أو إلى علي بن أبي طالب يريد له رواجاً وقبولاً هو في الحقيقة رأي له واجتهاد شخصي من اجتهاداته يهم الناظر في التفسير بحثه ودرسه ليستفيد منه إلى حد ما، وإنما الشيء الذي لا قيمة له فيه هو إسناده ونسبته إلى من وضع عنهم[3].

---

(1) البدرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار، مختار القاموس، ص 42. والباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، ص 81.

(2) تدريب الراوي بشرح النووي، ص 187.

(3) من التفسير والمفسرون بتصرف، ج 1، ص 164.

مجهودات العلماء والمفسرين في مقاومة الوضع والموضوعات

قيض الله تعالى لحفظ أصول دينه رجالاً من هذه الأمة أمناء مخلصين قاوموا الوضع والوضاعين في الحديث والتفسير وتابعوهم وميزوا الباطل من الصحيح وبذلوا جهوداً عظيمة لحفظ الشريعة السمحة وأصولها منذ عصر الصحابة والتابعين، وبحثوا كل ما يتعلق بالأسانيد وخطو خطوات جليلة في سبيل سلامة الآثار النبوية وحفظها خالصة نقية وفيما يلي بيان مجمل لطرف من مجهودات العلماء في سبيل مقاومة الوضع في التفسير والحديث على حد سواء.

1 ـ حثوا على التزام السند من كل من يروي حديثاً أو أثراً من الآثار وتشدد الصحابة والتابعون فمن بعدهم من العلماء في طلبه والمحافظة عليه من قبل الرواة كما سيأتي تفصيل هذا في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

2 ـ تتبع الكذبة والوضاعين إلى جانب تثبت أهل العلم واحتياطهم في قبول الحديث كان بعضهم يتتبع الكذبة والقصاصين ويمنعهم من التحديث ويبين أمرهم ويحذر الناس من خطرهم ومن أشهر من عرف بتصديه للكذابين عامر الشعبي وشعبة ابن الحجاج الذي كان شديداً عليهم وسيفاً مسلطاً على رقابهم وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم، وكان من نتيجة هذا التصدي أن توارى معظم الكذابين وكفوا عن كذبهم وأصبح عند العامة وعي يميزون به المتطفلين على الحديث وأهله.

3 ـ وضع قواعد وضوابط لمعرفة الحديث الموضوع ولمعرفة أحوال الرجال قد وضع العلماء النقاد قواعد دقيقة وشروطاً لمعرفة الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والذي يهمنا هنا هي القواعد التي وضعوها لمعرفة الموضوع سواء في التفسير أو في غيره وذكروا ما يدل على الوضع في المتن أو السند مثل قولهم: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع ومنه أيضاً أن يكون الراوي رافضياً والحديث في فضائل أهل البيت ومنه قولهم: كل خبر أوهم باطلاً ولم يقبل

التأويل فهو كذب[1] وكذلك تتبعوا أحوال الرواة وتوصلوا إلى معرفة أخبارهم تفصيلاً وتمكنوا من الحكم بصدق الصادقين الضابطين منهم ثم تعديلهم وقبول روايتهم، وعرفوا من لم تتم فيه الشروط اللازمة للتعديل فحكموا بعدم تعديله وقد عرف عدد كبير من العلماء النقاد الذين تأسس على أيديهم علم الجرح والتعديل وأحوال الرجال.

4 ـ تصنيف مؤلفات في أحوال الرجال ومؤلفات في الموضوعات تتجلى فيها ثمرة الجهود العظيمة التي بذلها العلماء من أجل حفظ الحديث والتفسير المأثور ولتلخيصهما من الموضوعات فألفوا الكتب القيمة في أحوال الرجال والطبقات وتواريخ الصحابة والتابعين والعلماء وفي معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب والجرح والتعديل وكتباً في الوضع والوضاعين والموضوعات وقد بلغت الكتب المؤلفة في الموضوعات أكثر من أربعين كتاباً فيما يلي بيان لأشهرها لتُعرف من خلالها مدى جهود العلماء في هذا الموضوع الدقيق.

1 ـ تذكرة الموضوعات لأبي الفضل محمد المقدسي المتوفي سنة 507 هـ وهو كتاب مطبوع بمصر سنة 1323 هـ.

2 ـ الموضوعات الكبرى لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفي سنة 578 هـ. وفيه تساهل في الإكثار من الحكم بالوضع على الأحاديث ولهذا انتقده بعض العلماء وهو مطبوع في أربعة مجلدات ومتداول بين العلماء.

3 ـ الباعث على الخلاص من أحاديث القصاص للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي المتوفي سنة 809 هـ. وهو الذي لخصه السيوطي في كتابه تحذير الخواص من أكاذيب القصاص وقد طبع بمصر سنة 1351 هـ.

4 ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911 هـ. وهومطبوع أكثر من مرة ومتداول بين العلماء.

---

(1) تدريب الراوي شرح تقريب النووي، ص 180.

5 ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني المتوفي سنة 963 هـ. قال العلماء هو أجمع كتاب في هذا الباب وهو محقق من قبل الشيخين عبدالله الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف من علماء الأزهر الشريف وقد طبعته محققاً مكتبة القاهرة بمصر.

6 ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للقاضي أبي عبدالله محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة 1255 هـ. وقد طبع بمصر سنة 1960 إفرنجي ويقال: أنه متساهل في الحكم بالوضع على بعض الأحاديث وهي مقبولة(1).

7 ـ الآثار المرفوعة في الأخبارالموضوعة لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي الأنصاري اللكنوي الهندي المتوفي سنة 578 هـ.

هذه هي كتب الموضوعات التي تمثل جهود العلماء في مقاومة الوضع ولا يفوتني هنا أن أنبه للذكرى على مجهود المفسر الكبير اسماعيل بن كثير في انتقاده المتكرر في تفسيره على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير نظراً لأهميته في هذا الشأن والله الموفق وهو المستعان.

---

(1) نبه إلى هذا الشيخ محمد عبد الحي في كتابه ظفر الأماني في مختصر الجرجاني.

صحيح مسلم بشرح النووي، ج 1، ص 84.

أسـئلة في هذا الفصل

س 1: عرّف الوضع لغة وبين المراد به في الاصطلاح واذكر الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؟

س 2: ما حكم رواية الموضوع بالمعنى العام والخاص معللاً الحكم الذي تذكره مبيناً خلاف العلماء في الحكم على المعنى الخاص؟

س 3: متى نشأ الوضع في الحديث؟ وكيف تم مبدأ دخوله في التفسير مع ذكر مثال للوضع في التفسير.

س 4: اذكر أقسام الوضع مع التمثيل للقسم الذي وضعه الواضع من عند نفسه وأمثلة متعددة مختلفة للقسم الذي نقله الواضع عن غيره ونسبه إلى النبي ﷺ زوراً وكذباً؟

س 5: بيّن العلامات التي يعرف بها الموضوع وقواعده التي تدل عليه مع التمثيل لكل قاعدة بمثال واحد؟

س 6: اذكر أسباب الوضع في التفسير موضحاً كل سبب منها بمثال؟

س 7: بيّن أثر الموضوعات في التفسير مشيراً إلى قيمة الموضوع الذاتية في التفسير؟

س 8: تحدث عن مجهودات العلماء في مقاومة الوضع والوضاعين في الحديث والتفسير مع ذكر الكتب المصنفة في الموضوعات وبعض المفسرين الذين تصدوا للموضوع والإسرائيليات وقاوموهما وبينوا فسادهما وخطرهما على الإسلام والمسلمين؟

الفصل الثالث

حذف الإسناد من التفسير بالمأثور وأثره فيه

أهمية الإسناد: تشدد الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء الأمة في طلب الإسناد من الرواة والتزموه في رواية الأحاديث لأن السند للخبر كالنسب للمرء. قال الإمام محمد بن سيرين من كبار علماء التابعين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة (وظهر الوضع وفشا الكذب) قالوا سموا لنا رجالكم فلينظر أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[1].

وقال الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[2].

ولم يقتصر طلب السند على محيط العلماء وطلاب العلم بل تعداهم وأصبح أمراً بديهياً مسلماً به عند الخاصة والعامة على حد سواء ويظهر هذا جلياً فيما يرويه الأصمعي فيقول: حضرت ابن عيينة[3] وأتاه أعرابي فقال: كيف أصبح الشيخ يرحمه الله فقال سفيان بخير نحمد الله، قال: ما تقول في امرأة في

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، ج 1، ص 84.

(2) نفس المصدر السابق، ص 87.

(3) الأعور الكوفي ولد سنة 107 هـ كان أحد أئمة الإسلام أخذ عن عمرو بن دينار وزيد بن أسلم، وأخذ عن ابن معين والمدائني وقال ابن وهب: ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. توفي رحمه الله سنة 198 هـ. من هامش مقدمة في أصول التفسير، ص 32.

الحج حاضت قبل أن تطوف بالبيت؟ فقال: تفعل ما يفعله الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت فقال: هل من قدوة؟ قال نعم عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت فأمرها النبي ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف، قال: هل من بلاغ عنها؟ قال نعم حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك، فقال الأعرابي: لقد استسمنت القدوة وأحسنت البلاغ والله لك بالرشاد[1].

وهكذا أخذ الإسناد المتصل نصيبه من العناية والاهتمام منذ عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروي ويتحقق به.

والمحدث بذكر الإسناد يرفع العهدة عن نفسه ويطمئن هو ومن يأخذ عنه إلى صحة ما ينقل وما ينقل عنه عندما ينتهي بالسند المتصل إلى الرسول ﷺ.

متى وقع حذف السند؟

ظل الأمر على هذا المنوال في عهد التابعين والتزموا بالسند المتصل الكامل وكذلك فعل مثلهم أتباعهم الذين دونوا التفسير وجمعوه في مؤلفاتهم بهذه الطريقة طريقة الإسناد الكامل من أمثال تفسير ابن عيينة ووكيع بن الجراح وابن جرير الطبري وأضرابهم.

حذف الإسناد

ثم جاء بعد هؤلاء وأولئك قوم ألفوا في التفسير وحذفوا الأسانيد واختصروها من رواياتهم وأتوا بالأقوال بتراً بدون سند، وبدون عزو إلى أصحابها أحياناً.

وبهذا التبس الصحيح بالعليل وخفي الضعيف والموضوع ودخل في التفسير كثير من هذين النوعين وكثير من الإسرائيليات الباطلة التي لا يصدقها العقل ولا تتفق مع النقل الصحيح فامتلأت بعض التفاسير بهذا الخليط الغث الذي لا يسمن ولا يغني من جوع من هنا يظهر لنا أثر حذف السند في التفسير

(1) محمد عجاج الخطيب أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، ص 428. والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص 404.

واضحاً جلياً وهو الباب الذي دخل منه الخطر الجسيم في التفسير والحديث وبه نشأ الضعف على اختلاف أنواعه وأشكاله وكان له الأثر السيء في التفسير بالمأثور قال شيخنا الذهبي مشيراً إلى الخطر الذي يأتي من حذف السند والأثر الذي يحدثه: وفي الحق أن هذا السبب يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب - يعني الكتب التي حذفت الأسانيد - يظن صحة كل ما جاء فيها وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والقصص المخترع على أنه صحيح كله مع أن فيها ما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل.

وإذا كان للوضع خطره وللإسرائيليات خطرها فإن هذا الخطر كان من الممكن تلافيه لو ذكرت هذه الأقوال بأسانيدها ولكن حذفها وللأسف عمى علينا كل شيء وليت هؤلاء الذين حذفوا الأسانيد وعنوا بجمع شتات الأقوال فعلوا كما فعل ابن جرير من رواية كل قول بإسناده فهو وإن لم يميز الصحيح فيما يرويه إلا أن عذره في ذلك أنه ذكر لنا السند مع كل رواية يرويها وكانوا يرون أنهم متى ذكروا السند فقد خرجوا عن العهدة - كما تقدم في الكلام عن ابن جرير وتفسيره - لأن أحوال الرجال كانت معروفة في العهد الأول وبذلك تعرف قيمة ما يروونه من ضعف وصحة[1].

هذا وبعد معرفتنا لأهمية الإسناد والأثر الذي يحدث في التفسير عند حذفه ينبغي أن أنبه إلى سؤال ربما يخطر ببال بعض الطلاب والباحثين وهو أن يقال: ذكرتم أهمية الإسناد وأنه ضروري لمن يتصدى للحديث أو التفسير علماً بأننا نرى كثيراً من العلماء الباحثين في مختلف فروع الدراسات الإسلامية لا يعيرون اهتماماً بالسند ويذكرون الحديث مجرداً أو يقتصرون على ذكر راوي الحديث المباشر من صاحبي أو تابعي ولا يعترض عليهم أحد وإجابة عن هذا التساؤل

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 202 - 203.

أقول: أن التخريج بالطريق الصحيح[1] يقوم مقام السند في العصر الحاضر وبإمكان من أراد الوقوف على سند الحديث أن يرجع إلى المصدر ويطلع على السند الكامل لأي حديث إن أراد، والله الموفق وبه الاستعانة على كل خير.

(1) الطريق الصحيح في التخريج أن يكون من كتب الحديث المعتمدة المعروفة مثل الصحيحين والسنن والمسانيد ونحوها ويكون في الغالب بذكر الكتاب والطبعة وذكر الجزء والصحيفة وقد يكفي رقم الحديث إذا كانت الطبعة فيها أرقام الأحاديث عن ذكر الصحيفة والجزء.

أسئلة في هذا الفصل

س 1: تحدث عن أهمية ذكر السند في رواية الحديث والتفسير بالمأثور مبيناً عناية العلماء به وحثهم على التزامه منذ عهد التابعين فمن بعدهم من العلماء؟

س 2: بيّن الأثر الذي يحدثه حذف السند في التفسير والحديث؟

س 3: كيف توفق بين ما ذكر من أهمية السند في الروايات مع ما يفعله الباحثون في العلوم الإسلامية الآن من تجاهل ذكر السند والاقتصار على المتون وعلى التخريج المعروف مبيناً الطريقة السليمة التي ينبغي أن تتبع في تخريج الأحاديث في التفسير وغيره.

والله أعلم بالصواب

التيسير في أصول التفسير ومناهج المفسرين

تأليف د. عبدالله أحمد عثمان أحمير
أستاذ مشارك بكلية الآداب
جامعة الفاتح

1999

القسم الثاني

الباب الرابع

التفسير بالرأي
ومناهج المفسرين به

الباب الرابع

التفسير بالرأي
ومناهج المفسرين به

1 ـ أخرج الطبري بسنده عن أبي معمر قال: إن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كلام الله برأي أو بما لا أعلم»[1].

2 ـ وأخرج الطبري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قرأ عمر بن الخطاب: «عبس وتولى... حتى أتى على هذه الآية: وفاكهة وأبا» قال: لقد علمنا ما الفاكهة فما الأب؟ ثم أحسبه[2] قال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[3].

3 ـ روى عن عبيدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبدالله[4] والقاسم بن محمد[5] وسعيد بن المسيب[6] ونافع[7]».

4 ـ روي عن الشعبي عن مسروق أنه قال: «اتقوا التفسير فإنه الرواية عن الله»[8]. ويقرب من هذا ما أخرجه ابن كثير عن هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال: «كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه»[9].

5 ـ ما يروى عن الأصمعي إمام أهل اللغة أنه كان شديد الاحتراز عن تفسير

---

(1) تفسير الطبري، ج 1، ص 27.

(2) شك من الراوي وهو الطبري.

(3) تفسير الطبري، ج 30، ص 38. وتفسير ابن كثير، ج 1، ص 5.

(4) هو سالم بن عبدالله بن عمر الفاروق كان فقيهاً ثبتاً عابداً فاضلاً توفي سنة 106 هـ.

(5) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق توفي سنة 112 هـ.

(6) نافع هو مولي ابن عمر بن الخطاب كان ثقة ثبتاً فقيهاً توفي سنة 117 هـ الحديث أخرجه الطبري.

(7) يروى عن سعيد أنه كان إذا سئل عن الحلال تكلم وإذا سئل عن آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئاً.

(8) ابن كثير، ج 1، ص 5.

(9) نفس المرجع.

الكتاب والسنة فإذا سئل عن شيء منهما قال: العرب تقول: «معنى هذا كذا وكذا ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو»[1].

وبناء على هذه الروايات ونحوها قال بعض العلماء: إن تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام[2] بل قال بعض آخرون: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة في الفقه والنحو والأخبار والآثار وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين[3].

هذا هو أحد القولين في حكم التفسير بالرأي وهو القائل بالمنع وأما القول الآخر المرجح وعليه أكثر السلف من الصحابة والتابعين وجمهور العلماء ممن بعدهم وهو القائل بجواز التفسير بالرأي والاجتهاد ما دم المفسر له أهلية للتفسير وتوفرت فيه الشروط المعتبرة بل قال بعض هؤلاء: أنه مستحب مرغب فيه لما يترتب عليه من المنافع والفوائد ولقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾(*) وفي الحديث الذي روي من طرق من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار(**).

أدلة الفريقين ومناقشتها:

أولاً: أدلة القائلين بالمنع وهي:

1. استندوا إلى الروايات السالفة المنقولة عن الصحابة والتابعين وبعض العلماء.

---

(1) الطبري، ج 1، ص 29.

(2) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 5.

(3) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 256 نقلاً عن الراغب الأصبهاني في مقدمة تفسيره المحلقة بتنزيه القرآن عن المطاعن، ص 422.

(*) سورة آل عمران، الآية 187.

(**) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 6.

بغير علم(1) [illegible]

والقول بغير علم

ودليل القضية الكبرى قوله تعالى: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون المعطوف على المحرمات في قوله عز وجل: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾(2) وقوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾(3).

وقوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به﴾(4)

3 - ما رواه الترمذي من قوله ﷺ: اتقوا الحديث علي إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. قال أبو عيسى حديث حسن(5).

4 - بما أخرجه الطبري بسنده عن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ» وفي رواية بنفس السند بلفظ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ(6).

قال ابن كثير في تفسير هذا الحديث: أي أنه قد تكلف ما لا علم له به

---

(1) هذا دليل منطقي جاء على هيئة قياس اقتراني مركب من قضيتين حمليتين ونتيجة بحذف المكرر الصغرى هي قولهم التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، والكبرى هي القول على الله بغير علم حرام.

(2) سورة البقرة، الآية 169.

(3) سورة الأعراف، الآية 33.

(4) سورة الإسراء، الآية 36.

(5) رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، انظر سنن الترمذي في أبواب التفسير، ج 2، ص 157.

(6) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 5 والحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

وسلك غير ما أمر به ولو أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه.

ثانياً: أدلة القائلين بالجواز

استدل المجيزون بأدلة أهمها:

1 ـ بالآيات القرآنية التي تحث على تدبر القرآن وفهمه كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(1).

وقوله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(2). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(3).

فقد دلت الآية الثانية على أن القرآن أنزل للتدبر والتذكر كما حثت الآيتان الأخريان على تدبر القرآن وفهمه للعمل به والانتفاع بحكمه وأحكامه وهذا لا يتيسر إلا بالتفسير بالرأي والاجتهاد لأن النبي ﷺ لم يفسر جميع آيات القرآن كما علمنا فيما تقدم.

2 ـ بما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم كانوا يفسرون القرآن ويختلفون فيه على وجوه ولم يكن كل ما قالوه فيه منقولاً عن النبي ﷺ فثبت أن بعضه كان باجتهاد منهم فدل هذا على جواز التفسير بالرأي وإباحته وهو المطلوب(4).

3 ـ لو كان التفسير بالرأي ممنوعاً لبطل الاجتهاد ولتعطلت كثير من الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن لما علم أنه ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم

---

(1) سورة محمد ﷺ، الآية 24.

(2) سورة ص، الآية 29.

(3) سورة النساء، الآية 82.

(4) من التفسير والمفسرون بتصرف، ج 1، ص 262.

يفسر جميع آيات القرآن ولم يبين لنا جميع الأحكام المأخوذة منه فتكون بعض الأحكام على الأقل أخذت من القرآن عن طريق التفسير بالرأي فيكون جائزاً وهو المطلوب[1].

مناقشة أدلة القائلين بالمنع وبيان حقيقة الخلاف.

إذا رجعنا إلى كتب التفسير وعلوم القرآن لوجدنا أن المجيزين للتفسير بالرأي لم يكتفوا بالاستدلال لما ذهبوا إليه فحسب بل ناقشوا أدلة المانعين وأجابوا عنها بأجوبة كافية شافية لإقناع الطالب المنصف وهي ملخصة فيما يلي:

1 ـ أن ما ورد في الروايات الأولى من تحرج بعض الصحابة والتابعين من القول في التفسير محمول على التورع والأخذ بالأحوط لأنفسهم مخافة أن لا يوافقوا مراد الله تعالى في الواقع ونفس الأمر مع اعتقادهم بأن القول في التفسير غير متعين عليهم وإلا لما تحرجوا منه يدل لهذا ويؤيده ما نقل وتواتر من الروايات الكثيرة في التفسير بالرأي عن الصحابة والتابعين بل وعن المتحرجين أنفسهم روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال حين سئل عن الكلالة: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه[2] الكلالة من لا ولد له ولا والد فلما ولي الخلافة عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه قال: «أني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه»[3].

ومن العلماء من حمل إحجامهم عن القول في القرآن على ما لم يعلموا وجه الصواب فيه أما ما علموه فكانوا يظهرون ما يبدو لهم قال الحافظ ابن كثير بعدما أورد الآثار الواردة الدالة في ظاهرها على المنع: فهذه الروايات الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام

---

(1) المصدر السابق بتصرف أيضاً وتفسير القرطبي، ج 1، ص 33.
(2) تفسير الطبري، ج 4، ص 191. والاتقان، ج 2، ص 119.
(3) نفس المصدر السابق.

في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه[1].

وقال الماوردي معلقاً على الحديث الثاني الذي استدلوا به: قد حمل بعض المتورعين هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ولم يعارضها نص صريح وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[2].

ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء من الاستنباط ولما فهم الأكثر من كتاب الله، وإن صح الحديث فتأويله: من تكلم في القرآن بمجرد رأيه فقد أخطأ[3].

2 ـ وأما استدلالهم بالحديثين الشريفين فهو غير مسلم إذ من الجائز حملهما على التفسير بمجرد الرأي من غير دليل نقلي ولا سند عقلي أو أن المراد بالرأي هو: القول في القرآن بالهوى والغرض الذي يميل إليه الشخص وذلك بأن يجعل غرضه الخاص أصلاً والقرآن تبعاً له فيتأوله حسب غرضه وهواه قال القرطبي: إنما النهي يحمل على أحد وجهين: أحدهما أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير

---

(1) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 6.
(2) سورة النساء، الآية 83.
(3) البرهان للزركشي، ج 2، ص 162.

وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط، ثم قال: والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة...

ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾[1]. معناه آية مبصرة وحجة واضحة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن ان المراد به أن الناقة كانت مبصرة من الأبصار بالعين ولا يدري بماذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم وهذا من الحذف والإضمار وأمثال هذا في القرآن كثير[2]. هذا ومن الممكن حمل الرأي المذكور في الحديثين على القول في خصوص المتشابه والمشكل من القرآن الذي لا يعلم إلا عن طريق النقل والرواية عن المعصوم ﷺ وأيضاً فإن الحديث الثاني المروي عن جندب رضي الله تعالى عنه قد تلكم فيه بعض المحققين مثل البخاري ومسلم وابن معين بما يفيد ضعفه من جهة أحد رواته وهو سهيل بن حزم الذي قيل عنه أنه يروي أحاديث منكرة[3].

حقيقة الخلاف بين القولين:

من العلماء من قال إن الخلاف بين الفريقين غير حقيقي بل هو لفظي وذلك بأن يجعل التفسير بالرأي قسمين قسم محمود وقسم مذموم ويحمل كل قول منهما على قسم معين منهما فمن أجاز التفسير بالرأي حمل قوله على المحمود من التفسير ومن منعه حمل قوله على المذموم منهما.

تعريف التفسير بالرأي المحمود وبيان مصادره:

التفسير بالرأي المحمود هو: ما توفرت فيه شروط معينة ذكرها العلماء وتقدم لنا بعضها وهي التي ذكرها السيوطي في الاتقان وسماها مآخذ التفسير

---

(1) سورة الإسراء، الآية 59.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج 1، ص 34.
(3) ذكره الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 260. نقلاً عن ميزان الاعتدال، ج 1، ص 432.

[illegible]

[illegible] عن الرسول ﷺ مع التحرز من الضعيف.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً وخصوصاً ما يتعلق بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين لكن على المفسر بالرأي أن يحترز عن صرف الآيات عن ظاهرها إلى معان محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب بل عليه أن يفسر الآيات بما يدل عليه الكثير والغالب من اللغة(2).

الرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع وهذا هو الذي دعا به الرسول ﷺ لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل(3).

والخلاصة أن التفسير بالرأي المحمود يجب أن يلاحظ فيه النقل الصحيح عن النبي ﷺ أو عن صحابته مما من شأنه أن ينير السبيل أمام المفسر باجتهاده إذ من شرط التفسير العقلي أن يكون مبنياً على النقل الصحيح والمعرفة التامة باللغة العربية ألفاظها ودلالاتها وأساليبها وإحاطته الشاملة بأصول الشريعة وعلوم القرآن مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما إلى ذلك.

وما خلا من هذه الشروط والاعتبارات فهو التفسير بالرأي المذموم كتفاسير المبتدعة من الروافض والباطنية وأمثالهم.

---

(1) وهو شيخنا الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 1، ص 273.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 274.

(3) رواه مسلم التاج، ج 3، ص 360. بلفظ اللهم علمه الحكمة ثم ذكر شارحه أن في رواية أخرى قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. ا.هـ.

الفصل الأول
نشأة التفسير بالرأي وتطوره
ومناهج المفسرين به وأهم الكتب المؤلفة في المحمود منه

ظهر التأليف في التفسير بالرأي منذ زمن بعيد فكانت نشأته على يد ابن جرير الطبري وابن سلام الإفريقي كما أشرت سابقاً غير أنه كان قليلاً لا يعدو أن يكون ترجيحاً لبعض الروايات على بعض واختيار أولاها بالصواب، أو استنباطاً لبعض الأحكام من الآيات ومن ثم صح اعتبارهما من المفسرين بالمأثور لكونه الغالب في تفسيرهما.

ثم جاء بعدهما قوم لم يروا بأساً ولا حرجاً من التفسير بالرأي والاجتهاد معتمدين على درايتهم الواسعة بالعربية مفرداتها وأساليبها. ثم تدرج فنما وتطور في الوقت الذي دونت فيه علوم اللغة من نحو وصرف وآداب وتشعب الخلاف المذهبي الفقهي، وأثيرت المسائل الكلامية وظهر التعصب للفرق الإسلامية، وترجمت كثير من كتب الفلاسفة ثم امتزجت كل هذه العلوم بالتفسير[1] حتى

---

(1) وكان السبب في مزج هذه العلوم بالتفسير هو ما نلخصه فيما يلي:
أولاً: العلوم الأدبية وذلك لضعف السليقة العربية بسبب اختلاط العرب بالعجم فاحتيج إلى مزج هذه العلوم بالتفسير لتفهم ألفاظ القرآن ويمكن الوقوف على بلاغته التي تعتبر من أهم نواحي الإعجاز.
ثانياً: في العلوم الكونية بسبب ما ترجم من كتب الفلاسفة فاحتاجوا إلى مزجها ليتمكنوا من تأييدها أو الرد عليها.
ثالثاً: في العلوم الكلامية بسبب ظهور الفرق واستدلال كل فرقة ببعض آيات القرآن على ما تذهب إليه فاحتاج العلماء إلى الكلام على ذلك في التفسير ليميزوا المقبول من =

طغت عليه وبالتالي تغلب الجانب العقلي على الجانب النقلي ومع هذا فإن المفسرين بالرأي لم يهملوا النقل عن السلف إذ التفسير العقلي لا بد له من الاعتماد على النقلي[1] غاية ما في الأمر أن الغالب في تفاسير هؤلاء هو الاعتماد على الاجتهاد وأعمال الفكر في الاستنباط فالتسمية أغلبية كما في بعض كتب المأثور.

هذا ومن الملاحظ على التفاسير بالرأي المحمود أن أصحابها قد سلكوا في تأليفهما مناهج متعددة واتبعوا فيها طرائق واتجاهات مختلفة حسب ثقافة كل مفسر والعلوم التي تفوق فيها.

- فترى النحوي منهم ليس له هم إلا الأعراب وذكر الأوجه المختلفة في الآية ونقل قواعد النحو ومسائله وخلافياته حتى غدت كتب التفسير عندهم ميداناً للتمرين على القواعد وتطبيقاتها من أمثال الزجاج في مجاز القرآن ومعاني القرآن[2] والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر المحيط.

- ونجد الأخباري المتبحر في التاريخ يولي اهتمامه بذكر القصص القرآنية ويستوفي تفصيلاتها عن الأنبياء والأمم السابقة ويبحث عن أخبار الملوك الغابرين ويحرص على ذلك كل ما يتعلق بالمغازي والملاحم التي يشير إليها القرآن بقطع النظر عن كون ما يرويه من تفصيلات صحيحاً أو ضعيفاً أو موضوعاً أو من الإسرائيليات التي لا أصل لها كما فعل الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل.

- المردود وما يدل عليه القرآن مما لا يدل عليه.
رابعاً: في العلوم الفقهية نضوج الفقه الإسلامي في ذلك الوقت وتبحر العلماء فيه فعني المفسرون بمزجها لتكون متممة للناحية التشريعية وشارحة لأصل الدين وهو القرآن، انتهى ملخصاً من هامش ص 146 ـ 147 من التفسير والمفسرون، ج 1.

(1) مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
(2) توفي الزجاج سنة 311 هـ انظر الإعلام للزركلي ج 1 ص 40.

- وفي مثل ذلك في أصحاب العلوم العقلية والكلامية الذين ملأوا تفاسيرهم بتفصيل أقوال الفلاسفة والحكماء ليردوا عليها انتصاراً لمذهب أهل السنة والجماعة ويسهبون في الاستدلال ورد الشبه إطالة كادت تجعل الناظر إليها يخيل إليه أنها ليست كتب تفسير كما فعل الإمام فخر الدين الرازي في كتابه مفاتيح الغيب.

- وكذلك الفقهاء الذين لهم عناية خاصة بالأحكام الشرعية العملية كالإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن[1].

نجده يتوسع في تفريع المسائل الفقهية في جميع الآيات المتعلقة بالأحكام فيذكر خلافات العلماء أصحاب المذاهب الفقهية المخالفة لمذهبه المالكي ويرد عليهم ويأتي بالأدلة المؤيدة لما هو عليه وأصحابه وينقض أدلة المخالفين ويبطلها حسب رأيه.

- وأيضاً وجدنا المتصوفة وأهل الإشارات كمحي الدين بن عربي والألوسي يكتبون في التفسير الإشاري ويتوسعون في الترغيب والترهيب ويحثون على الزهد والتقشف والرضى بالقليل من حطام الدنيا ويفسرون القرآن بالأذواق والمواجيد التي لا يعرفها إلا أصحابها وقليل ما هم وأحياناً نجد تفسيرهم هذا بعيداً كل البعد عن ظاهر القرآن.

- وأما أصحاب البدع والمذاهب المنحرفة فقد فسروا القرآن وأولوه وصرفوا الآيات عن معانيها الظاهرة وجعلوها توافق بدعهم وتؤيد عقائدهم الضالة وتجاري أغراضهم الفاسدة كالمعتزلة والفرق المنحرفة من الشيعة والخوارج.

- وأخيراً جاء علماء متأخرون وأتوا بما لم يأت به الأوائل فقد فسروا القرآن وغالوا وتوسعوا في تفسير الآيات الكونية وادعوا أن في القرآن وتفسيره على زعمهم كل شيء وكل علم من علوم الأولين والآخرين بما في ذلك علوم

---

(1) سيأتي الكلام عليه مفصلاً في الفصل الخاص بتفاسير الفقهاء.

الطبيعة والعلوم الرياضية وعلوم النبات وعلوم الحياة وما إلى ذلك ويمثل هؤلاء الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره جواهر القرآن.

ونسي هؤلاء وأولئك أو تناسوا أن القرآن كتاب هداية وإعجاز فالواجب على المفسر المنصف أن يكون قصده الأصلي وهدفه الأعلى هو التماس هداية الله تعالى في كتابه ويبين إعجازه على أفضل وجه وأكمله(1).

أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود

منذ زمن بعيد والعلماء يدونون الكتب في التفسير بالرأي على مر العصور من القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه الزمخشري إلى الآن فألفت تفاسير كثيرة مختلفة في مناهجها واتجاهاتها حسب ثقافة مؤلفيها وعلومهم التي تفوقوا فيها وما وقع عليه اختياري منها هو ما يمكن أن يسمى بالتفسير بالرأي المحمود أو التفسير بالرأي الجائز (قد يسمى بتفسير أهل السنة والجماعة) وهي تسميات متقاربة في المعنى والكتب المختارة تجمع معظم الاتجاهات التي أشرت إليها فما سلف وهي مجملة كما يلي:

1- مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن ضياء عمر الرازي(2) المتوفي سنة 606 هـ.

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفي سنة 691 هـ.

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد الشهير بالنسفي المتوفي سنة 701 هـ.

---

(1) من كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 107. والتفسير والمفسرون، ص 147، ج 1. بتصرف.

(2) الرازي نسبة إلى الري على غير قياس نسب إليها لأنه كان خطيبها وقد يلقب أحيانًا بخطيب الري.

4 ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المتوفي سنة 728 هـ.

5 ـ لباب التأويل في علوم التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن المتوفي سنة 741 هـ.

6 ـ البحر المحيط للإمام أثير الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الغرناطي الأندلسي المتوفي سنة 759 هـ.

7 ـ تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي المتوفي سنة 764 هـ. وجلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911هـ.

8 ـ السراج المنير للإمام شمس الدين محمد محمد الشربيني الشافعي الشهير بالخطيب الشربيني المتوفي سنة 977 هـ.

9 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام محمد بن محمد أبي السعود العمادي المتوفي سنة 982 هـ.

10 ـ فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في التفسير للإمام محمد بن علي بن عبدالله الشوكاني المتوفي سنة 1250 هـ.

11 ـ روح المعاني لأبي الثناء شهاب الدين محمد بن عبد الإلّه الألوسي[1] المتوفي سنة 1270 هـ.

بيان مفصل لبعض هذه التفاسير

اخترت من بين هذه التفاسير التي ذكرتها ستة للكلام عليها بالتفصيل مبيناً خصائصها وطريقة تأليفها وهي تمثل أغلب اتجاهات ومناهج المفسرين بالرأي من أهل السنة ففيها المؤلف على نهج المتكلمين وفيها الجاري على طبقة النحويين وفيها المطول وفيها المختصر أو بين ذلك وهي كما يلي:

(1) نسبة إلى ألوس جزيرة في نهر الفرات بين بغداد والشام كانت موطن أهله وأجداده.

1 ـ مفاتيح الغيب للإمام الرازي

يعتبر هذا التفسير من تفاسير أهل الكلام ومؤلفه من المنتصرين لأهل السنة المنافحين عن عقائدهم وهو من أصل عربي قرشي عاش في القرن السادس الهجري بالري وتنقل في كثير من البلاد الإسلامية طالباً للعلم ومعلماً وكانت أكثرا إقامته بخوارزم وخلف ثورة علمية قيمة في الأصول والحكمة والتفسير ومن بينها وأجلها تفسيره الكبير مفاتيح الغيب.

وصف الكتاب وقيمته العلمية:

يعتبر هذا التفسير من أجل التفاسير وأوفاها وأوسعها وخصوصاً في المباحث المتعلقة بالآيات الكونية والمباحث الكلامية فنرى مؤلفه يبذل جهداً واسعاً في تأييد مذهب أهل السنة والجماعة ويرد على مخالفيهم من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم حتى وصل به الحال أيحاناً إلى التعمق في إيراد شبه المخالفين وتفصيلها تفصيلاً لا يستطيع الخصم نفسه الاتيان به، وهو أيضاً إلى جانب ما ذكر يهتم بربط بعضها ببعض وكذلك يفعل بالسور مع العناية التامة بالمباحث العلمية اللغوية والبلاغية للآيات ويوصف أيضاً بالإقلال من الإسرائيليات والموضوعات ولا يذكر شيئاً منها إلا ليبطله ويرد على من ذكره، هذا وممن نحا نحو هذا الكتاب في طريقته السالفة الإمام النيسابوري في تفسيره حتى اعتبره البعض أنه مختصر من مفاتيح الغيب مع زيادة تأويلات اختص بها وهي تتعلق بالتفسير الإشاري أي الذي تشير إليه الآيات ولا يفهم من ظاهرها.

2 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 701 هـ

وهو من كتب التفسير المتوسطة ليس بالطويل الممل ولا الموجز إيجازاً مخلاً ومؤلفه من علماء الأحناف المشهورين المدافعين عن عقائد أهل السنة وآرائهم التي خالفهم فيها المعتزلة وله غير هذا الكتاب تآليف أخرى قيمة في الفقه الحنفي والأصول والحديث يشهد بهذا ما نراه في تفسيره من تحقيق

لمسائل الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة.

وصف الكتاب وقيمته العلمية

ذكر العلماء أن تفسير النفسي هذا مختصر من تفسير الزمخشري المعتزلي ومن تفسير البيضاوي السني إلا أنه أسقط ما في الكشاف من المسائل الإعتزالية مع مناقشته فيها والرد عليه مدافعاً عن مذهب أهل السنة هذا مع إقلاله من ذكر الأحاديث الموضوعة في فضائل السور مخالفاً بذلك أصله الذي أكثر منها وخالفه أيضاً في طريقة السؤال والجواب التي تميز بها الكشاف وقد أدمج النسفي هذه المسائل في كلامه أثناء التفسير.

وقد ذكر النسفي في مقدمة تفسيره وصفاً له فقال: قد سألني من تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات جامعاً لوجوه الأعراب والقراءات متضمناً لعلمي البديع والإشارات حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة خالياً من أباطيل أهل البدع والضلالة[1] وقد صدق في هذا الوصف وأنجز ما وعد فجاء كتابه شاملاً لما في الكشاف من الفوائد التفسيرية وخصوصاً ما كان منها متعلقاً بعلمي المعاني والبيان متحاشياً لما فيه من المساوىء الإعتزالية مع التنبيه على القراءات السبعية والأعاريب الضرورية ونراه أحياناً يذكر الروايات الإسرائيلية والقصص الموضوعة وهو يتعقبها أحياناً بالنقد والتمحيص[2].

وأخيراً فإن هذا التفسير مع اختصاره يعتبر شاملاً لكثير من مسائل التفسير مع التحقيق والاختصار لذا اختير للدراسة في الجامعات الإسلامية إلا أنه في بعض الأماكن يجد فيه الدارس بعض الغموض وأغلب الظن أنه ناشىء من اختصاره لعبارات من سبقه كالكشاف والبيضاوي لذا ننصح من يدرسه أن يطلع على هذين المصدرين. ومن التفاسير المشابهة لتفسير النسفي تفسير البيضاوي والسراج المنير وتفسير أبي السعود إلا أن الأخير يمتاز عنها بالمباحث البيانية

(1) ج 1، ص 2.

(2) وهو مطبوع في جزئين ومتداول بين العلماء.

والنكات البلاغية التي تظهر فصاحة الآيات القرآنية وتبرز سر إعجاز القرآن الكريم في نظمه وأسلوبه.

3 ـ البحر المحيط لأبي حيان

وهو من التفاسير المشهورة بالنحو والأعراب وتفريع المسائل في هذا العلم ومؤلفه الشهير بأبي حيان كان إماماً في اللغة العربية نحواً وصرفاً ومفردات وأدباً وفي القراءات جميعها وله تأليفات في أغلب هذه العلوم وخير دليل على ما ذكرت ما نراه في تفسيره البحر المحيط والنهر الماد منه.

وصف تفسيره وطريقته فيه:

يقع هذا التفسير في ثمانية مجلدات كبار مطبوع على هامشه كتابه الآخر النهر الماد من البحر وكتاب لأحد تلاميذه يسمى الدر اللقيط من البحر المحيط اعتمد صاحبه أبو حيان في تأليفه على تفسير ابن عطية وتفسير الكشاف وهو من مراجع التفسير المهمة وخصوصاً في المسائل النحوية والعربية عموماً.

وأما طريقته في التفسير فتتلخص في أنه يأتي:

أولاً بمعاني جميع المفردات اللغوية لمجموعة من الآيات ويردفها بالأبحاث الصرفية والنحوية المتعلقة بالتركيب وبعد ذلك يشرع في تفسير الآيات تفسيراً لا يتوسع فيه كثيراً ويختمه بالتنبيه على النكت البلاغية والمحسنات البديعية وبعض ما يتعلق بالآيات من الأحكام الشرعية، كذلك نراه كثيراً يضرب صفحاً عن ذكر القصص والأخبار الإسرائيلية.

وإذا ذكر منها شيئاً قلما يفوته التنبيه على بطلانه وزيفه وأخيراً فإن تفسير أبي حيان من التفاسير المستفيضة في المسائل النحوية حتى طغت على غيرها من التفسير العام وهو متحفظ إلى حد بعيد في ذكر الإسرائيليات والموضوعات.

4 ـ لباب التأويل في علوم التنزيل للخازن

مؤلفه هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي[1] البغدادي الشافعي من علماء القرن الثامن الصوفيين اشتهر بالخازن لأنه كان خازن كتب السمساطية بدمشق ولد ببغداد سنة 678 هـ قدم دمشق وسمع بها من علماء عصره وكان كثير العلم بشوشاً يتودد إلى الناس وألف كتباً كثيرة في الفقه والحديث والسيرة النبوية ومن أشهرها وأهمها كتابه في التفسير لباب التأويل في علوم التنزيل.

وصف تفسيره وقيمته العلمية وطريقته فيه

يقال أن تفسير الخازن ملخص من تفسير البغوي المتقدم ذكره في المفسرين بالمأثور لخصه الخازن بحذف أسانيد رواياته مع عزو الأحاديث إلى من أخرجه من أصحاب كتب الحديث المعروفة مثل الصحيحين والترمذي وغيرهم وله عناية بالأحكام الفقهية التي تتعلق بالآيات.

وقد بين طريقته في جمعه وتأليفه وأنه اعتمد على كتاب البغوي الذي سبق ذكره وذكر أنه ليس له فيه إلا النقل والانتخاب واهتم بشرح الألفاظ بأبلغ ما قدر عليه من الإيجاز والترتيب مع التسهيل والتقريب وقدم له بمقدمة وفصول تتعلق بفضل القرآن وتلاوته وتفسيره ونحو ذلك.

ومن الملاحظ عليه التوسع في ذكر الغزوات النبوية التي يشير إليها القرآن ويكثر من الترغيب والترهيب ويسهب في إيراد الروايات الإسرائيلية يذكرها ولا يعلق عليها في الغالب بشيء وفي بعض الأحيان ينتقدها ويبين ضعفها أو أنها لا أصل لها وهو مطبوع في سبعة أجزاء ومتداول بين أهل العلم وهو في حاجة لمن يعلق عليه ويبين غثه من سمينه والله أعلم[2].

---

(1) نسبة إلى بلد من أعمال حلب وهي بالحاء المهملة.
(2) انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 315 وما بعدها.

5 ـ تفسير الجلالين

من تأليف الإمامين الجليلين جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي أما السيوطي فقد تقدم التعريف به عند الكلام على تفسيره الدر المنثور وأما المحلى فهو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلى الشافعي المولود بمصر سنة 791 هـ، وكان علامة في الفقه والأصول آية في الفهم والذكاء حتى قيل: أن ذهنه يثقب الماس رحمه الله تعالى وأجزل له الثواب.

وصف التفسير وقيمته العلمية:

هذا الكتاب من سورة الكهف إلى آخر سورة الناس من تأليف الجلال المحلى ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وبعد أن أتمها اخترمته المنية رحمه الله تعالى فجاء بعده الجلال السيوطي وأتم التفسير من البقرة إلى الكهف وهو يعتبر أخصر كتاب من بين كتب التفسير السنية القديمة فيما أعلم ويعد من أقوم التفاسير وأسهلها وأقربها إلى الفهم لذلك كثر تداوله بين المتعلمين والعلماء واتخذه البعض من المتصدين لتدريس التفسير محوراً لدرسهم[1].

وكتبت عليه تعليقات كثيرة أهمها حاشية الصاوي وحاشية الجمل وكل منهما تقع في أربع مجلدات وحاشية الجمل هذه تعتبر حاشية قيمة بها فوائد جليلة ومسائل جيدة في التفسير نقلها مؤلفها عمن سبقه من المفسرين كأبي السعود والكرخي والسمين وغيرهم لذا أنصح الطلاب أن يطلعوا عليها فهي تغنيهم عن كثير من كتب التفسير الأخرى.

6 ـ تفسير روح المعاني للألوسي

وهو من التفاسير الواسعة الشاملة ومؤلفه الإمام الألوسي من علماء القرن الثالث عشر الهجري المبرزين كان رحمه الله تعالى نابغة في علوم كثيرة اشتغل

---

(1) مثل الإمام الشيخ محمد عبده المصري الشهير عند تدريسه التفسير بالجامع الأزهري الشريف.

بالتأليف والتدريس وهو صغير السن(1) وكان يمتاز على أقرانه برصانة الأسلوب وسلامة التعبير خلف عدداً من الكتب من بينها وأهمها تفسيره هذا (روح المعاني) وهو شافعي المذهب في أول أمره ثم أخذ بالمذهب الحنفي وصار من المدافعين عنه وهو سني العقيدة مدافعاً عن أهل السنة والجماعة بشدة.

وصف التفسير وقيمته العلمية وطريقته فيه:

يعتبر تفسير الألوسي مرجع المراجع في التفسير وأهمها وأجمعها للفوائد المحققة حشد فيه مؤلفه خلاصة التفاسير المتقدمة عليه جميعها أو أغلبها على الأقل وهو بعمله هذا أغنى دارسه عن الرجوع إلى حواشي التفاسير الكبيرة كحاشية الشهاب على البيضاوي(2) وغيرها لذا يعتبر بحق موسوعة علمية كبيرة في التفسير وما يتصل به وهو وإن كان كثير النقل عمن تقدموه لكن مع النقد والتمحيص والصياغة في الأسلوب الرصين المناسب وقد يؤيد ويناصر وقد يرد وينقد ويهاجم بشدة مواطن الاعتزال والتشيع وهو إلى جانب ما ذكر يمتاز بنقد الموضوعات والإسرائيليات الدخيلة في التفسير بل في الإسلام ويبطلها ويردها رداً قوياً وهو في هذه الناحية في المفسرين بالرأي كابن كثير في المفسرين بالمأثور.

ونراه في آخر كلامه في كثير من المواضع من تفسيره يختم كلامه بالتفسير الإشاري فيقول: ومن باب الإشارة في الآية أو الآيات التي فسرها تفسيراً معتاداً ثم يتكلم عليها من ناحية الإشارة حتى قال بعض العلماء أنه من كتب التفسير الإشاري ولكن هذا حكم غير مناسب لأن ما فيه من الإشاري قليل بالنسبة لغيره هذا بالإضافة إلى أنه غير مقصود له بالذات والحق أنه من التفسير بالرأي المحمود.

(1) قيل أنه اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

(2) وهي حاشية كبيرة قيمة تقع في ثمانية مجلدات كبار.

أسـئلة في الباب الرابع ـ التمهيد والفصل الأول

س 1 : بيّن المراد من التفسير بالرأي واذكر حكمه في خلاف العلماء فيه مبيناً أدلة القائلين بالمنع وأدلة المجوزين مع ترجيح المناسب من القولين؟ وذكر حقيقة الخلاف بينهما.

س 2 : جماعة من السلف تحرجوا من تفسير القرآن من هم هؤلاء المتحرجون مبيناً على أي شيء ينبغي أن يحمل تحرجهم مستدلاً على ما تذكر.

س 3 : عرف التفسير بالرأي المحمود وبين مصادره واذكر المراد من التفسير بالرأي المذموم؟

س 4 : متى نشأ التفسير بالرأي وكيف نما وتطور مبيناً السبب في مزج التفسير بالعلوم العربية وعلم الكلام والعلوم الفقهية.

س 5 : تحدث عن مناهج المفسرين بالرأي مبيناً أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود إجمالاً مع ذكر أسماء مؤلفيها وتاريخ وفاتهم.

س 6 : تحدث بالتفصيل عن خمسة على الأقل من المفسرين بالرأي المحمود مبيناً قيمة تفاسيرهم العلمية ووصفها ومميزاتها وطريقة كل مفسر منهم؟

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي الفقهي وأهم الكتب المؤلفة فيه

المقصود من التفسير الموضوعي: أن يعمد أحد العلماء المفسرين إلى ناحية واحدة من نواحي التفسير المتعددة المتشعبة أو إلى موضوع معين من الموضوعات في القرآن الكريم ويجمع ما تفرق منه ويفرده بالدرس والبحث والكتاب[1].

ولهذا العمل أمثلة كثيرة على مر العصور منها على سبيل المثال:

1 ـ ما ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفي سنة 209هـ بعنوان مجاز القرآن[2].

2 ـ ما كتبه أبو جعفر النحاس المتوفي سنة 338 هـ بعنوان ناسخ القرآن ومنسوخه[3].

3 ـ وأسباب النزول لأبي الحسن الواحدي المتوفي سنة 468هـ.

4 ـ ومفردات غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني المتوفي سنة 502هـ

5 ـ والتبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفي سنة 757هـ[4].

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 148. بتصرف.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ج 1، ص 540.

(3) انظر الأعلام للزركلي، ج 1، ص 208.

(4) الأعلام للزركلي، ج 6، ص 56.

6 ـ ولباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911 هـ/ومنه أيضاً المؤلفات القيمة الخاصة بموضوع أحكام القرآن لجماعة من العلماء قديماً وحديثاً وهذا القسم من التفسير الموضوعي هو الذي يعنينا هنا لما له من الأهمية لمن يريد العمل بما يحويه القرآن الكريم من أحكام وهو ما يعرف بالتفسير الفقهي للقرآن الكريم.

والمراد به: أن يقصد المفسر من تفسيره استنباط الأحكام الشرعية العملية من الآيات القرآنية المتعلقة بهذه الأحكام من عبادات وأحوال شخصية أو معاملاً بأنواعها.

وسيكون الكلام في هذا الموضوع منحصراً في نقطتين:

الأولى في نشأته وتطوره إلى وقتنا الحاضر.

والثانية في بيان مصادره وهي الكتب المؤلفة فيه إجمالاً وتفصيلاً.

أ نشأته وتطوره: إن التفسير الفقهي بالمعنى الذي نعرفه اليوم لم يكن معروفاً في العهد النبوي لعدم حاجة الناس إليه في ذلك العهد لوجود الرسول الكريم بينهم يرشدهم لكل ما يحتاجون إليه في أمور دينهم وعباداتهم.

ولما توفي الرسول ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى طرأت للصحابة وقائع من حين لآخر لم يسبق لها حكم من الرسول ﷺ ولا بد لهم أن يفتوا فيها بحكم صحيح فما كان عليهم إلا أن يرجعوا إلى القرآن الكريم لاستنباط الأحكام على ضوء ما سبق لهم من وقائع مشابهة فيجمعون على حكم فيها.

وقلما نجد لهم اختلافاً ومن القليل ما وقع بن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب في عدة المرأة الحامل المتوفي عنها زوجها أهي وضع حملها[1] او مضي أربعة أشهر وعشر أو أبعد الأجلين منهما[2] وقد قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ

(1) وهو رأي عمر رضي الله تعالى وهو المعمول به لتأييد السنة الصحيحة له.

(2) وهو رأي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ذهاباً إلى العمل بالآيتين معاً.

﴿... وَأُولَاتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(1) وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(2) وهذه الوقائع على قلتها كانت بداية التفسير الفقهي أو الخلاف الفقهي.

ولم يكن اختلاف الصحابة عن تعصب ولكن اختلاف في الفهم ووجهات النظر فيما بينهم طلباً للحق والصواب فإن رأى أحد المختلفين أن الحق في طرف غيره أخذ به وترك رأيه.

ولما جاء عهد الأئمة الفقهاء الأربعة واتخذ كل إمام أصولاً لاستنباط الأحكام في مذهبه وكثرت الأحداث وتشعبت المسائل ازدادت وجوه الاختلاف في فهم بعض الآيات لتفاوت وجوه الدلالة فيها دون التعصب لمذهب استمساكاً بما يرى الفقيه أنه الحق ولا يجد غضاضة إذا عرف الحق لدى غيره أن يرجع إليه(3). ظل الأمر هكذا حتى جاء عصر التقليد المذهبي فقصر الأئمة جهودهم على توضيح مذهبهم والانتصار له ولو كان ذلك بحمل الآيات القرآنية على المعاني المرجوحة البعيدة ونشأ من هذا التعصب تفسير فقهي خاص لآيات الأحكام في القرآن يشتد التعصب المذهبي فيه أحياناً ويخف أحياناً أخرى(4).

وتتابع هذا التعصب وبقي إلى العصر الحديث وهو ما نسميه بالتفسير الفقهي وألفت على هذه الطريقة كتب كثيرة متنوعة تبعاً للمذاهب والفرق الإسلامية:

---

(1) سورة الطلاق، الآية 4.

(2) سورة البقرة، الآية 234.

(3) بدليل أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كان يقول: إذ صح الحديث فهو رأيي وكان يقول الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة وكان يقول لأحمد بن حنبل وهو تلميذه في الفقه إذ صح عندك الحديث فاعلمني به، وكان يقول عن الإمام مالك: إذا ذكر الحديث فمالك النجم الثاقب إلى غير ذلك مما يدل على انتشار روح التقدير والحب بين أولئك الفقهاء والأعلام وهي سنة أسلافهم من الصحابة والتابعين. انتهى. من التفسير والمفسرون للذهبي، ج 2، ص 434.

(4) الشيخ مناع القطان مباحث في علوم القرآن، ص 387.

فلأهل السنة تفسير فقهي ولأهل الظاهر تفسير فقهي وللخوارج تفسير فقهي وللشيعة تفسير فقهي وكل فريق من هؤلاء يجتهد في تأويل الآيات القرآنية حتى تشهد له أو على الأقل لا تعارضه مما أدى ببعضهم إلى التعسف في التأويل والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلولاتها الصحيحة[1].

أهم مصادر التفسير الفقهي:

سأقتصر على ذكر كتب التفسير الفقهي عند أهل السنة المطبوعة المتداولة بين أهل العلم وهي إجمالاً كما يلي:

1 ـ أحكام القرآن للجصاص حنفي.

2 ـ أحكام القرآن للكيا الهراسي شافعي.

3 ـ أحكام القرآن لابن العربي مالكي.

4 ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مالكي.

5 ـ تفسير آيات الأحكام بإشراف الشيخ محمد علي السايس عام.

6 ـ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام للصابوني عام.

7 ـ الوسيط في أحكام القرآن الكريم للشيخ عبد الحميد صالح الجياش[2].

8 ـ تفسير آيات الأحكام للشيخ مناع خليل القطان[3] هذه هي أهم كتب التفسير الفقهي للقرآن بالإجمال وفيما يلي تفصيل لبعض هذه الكتب بذكر خصائصها وتراجم موجزة لمؤلفيها.

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 2، ص 435.

(2) طبعته الأولى كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية العظمى، سنة 1996 إفرنجي.

(3) ذكره الشيخ مناع نفسه في كتابه مباحث في علوم القرآن، ص 388.

أولاً: أحكام القرآن للجصاص:

مؤلفه هو:

أبو بكر أحمد بن علي الرازي الشهير بالجصاص - نسبة إلى عمل الجص - الجبس وهو من أئمة الفقه الحنفي توفي سنة 370 هـ من علماء القرن الرابع الهجري ومن المتعصبين للمذهب الحنفي وتفسيره هذا مقتصر على الآيات المتعلقة بالأحكام في القرآن كله ويستطرد في توسع كبير لتفريع المسائل والخلافات بين الأئمة مما جعله أشبه ما يكون بكتب مقارنة المذاهب.

وهو يشتط في الرد على المخالفين للأحناف في عبارات مقذعة لا يصح أن توجه إلى الأئمة والعلماء ويلاحظ عليه ميله إلى مذهب المعتزلة في بعض المسائل كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[1]. نجده يفسرها بما يفيد إنكار الرؤية واستحالتها كما يقول المعتزلة: وهو مطبوع في خمسة مجلدات بتحقيق الشيخ محمد الصادق قمحاوي طبعته دار الصحف بشركة عبد الرحمن محمد - القاهرة.

ثانياً: أحكام القرآن للكيا الهراسي[2]

ترجمة المؤلف:

هو أبو الحسن عماد الدين علي بن محمد بن علي الطبري المشهور بالكيا الهراسي المتوفي سنة 504 هـ أصله من خراسان ورحل إلى نيسابور وتفقه على إمام الحرمين الجويني وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وكان حلو

---

(1) انظر أحكام القرآن للجصاص، ج 4، ص 169. سورة الأنعام، الآية 103.

(2) للهراسي ترجمة في الوافي بالوفيات، ج ، ص 177. وفي سير النبلاء للذهبي، ج 2، ص 82. وفي شذرات الذهب، ج 4، ص 8. وفي كشف الظنون، ص 423. وهداية العارفين، ج 1، ص 694. ومعجم المؤلفين لرضا كمال، ج 7، ص 220. والكيا كلمة أعجمية معناها الكبير القدر المقدم بين الناس. وفيات الأعيان، ج 1، ص 587.

العبارة فصيحاً محدثاً يستعمل الحديث في مناظراته[1].

أما كتابه أحكام القرآن فهو من أهم مصادر الفقه وخصوصاً على مذهب الإمام الشافعي ومؤلفه يذكر في مقدمته أن مذهب الشافعي أسد المذاهب وأقومها وأرشدها وأحكمها وأخذ العلماء من عبارته هذه ونحوها أنه متعصب لمذهبه الشافعي غاية ما في الأمر أنه ـ والحق يقال كان عف اللسان والقلم مع أئمة المذاهب الأخرى[2].

وهو يفسر الآيات على وفق قواعد مذهبه الشافعي ويحاول أن يجعلها غير صالحة لأن تكون في جانب مخالفيه.

والكتاب يتناول جميع الآيات المتعلقة بالأحكام في جميع سور القرآن وهو مطبوع متداول في ثلاثة مجلدات كبار.

ثالثاً: أحكام القرآن لابن العربي:

مؤلفـه:

هو أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأشبيلي الأندلسي من أئمة الأندلس المتبحرين ولد بالأندلس سنة 468 هـ وتأدب بها وأخذ القراءات بها ورحل إلى مصر والشام وبغداد ومكة وكان يأخذ العلم في كل بلد رحل إليه حتى أتقن الفقه والأصول وتبحر في التفسير ثم رجع إلى بلده اشبيليا وصنف كتباً كثيرة في علوم مختلفة من أهمها كتابه أحكام القرآن، توفي إلى رحمة الله تعالى سنة 548 هـ خمسمائة وثمان وأربعين هجرية ودفن بمدينة فاس بالمغرب الأقصى رحمه الله رحمة واسعة.

وصف الكتاب وطريقته في تأليفه وخصائصه:

يتعرض ابن العربي في كتابه أحكام القرآن لتفسير جميع آيات الأحكام في

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 2، ص 444.

(2) نفس المصدر السابق.

جميع سور القرآن ويذكر في كل سورة عدد ما فيها من آيات الأحكام ثم يشرحها ويستخرج ما فيها من أحكام وهو يعتمد على اللغة والحديث وعلى ما كان من أفعال النبي ﷺ وصحابته الكرام ويوازن بين المذاهب ويؤيد رأيه بالحجة الدامغة والمنطق القويم[1].

اقتبس منه العلماء الأجلاء مثل الإمام القرطبي في تفسيره ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً مهماً في التفسير الفقهي المالكي ومؤلفه من المدافعين عن المذهب المالكي المتعصبين له أحياناً وكثيراً ما نجد منه إنصافاً لمخالفيه من أصحاب المذاهب الأخرى ولا يرى غضاضة من مخالفة بعض أقوال أهل مذهبه ما دام الدليل يشهد للمخالفين ومن أمثلة إنصافه ما يلي:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[2]. قال: الاعتكاف في اللغة هو اللبث وهو غير مقدر عند الشافعي وأقله لحظة ولا حد لأكثره، وقال مالك وأبو حنيفة: هو مقدر بيوم وليلة لأن الصوم عندهما من شرطه قال علماؤنا لأن الله تعالى خاطب الصائمين وهذا لا يلزم في الوجهين أما اشتراط الصوم فيه بخطابه تعالى لمن صام فلا يلزم بظاهره ولا باطنه لأنها حال واقعة لا مشترطة.

وأما تقديره بيوم وليلة لأن الصوم من شرطه فضعيف فإن العبادة لا تكون مقدرة بشرطها ألا ترى أن الطهارة شرط في الصلاة وتنقضي الصلاة وتبقى الطهارة[3].

فإننا نرى في كلامه هذا إنصافاً للشافعية في هذه المسألة وتضعيفاً لما ذهب إليه الحنفية والمالكية ففيها ما يدل على إنصافه وعدم تحيزه.

ب ـ في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة... الآية» حيث

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي، ج 1، ص 8.

(2) سورة البقرة، الآية 187.

(3) أحكام القرآن لابن العربي، ج 1، ص 95.

يقول في المسألة السابعة والعشرين في قوله تعالى فيها (برؤوسكم).

اختلف العلماء فيها على أحد عشر قولاً وبينها واحداً واحداً وقال: ولكل واحد من هذه الأقوال مطلع من القرآن والسنة ثم يذكر لكل قول مطلعه ثم يبين بعد فراغه من هذا كله ما يدل على إنصافه وعدم تحيزه قائلاً: أن القوم لم يخرج اجتهادهم عن سبيل الدلالات في مقصود الشريعة ولا جاوزوا طرفيها إلى الإفراط فإن للشريعة طرفين أحدهما طرف التخفيف في التكليف والآخر طرف الاحتياط في العبادات فمن احتاط استوفى الكل ومن خفف أخذ بالبعض[1] يؤخذ من كلامه هذا أنه يصوب كل الأقوال ولا يعنف على أحد.

ج - يقول في المسألة السادسة والأربعين ما نصه: نزع علماؤنا بهذه الآية إلى أن إزالة النجاسة غير واجبة لأنه قال: إذا قمتم إلى الصلاة: تقديره كما سبق وأنتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فلم يذكر الاستنجاء وذكر الوضوء ولو كان واجباً لكان أول مبدوء به وهي رواية أشهب عن مالك وقال ابن وهب لا تجزيء الصلاة بها لا ذاكراً ولا ناسياً وبه قال الشافعي وقال ابن القاسم عنه: تجب مع الذكر وتسقط مع النسيان... والصحيح رواية ابن وهب ولا حجة في ظاهر القرآن لأن الله سبحانه وتعالى إنما بيّن في آية الوضوء صفة الوضوء خاصة وللصلاة شروط من استقبال القبلة وستر العورة وإزالة النجاسة وبيان كل شرط منها في موضعه[2].

ففي هذا إنصاف منه لمن يخالف مذهب مالك ولا يرى في ظاهر الآية ما يشهد له.

هذا ومن محاسن ابن العربي في كتابه هذا أنه شديد النفور من الروايات الإسرائيلية ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي، ج 2، ص 571.

(2) المصدر السابق، ص 581.

وهو كتاب مفيد وقيم وخصوصاً في المسائل الفقهية المستنبطة من آيات القرآن وهو مطبوع متداول بين أهل العلم طبعته الأخيرة محققة من قبل على محمد البجاوي في أربعة أجزاء طبعته دار الفكر.

رابعاً: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

اسم الكتاب بالكامل: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان[1].

المؤلف هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح[2] الأنصاري الخزرجي القرطبي الأندلسي كان رحمه الله من أكابر علماء الأندلس العاملين الزهاد المتواضعين قال عنه الذهبي: إمام متقن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله منها الأسني في شرح أسماء الله الحسنى والتذكار في أفضل الأذكار، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وأهمها وأكثرها نفعاً تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

توفي إلى رحمة الله تعالى بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة 671 هـ ستمائة وإحدى وسبعين هجرية.

وصف تفسيره وخصائصه ومنهجه فيه:

قال العلامة ابن فرحون في وصفه هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والأعراب والناسخ والمنسوخ[3]. وإلى جانب هذا نرى القرطبي يذكر

---

(1) اسمه هذا أثبته صاحب كشف الظنون وقيل عنه أنه أولى من غيره.

(2) فرح بإسكان الراء وبالحاء المهملة وللقرطبي ترجمة في طبقات المفسرين للداودي، ج 2، ص 65. وفي طبقات المفسرين للسيوطي، ص 28. وفي هداية العارفين، ج 2، ص 129. وفي نفح الطيب، ج 2، ص 110.

(3) الديباج المذهب، ص 317. نقله الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 2، ص 548.

في تفسيره أسباب النزول ويحتكم إلى اللغة ويستشهد كثيراً بالشعر العربي ويرد على المعتزلة والروافض والقدرية والفلاسفة وغلاة المتصوفة ويترك كثيراً من الروايات الإسرائيلية لأنه لم يتركها بالمرة كما تفيد عبارة ابن فرحون فقد وجدنا في تفسيره بعض ما جاء من غرائب القصص الإسرائيلي كما تقدم لنا في تمهيد الباب الثالث[1] وهو كثير النقل عمن قبله من الذين فسروا آيات الأحكام كابن العربي والجصاص والهراسي ويضيف كل قول إلى قائله فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله وقد تناول في تفسيره بالشرح والإيضاح جميع آيات القرآن وعلى هذا فهو جامع كما سمي يجمع بين طريقتين طريق الاقتصار على تفسير آيات الأحكام وبين طريقة المفسرين بالتفسير بالرأي المحمود العام. ويتوسع كثيراً في آيات الأحكام متبعاً طريقة المسائل كابن العربي إلا أنه لا يتعصب مثله للمذهب المالكي بل بالعكس فقد وجدناه يلوم ابن العربي في تصنيفه وتشنيعه على الأئمة من العلماء المخالفين له في الرأي.

ومن أمثلة عدم تعصبه لمذهبه:

أ ـ ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2].

في المسألة السادسة عشرة التي تعرض فيها لإمامة الصغير دون البلوغ ويذكر فيها أقوال العلماء من يجيزها ومن يمنعها فذكر ممن منعها مالكاً والثوري وأصحاب الرأي ولكنه يخالف إمامه فيها لما ظهر له من الدليل على جوازها فيقول: قلت إمامة الصغير جائزة إذا كان قارئاً لما ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة ويذكر الحديث الشاهد له[3].

---

(1) في تفسير قوله تعالى: «الذين يحملون العرش ومن حوله...» الآية ص 241.

(2) سورة البقرة، الآية 43.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 354. والحديث الذي استدل به هو عن عمرو بن سلمة قال: كنا بماء ممر الناس وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما هذا الرجل؟

ب - وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ... الآية﴾[1]. يذكر في المسألة الثانية عشرة: خلاف العلماء في من أكل في نهار رمضان ناسياً ويبين أن مالكاً يرى أنه يفطر وعليه القضاء ولكنه لا يرضي بهذا الحكم فيقول: وعند غير مالك ليس بمفطر كل من أكل ناسياً لصومه قلت وهو الصحيح وبه قال الجمهور: إن من أكل أو شرب ناسياً فلا قضاء عليه وأن صومه تام لحديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أكل الصائم ناسياً أو شرب ناسياً فإنما هو رزق ساقه الله تعالى إليه[2].

ج - وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]. يذكر في المسألة السادسة حكم المتعة وأن العلماء من الصحابة وغيرهم اختلفوا فيه فمنهم من قال بوجوبها للمرأة المطلقة ومنهم من يقول بندب بها ومن بينهم مالك بن أنس رحمه الله تعالى وأصحابه ويقول: تمسك أهل القول الأول بمقتضى الأمر وتمسك أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4] ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين. ثم يرجح القول الأول الذي لا يراه مالك

= فيقولون يزعم أن الله أرسله أوحي إليه كذا فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما نقر في صدري وكان العرب تدوم بإسلامها فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي وقومي بإسلامهم فلما قدم قال: جئتكم والله من عند نبي حقاً، قال: صلوا صلاة كذا في حين كذا فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآناً لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين... الحديث

انظر الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 3553.

(1) سورة البقرة، الآية 187.

(2) الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 322.

(3) سورة البقرة، الآية 236.

(4) سورة البقرة، الآية 241.

وأصحابه فيقول: والقول الأول أولى لأن عمومات الأمر بالامتاع في قوله: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ ﴾[1] أظهر في الوجوب منه في الندب وقوله «على المتقين» تأكيد لا يجابها لأن كل واحد يجب عليه أن يتقي الله في الإشراك به ومعاصيه وقد قال الله تعالى في القرآن هدى للمتقين[2].

ومن أمثلة مواقفه موقف المدافع عن من شنع عليهم ابن العربي من المخالفين لمذهب الإمام مالك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾[3] من العيب على ابن العربي ولومه عليه في تشنيعه على من يقول من الحنفية وغيرهم بحل النبيذ وجعله إياهم مثل أغبياء الكفار فيقول: «وهذا تشنيع شنيع حتى يلحق فيه العلماء الأخيار في قصور الفهم بالكفار»[4] ثم يقول شيخنا الذهبي بعد ذكره لهذه الأمثلة وغيرها:

وعلى الجملة فإن القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره هذا حر في بحثه نزيه في نقده عف في مناقشته وجدله ملم بالتفسير من جميع نواحيه بارع في كل فن استطرد إليه وتكلم فيه[5].

---

(1) من الآية السابقة.

(2) سورة البقرة، الآية 2.

(3) سورة النحل، الآية 67.

(4) الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 130.

(5) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 464.

أسئلة في هذا الفصل

س 1 : ما المقصود من التفسير الموضوعي مع التمثيل له بأمثلة متعددة في مختلف النواحي المتعلقة بالقرآن على مر العصور بشرط أن لا تقل عن خمسة.

س 2 : ما المراد من التفسير الموضوعي الفقهي مبيناً نشأته وتطوره على مر العصور إلى وقتنا الحاضر؟ ثم اذكر أهم المؤلفات فيه إجمالاً؟

س 3 : تحدث بالتفصيل عن المراجع الآتية في التفسير الفقهي وهي أحكام القرآن للجصاص وأحكام القرآن للكيا الهراسي وأحكام القرآن لابن العربي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي مبيناً فيه اسم الكتاب واسم مؤلفه ومذهبه الذي ينتسب إليه وتاريخ وفاته، وخصائص الكتاب وطريقة مؤلفه في تأليفه؟

س 4 : اكتب مثالين من كتاب ابن العربي يشهدان على إنصافه وعدم تعصبه ومثالين من تفسير القرطبي يدلان على تسامحه وعدم تعصبه للمذهب المالكي ومثالاً آخر منه يدل على لومه على ابن العربي في تشنيعه على الأئمة من المخالفين.

الفصل الثالث

التفسير بالرأي المذموم وأهم مصادره

تمهيد

الرأي المذموم هو المقابل للرأي المحمود الذي تقدم الكلام عليه وقد عرفنا هناك معناه وشروطه التي إذا توفرت فيه يكون محموداً وجائزاً وبناء على هذا يمكننا أن نقول: إن التفسير المذموم أو غير الجائز هو الذي لا تتوفر فيه تلك الشروط أي أنه تفسير القرآن من غير أن يتأهل المفسر له بالعلوم التي لا بد منها للمفسر ومثله التفسير بالهوى والاستحسان والذي يقصد به تأييد المذاهب الفاسدة والآراء الباطلة[1] وهو عينه ما يسميه البعض بتفسير الفرق المبتدعة وقد اعتمد هذه التسمية شيخنا الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون[2].

والفرق المبتدعة درجات في ابتداعها تبدأ بالانحراف والفسق وتنتهي بالضلال والكفر والعياذ بالله تعالى.

والرئيسية من هؤلاء أربعة المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة[3] وأما بقية الفرق التي سيأتي الكلام على بعضها كالباطنية والمشبهة والاثنى عشرية ونحوهم فهي مشتقة من هذه ومتفرعة عنها والذين تناولوا التفسير من هؤلاء وأولئك ونظروا إلى الآيات القرآنية من زاوية عقائدهم وحاولوا تأويلها وحملها

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 10.

(2) ج 1، ص 363.

(3) المرجئة هم الذين يرجئون الكبائر ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

على مقتضى ما يعتقدون كثيرون وتفاسيرهم أكثر وأرى أن حصر هذه التفاسير وبيان ما فيها من انحراف عن الصراط السوي أمر شاق يحتاج إلى جهد مضن ووقت واسع وهو إلى المستحيل أقرب.

لهذا فإنني سأكتفي بالكلام والتنبيه على أهم هذه الفرق والذين نسب إليهم تفسير كتب له البقاء فاذكر تفاسيرهم مبيناً خصائصها ونصوصاً منها كأمثلة من التفسير المذموم وغير الجائز للتحذير منه ليجتنبه الناس ولا ينخدعوا به.

والذين وقع عليهم الاختيار هم المعتزلة والشيعة والخوارج والمتصوفة الذين فسروا القرآن بالإشارة.

وفيما يلي البيان إجمالاً أولاً ثم التفصيل ثانياً في كل نقطة أذكرها:

أولاً: المعتزلة وتفسيرهم وأهم الكتب المؤلفة فيه:

نشأت فرقة المعتزلة على يد واصل بن عطاء الغزال[1] تلميذ الحسن البصري التابعي المشهور في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي[2] وقد يسمون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكار وقوعها تحت قدرة الله تعالى. ويعبر عنهم أحياناً بالمعطلة لتعطيلهم ذات الله سبحانه وتعالى عن الصفات ويقولون الله مريد بذاته وعالم بذاته وهكذا وقد بنى المعتزلة آراءهم في العقائد على أصول خمسة فسروا القرآن الكريم على ضوئها وهي بالإجمال: التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) واصل ولد سنة 80 هـ وتوفي سنة 131 هـ وكان من الأئمة البلغاء المتكلمين سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله درس شيخه الحسن البصري وهو الذي نشر مذهب المعتزلة في الآفاق. انظر الأعلام، ج 8، ص 159.

(2) ولد هشام سنة 71 هـ، وتوفي سنة 125 هـ. الأعلام، ج 8، ص 66.

وأما تفسيرها وما يقصدون بها فهو كما يلي:

1 ـ التوحيد وهو أهم أصولهم وأصل عقائدهم فقد بنوا عليه استحالة رؤية الله تعالى دنيا وأخرى للمؤمنين والكفار على حد سواء، وأن صفات الله تعالى ليست شيئاً غير ذاته وأن القرآن مخلوق.

2 ـ وأما العدل فمن مضمونه أن الله تعالى لم يشأ جميع الكائنات ولا خلقها كلها إذ أن أفعال العباد الاختيارية خيرها وشرها مخلوقة لهم، ولم يرد الله سبحانه من الأشياء إلا ما أمر به شرعاً وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته.

3 ـ وأما الوعد والوعيد فهو من أصولهم التي شاركهم فيه الخوارج والمقصود منه أن الله تعالى ينفذ وعيده في أهل الكبائر من المؤمنين كما ينفذ وعده للمطيعين منهم ولا تغفر الكبائر لمن ارتكبها ما لم يتب توبة مقبولة ولا تقبل فيه شفاعة الشافعين ويبقى مخلداً في النار ولهم تعبير آخر عن هذا المعنى وهو: أنهم يقولون يجب على الله إثابة المطيع وتعذيب العاصي تنفيذاً لوعده ووعيده.

4 ـ وأما المنزلة بين المنزلتين فهو: اعتقادهم إن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو ليس بمؤمن ولا كافر يثبتون له المنزلة بين المنزلتين وقالوا: إن المؤمن اسم مدح والفاسق لا يستحق المدح فلا يكون مؤمناً وليس هو بكافر لإقراره بالشهادتين ولوجود أعمال الخير فيه.

فإذا مات بلا توبة خلد في النار إذ ليس في الآخرة إلا جنة أو نار والناس فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكن العصاة المرتكبون للكبائر يخفف عنهم ويكونون في دركة فوق دركات الكفار[1].

5 ـ وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد خالفوا في تفسيره ما عليه

(1) التفسير والمفسرون بتصرف، ج 1، ص 370.

الجمهور من العلماء لأنهم لا يفرقون بين صاحب السلطان في الأمر بالمعروف وبين غيره مما لا سلطة له ويتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وهم أيضاً لا يفرقون بين الأصول الدينية المجمع عليها وبين عقائدهم الاعتزالية[1].

هذا مع العلم بأن للمعتزلة مسائل خالفوا فيها أهل السنة مبنية على أصولهم التي مر ذكرها وهي تتردد كثيراً في تفسيرهم للآيات القرآنية منها:

1 ـ أن رؤية الله تعالى مستحيلة في الدنيا والآخرة.

2 ـ وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى عن قولهم علواً كبيراً.

3 ـ أن القرآن مخلوق.

4 ـ أن صفات المولى عز وجل عين ذاته ولا يقولون أن له صفات.

5 ـ أن الحرام ليس برزق.

6 ـ أن المقتول ليس ميتاً بأجله.

7 ـ أن أفعال العباد الاختيارة مخلوقة لهم وأن الهداية والضلالة منهم.

8 ـ أن الله تعالى لا يأمر إلا بما يريد.

9 ـ أن الحسن والقبح ذاتيان للأشياء[2].

موقف المعتزلة من تفسير القرآن والمفسرون منهم وأهم تفاسيرهم

أما موقفهم من التفسير فقد علمنا فيما سلف أن المعتزلة أقاموا تفسيرهم على أصولهم الخمسة المتفق عليها عندهم، وأن أشهر خصومهم أهل السنة والجماعة الذين اختلفوا معهم في مسائل متعددة في العقيدة.

---

(1) راجع في هذا الأصل وتفسيره الكشاف للزمخشري في تفسير قوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس... الآية. ج 1، ص 319. وفي تفسيره قوله تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين... الآية. ج 1، ص 561.

(2) انظر اللآلىء الحسان في علوم القرآن للشيخ موسى شاهين لاشين، ص 416.

لذا كان لا بد لهؤلاء المعتزلة أن يقيموا عقائدهم على أسس دينية من القرآن وتفسيره، ولا بد لهم أيضاً أن يردوا حجج خصومهم هؤلاء مما أخذوه من القرآن وتفسيره، وكان نظر المعتزلة للقرآن من خلال عقائدهم محاولين إخضاع عبارته لتشهد لهم وتؤيد آراءهم أو على الأقل لا تكون ضدهم.

وكانت عمدتهم في هذا كله هو العقل أكثر من النقل وجعلوا العقل أيضاً هو الفيصل في التوفيق بين المتشابهات من الآيات التي ظاهرها التعارض مخالفين في هذا علماء السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الذين كانوا يكتفون بمجرد النقل فإن لم يجدوا نقلاً فوضوا العلم إلى الله عز وجل.

وأما المفسرون منهم فهم كثيرون بداية من القرن الثالث الهجري حتى القرن السادس غير أن الكتب التي ألفوها في التفسير معظمها لم يكتب له البقاء ولولا أن أصحاب الطبقات[1] تحدثوا عنها وعن مؤلفيها لم نعلم عنها شيئاً.

وفيما يلي بيان مجمل للمفسرين من المعتزلة حسب تواريخ وفاتهم:

1 ـ أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم أقدم شيوخ المعتزلة وشيخ إبراهيم بن اسماعيل بن علية الذي كان يناظر الإمام الشافعي وقد ألف تفسيراً للقرآن الكريم[2] وتوفي سنة 240 هـ.

2 ـ محمد بن عبد الوهاب بن سلام الشهير بأبي علي الجبائي أحد شيوخ المعتزلة في علم الكلام والفلسفة وذكروا أن له تفسيراً[3] وتوفي سنة 303 هـ.

3 ـ أبو القاسم عبدالله بن أحمد البلخي الحنفي المعروف بالكعبي ذكروا أنه ألف

---

(1) مثل طبقات المفسرين للسيوطي وتلميذه الداودي والفهرست لابن النديم وكشف الظنون.

(2) ذكره ابن النديم في الفهرست، ص 51.

(3) ذكره ابن النديم، ص 50. والسيوطي في طبقات المفسرين، ص 50.

تفسيراً يقع في اثني عشر مجلداً[1] توفي سنة 319 هـ.

4 ـ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ذكر أنه ألف تفسيراً[2] ورآى الراوي جزءاً منه توفي سنة 321 هـ.

5 ـ أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الذي صنف تفسيراً يسمى «جامع التأويل لمحكم التنزيل» يقع في أربعة عشر مجلداً وقيل في عشرين مجلداً[3] توفي سنة 322 هـ.

6 ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني من شيوخ المعتزلة المتشيعين يقال أنه ألف تفسيراً ورآه الراوي[4] وقال إنه قد اختصره عبد الملك بن علي الهروي توفي سنة 384 هـ.

7 ـ القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني صاحب كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن الذي يأتي الكلام عليه في التفصيل توفي 415 هـ.

8 ـ الشريف المرتضى صاحب كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد أيضاً سيأتي الكلام عليه في التفصيل توفي سنة 436 هـ.

9 ـ عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني شيخ المعتزلة في زمنه ألف تفسيراً ليس في كتب التفسير قاطبة أوسع ولا أجمع للفوائد منه يقع في ثلاثمائة مجلد منها سبع في الفاتحة وحدها وفي رواية أخرى أنه بلغ خمسمائة مجلد ورأي الراوي واحداً منها في آية واحدة من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ... الآية﴾[5]. توفي القزويني سنة 483 هـ.

10 ـ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري صاحب الكشاف المتوفي سنة

---

(1) ذكره صاحب كشف الظنون، ج 1، ص 234.

(2) ذكره السيوطي في طبقات المفسرين، ص 33.

(3) ذكره ابن النديم والسيوطي في بغية الوعاة، ص 23.

(4) طبقات المفسرين للسيوطي، ص 24.

(5) انظر السيوطي في طبقات المفسرين، ص 19. وسورة البقرة، الآية 102.

538 هـ سيأتي الكلام عليه في التفصيل هؤلاء هم أشهر من عرفوا بالتفسير من المعتزلة غير أني أكتفي في التفصيل بالكلام على ثلاثة منهم وهم الذين بقيت تفاسيرهم وتداولها العلماء وهم القاضي عبد الجبار والشريف المرتضى والزمخشري وأبين فيه تراجم موجزة لكل منهم ونبذة مختصرة عن تفاسيرهم أذكر خصائصها ومنهجهم في تأليفها وأمثلة منها.

1 ـ الشريف المرتضى وكتابه «غرر الفوائد ودرر القلائد»

أ ـ التعريف بالمؤلف

هو: أبو القاسم علي بن الطاهر بن أحمد الحسين[1] الموسوي العلوي المولود ببغداد سنة 355 هـ شيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق كان معتزليا مبالغاً في اعتزاله عرف بالإمامة في الكلام والأدب والشعر له مقالة في أصول الدين وديوان شعر كبير وكتاب الأمالي في التفسير[2] وهو الذي سأتناوله الآن:

ب ـ وصف الكتاب وخصائصه ومنهجه في تأليفه:

كتاب الأمالي للشريف المرتض كتاب جيد ومفيد يشتمل على محاضرات أو مقالات أملاها الشريف في ثمانين مجلساً فيها بحوث في التفسير والحديث والأدب تدل على علم كثير وتوسع في الإطلاع على مختلف الفنون، وهو لا يحيط بتفسير القرآن كله بل ببعض الآيات التي يدور أغلبها حول العقيدة ويتوسع كثيراً في شرحها ساعياً من خلاله بكل جهده إلى الوصول بها إلى مبادئه الاعتزالية مستعيناً بنبوغه الأدبي وبمعرفته الواسعة بفنون اللغة وأساليبها[3] ومن

---

(1) تمام نسبه الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأخوه الشريف الرضى المتوفي سنة 406 هـ له كتاب بعنوان حقائق التأويل في متشابه التنزيل وهو يقرب من أمالي المرتضى في منهجه وطريقته.

(2) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 404.

(3) طبع كتاب الأمالي للشريف المرتضى في مجلدين كبيرين ونشرته دار الكتاب العربي بيروت لبنان تحقيق الشيخ محمد أبي الفضل إبراهيم.

خصائصه أنه يحاول جاهداً أن يجعل أصول المعتزلة مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جاء في الأمالي قوله: «أعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين... وخطبه فإنها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه»[1].

ومن الأمثلة من تفسيره الدالة على مبالغته في الاعتزال ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]. من إنكار رؤية المؤمنين للباري عز وجل في الجنة فقال ما نصه أعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في أبطال ما ظنه أصحاب الرؤية[3] في الآية على وجوه معروفة لأنهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلباً لرؤيته، ومنها النظر الذي هو الانتظار، ومنها النظرالذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل وقالوا إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهره تعلق واحتاج جميعنا إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة.

وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة، وبين أن هناك وجهاً آخر في الآية: وهو أن إلى في الآية اسم بمعنى نعم أي ناظرة آلاء ربها أي نعمه ومفردها إلى كمعي وأسقط تنوينها للإضافة[4].

ومن أمثلة ما يتعرض له المرتضى كثيراً في أماليه ويعتبر من خصائصه

(1) الأمالي للمرتضى، ج 1، ص 148.
(2) سورة القيامة، الآيتان 22 ـ 23.
(3) المقصود من أصحاب الرؤية هم أهل السنة والجماعة.
(4) أمالي المرتضى، ج 1، ص 36 ـ 37.

وهو الجمع بين الآيات أو الآيتين التي ظاهرها التناقض أو الاختلاف ما جاء في تأويله لقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾[1] مع قوله عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾[2].

قال: والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة، والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة، وكيف يجوز أن تكون العصا في حالة واحدة من صفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها بأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام؟ الجواب إن الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفان فالحال التي أخبر فيها أن العصا صارت فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوءة وقبل مصير موسى عليه السلام إلى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك وإذا اختلفت القصتان فلا مسألة وأجاب بجوابين آخرين على اعتبار أن الآيتين خبر عن قصة واحدة ملخص الأول: أن العصا شبهت بالثعبان في الآية الأولى لعظم الخلقة وكبر الجسم وهول المنظر.

وشبهت في الآية الأخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته ثم قال: وهذا أبهر في باب الإعجاز وأبلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين.

والثاني: أن الله تعالى لم يرد ذكر الجان في الآية الأخرى الحية وإنما أراد أحد الجان فكأنه تعالى أخبر بأن العصا صارت ثعباناً في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحد الجان في هول لمنظر وإفزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى: فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب[3].

---

(1) سورة الشعراء، الآية 32.

(2) سورة القصص، الآية 31.

(3) أمالي المرتضى، ج 1، ص 25 ـ 26.

2 ـ تنزيه القرآن عن المطاعن

أ ـ مؤلفه

هو: عماد الدين قاضي القضاة[1] أبوالحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الشافعي شيخ المعتزلة بلا مدافع رحل إليه الطلاب وأخذوا عنه العلم منهم الحسن بن علي الصيمري الفقيه وأبو محمد عبد السلام القزويني المفسر المتقدم ذكره وخلف القاضي عبد الجبار عدداً من المؤلفات في علم الكلام والأصول والوعظ قال ابن كثير في طبقاته: إن من أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوة في مجلدين أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة[2] وبالجملة فقد طبق الأرض بكتبه وبعد صيته وعظم قدره حتى انتهت إليه رئاسة المعتزلة رحمه الله تعالى وغفر له[3].

ب ـ وصف الكتاب وخصائصه منهجه فيه:

هذا الكتاب وهو تنزيه القرآن يقع في مجلد واحد صغير الحجم لا يتناول جميع آيات القرآن بالشرح والإيضاح بل هو مقتصر على آيات معينة من جميع سور القرآن حسب ترتيب المصحف من البقرة إلى سورة الناس وهي التي يستطيع من خلالها تأييد مذهبه ومعتقداته الاعتزالية هذا بالإضافة إلى الفصل بين المحكم والتشابه وموهم الاختلاف من الآيات وبيان خطأ فريق من الناس في تأويلها[4] ويتبع طريقة في الشرح تتلخص في أنه يأتي بإشكال أو سؤال يتعلق بالآية تارة من ناحية ظاهر النظم القرآني في الصناعة العربية وتارة من ناحية أنها لا تتفق مع عقيدته كمعتزلي ثم يجيب عن:

---

(1) إذا طلق هذا اللقب عند المعتزلة في زمنه لا يتصرف إلا إليه.

(2) له كتاب آخر مطبوع في مجلدين بعنوان متشابه القرآن وهو يشبه تنزيه القرآن عن المطاعن في طريقته وعرضه للآيات.

(3) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 1، ص 392.

(4) يقصد بهم أهل السنة أشهر خصوم المعتزلة.

الشق الأول بما لا يخرج عما يتعرض له معظم المفسرين وأما الشق الثاني فيجيب عنه بما يظهر براعته في تأييد مذهب المعتزلة حسب الأصول الخمسة المتقدمة.

ومن أمثلة تفسيره ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[1]. ما نصه (مسألة) قالوا فقد قال تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة» وهذا يدل على أنه قد منعهم من الإيمان ومذهبكم بخلافه وكيف تأويل الآية؟ وجوابنا أن للعلماء في ذلك جوابين أحدهما أنه تعالى شبه حالهم بحال الممنوع الذي على بصره غشاوة من حيث أزاح كل عللهم فلم يقبلوا كما قد تعين للواحد الحق فتوضحه فإذا لم يقبل صح أن تقول: إنه حمار قد طبع الله على قلبه وربما تقول إنه ميت وقد قال تعالى للرسول: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[2]، وكانوا أحياء فلما لم يقبلوا شبههم بالموتى وهو كقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ويبين ذلك أنه تعالى ذمهم ولو كان هو المانع لهم لما ذمهم وأنه ذكر في جملة ذلك الغشاوة على سمعهم وعلى بصرهم وذلك لو كان ثابتاً لو يؤثر في كونهم عقلاء مكلفين.

والجواب الثاني أن الختم علامة يجعلها الله تعالى في قلوبهم تعرف الملائكة كفرهم وأنهم لا يؤمنون فتجتمع على ذمهم ويكون ذلك لطفاً لمن يعرف ذلك من الكفار أو يظنه فيكون أقرب إلى أن يقلع عن الكفر وهذا جواب الحسن رحمه الله تعالى ولهذا قال ولهم عذاب عظيم[3].

مثال آخر في رؤية الباري عز وجل في الجنة يراه المؤمنون واستدل

---

(1) سورة البقرة، الآية 7.

(2) سورة النمل، الآية 80.

(3) تنزيه القرآن عن المطاعن، ص 14.

القائلون بها بقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1] قالوا الحسنى هي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى واستدلوا بحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وقال القاضي عبد الجبار وجوابنا أن المراد بالزيادة التفضيل في الثواب فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه وهذا مروي وهو الظاهر فلا معنى لتعلقهم بذلك وكيف يصح ذلك لهم وعندهم أن الرؤية أعظم من كل الثواب فكيف تجعل زيادة على الحسنى وبذلك قال بعده ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة. فبين أن الزيادة هي من هذا الجنس في الجنة[2].

3 ـ الزمخشري[3] وكتابه: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

أ ـ المؤلـف

هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الحنفي المعتزلي المجاهر باعتزاله ولد في شهر رجب من سنة 467 هـ بقريته التي نسب إليها بخوارزم ثم رحل إلى بغداد ولقي العلماء وأخذ عنهم حتى صار إماماً في اللغة نحواً وصرفاً وبلاغةً وأدباً وفي أنساب العرب أيضاً إلى جانب نبوغه وتفوقه في تفسير القرآن الكريم.

وله تآليف كثيرة في معظم علوم العربية ومن بينها وأهمها أساس البلاغة في اللغة والفائق في تفسير الحديث والكشاف.

ب ـ وصف تفسيره وخصائصه ومنهجه فيه:

يعتبر هذا التفسير الكشاف ـ من أجل التفاسير وأهمها وأعلاها قدراً ولولا ما فيه من المسائل الاعتزالية ما توجه إليه نقد وهو على ما فيه لازال مرجعاً

---

(1) سورة يونس، الآية 26.

(2) تنزيه القرآن عن المطاعن، ص 177.

(3) الزمخشري نسبة إلى زمخشر كسفرجل قرية من قرى خوارزم.

للدارسين وخصوصاً في النواحي البلاغية وما أظهره فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته وذلك راجع لما امتاز به من الإلمام بلغة العرب ومن الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والأعراب والأدب ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسيره الكشاف ثوباً جميلاً لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين يدل لهذا ويؤكده ما نقل عن الشيخ حيدر الهروي من التعليق على الكشاف بقوله: وبعد فإن كتاب الكشاف كتاب عليّ القدر رفيع الشأن لم ير مثله في تصانيف الأولين ولم يرد شبيهه في تأليف الآخرين اتفقت على متانة تراكيبه الرقيقة كلمة المهرة المتقنين واجتمعت على محاسن أساليبه الأنيقة كلمة المفلقين[1].

وكذلك امتدحه بمثل هذا العلامة ابن خلدون والتاج السبكي وقال الذهبي بعد ذكره شهادات هؤلاء العلماء له: ومهما يكن من شيء فالكل مجمع على أن الزمخشري هو سلطان الطريقة اللغوية في تفسير القرآن وبها تمكن من أن يكشف عن وجوه الإعجاز فيه، ومن أجلها طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب واشتهر في الآفاق، واستمد كل من جاء بعده من المفسرين من بحره الزاخر، وارتشف من معينه الفياض واعتنى الأئمة المحققون بالكتابة عليه[2].

هذا ويفهم من كلام العلماء في الكشاف (ما ذكرته وما لم أذكره) أن له محاسن وعليه مآخذ معظمها أخذت عليه بسبب انتصاره لمذهبه الاعتزالي.

ومن محاسنه ما يلي:

1 ـ خلوه من الحشو والتطويل مع الشمول والإيضاح وعذوبة الأسلوب.

2 ـ اعتماده في بيان معاني الآيات على لغة العرب الفصحى السليمة وعلى أساليبهم المختلفة في الخطاب.

3 ـ عنايته الفائقة بعلمي المعاني والبيان للإفصاح عن الأسرار البلاغية وإظهار

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 436.

(2) التفسير والمفسرون، ج 1، ص 436 ـ 441.

إعجاز القرآن بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبي.

4 - اتباعه لطريقة مثلى في التفسير مشوقة للقارىء ومعينة له على الاستزادة من الفهم والتحصيل وهي طريقة السؤال والجواب بقوله في السؤال فإن قلت بفتح التاء وقلت بضم التاء في الجواب.

5 - إقلاله من الروايات الإسرائيلية الباطلة وما يذكره منها يورده بصيغة التمريض الدالة على الشك مثل قيل وروي بالبناء للمجهول وأحياناً يعقب عليها بقوله والله أعلم بصحتها أو بصحة ذلك(1).

وأما ما وجه إلى الزمخشري في كشافه من مآخذ فقد كان معظمها من ناحية المسائل الاعتزالية كما تقدم فنراه في سبيل ذلك يصرف الآيات القرآنية المصادمة لمبادئهم عن ظاهرها بتكلف ظاهر حتى يجعلها توافق مذهبه وتؤيده أو على الأقل لا تتنافى معه ولا تناقضه ومن أشهر ما وجه إليه من مآخذ وانتقادات ما يلي:

1 - إساءته الأدب مع خير خلق الله تعالى سيدنا محمد ﷺ ووضعه من قدر النبوة والأنبياء عموماً(2).

2 - طعنه في أولياء الله تعالى المقربين من عباده قال الإمام الفخر الرازي في هذا الشأن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(3) ما نصه: خاض صاحب الكشاف في هذا المقام وطعن في أولياء الله تعالى وكتب فيها ما لا يليق بعاقل أن يكتبه في كتب الفحش.

---

(1) راجع ص 144، ج 2، ص 162 من الكشاف.

(2) انظر تفسيره لقوله تعالى في سورة التوبة: «عفا الله عنك لم أذنت لهم» فقد قال فيه إنه كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت. من الكشاف، 2، ص 34. وفي تفسيره قوله تعالى في سورة التحريم: «لم تحرم ما أحل الله لك» يقول وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله. انتهى. من ج 3، ص 198.

(3) سورة المائدة، الآية 54.

3 ـ تهجمه على أهل السنة والجماعة ورميهم بألفاظ غير مناسبة فتارة يقول عنهم مجبرة وتارة يرميهم على سبيل التعريض بالكفر والإلحاد.

4 ـ روايته لكثير من الأحاديث الموضوعة في فضائل السور مقلداً لبعض من سبقه من المفسرين كما تقدم التنويه.

هذا وعلى الرغم مما وجه إلى الكشاف من انتقاد فإنه لا يزال موضعاً لاهتمام العلماء حتى من خصومه أهل السنة فمنهم من علق عليه وكتب عليه الحواشي الضخمة ومنهم من خرج أحاديثه ومنهم من اختصره.

ومن أشهر الحواشي التي كتب عليه:

1 ـ حاشية العلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي المتوفي سنة 743 هـ تقع في ستة مجلدات كبار[1].

2 ـ وكذلك الانتصاف للعلامة ابن المنير أحمد بن محمد المالكي المتوفي سنة 683 هـ وهي حاشية قيمة رد فيها مؤلفها على ما في الكشاف من الاعتزاليات رداً قوياً وأيد مذهب أهل السنة بأسلوب أدبي رفيع.

3 ـ تخريج أحاديث الكشاف وهي رسالة قيمة للفقيه عبدالله بن يوسف الزيلعي اهتم فيها ببيان ما في الكشاف من أحاديث مميزاً الصحيح منها من الضعيف والموضوع وكل من الانتصاف وتخريج أحاديث الكشاف ملحقان بالكشاف في بعض طبعاته وهي التي ينبغي لمن يريد الانتفاع به أن يحرص عليها لتكون حماية له من الاعتزاليات.

والله أعلم

(1) انظر التفسير والمفسرون، ج 1، ص 441.

ثانياً: الشيعة وتفسيرهم وأهم الكتب المؤلفة فيه

علمنا فيما سلف أن الشيعة فرقة إسلامية ظهرت عقب مسألة التحكيم الذي وقع بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[1] وهم قوم شايعوا الإمام علياً وبالغوا في حبه وحب آل بيت النبوة ورفعوه رضي الله عنه عن مرتبته اللائقة به كصحابي جليل.

فبعضهم كانوا يفضلونه على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويرون أنه أحق بالخلافة منهما بوصية من رسول الله ﷺ وفريق آخر منهم يرفعونه إلى درجة النبوة أو الألوهية فطاردهم وحاربهم حرباً لا هوادة فيها.

ولقد نمت فرقة الشيعة وانتشرت وتفرعت إلى عدة فروع حسب درجاتهم في الغلو في تشيعهم وانحرافهم عن طريق الإسلام الصحيح ومن أشهر فرقهم الزيدية[2] والإمامية[3] وهما الفرعان من الشيعة الذين لهم تفاسير[4] أيدوا فيها تشيعهم ومبادئهم، والإمامية فرقتان الإمامية الاثني عشرية[5] والإمامية

---

(1) وقيل أن مبدأ ظهورهم كان في آخر عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بل هناك من يقولون: إنه كان عند انتخاب الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إثر وفاة الرسول ﷺ.

(2) الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسن رضي الله تعالى عنه وهم فرقة معتدلة من الشيعة كما سيأتي.

(3) الإمامية نسبة للإمام لإكثارهم من الاهتمام به وركزوا كثيراً من تعاليمهم حوله والإمامية برفقتيها ترى أن النبي ﷺ نص نصاً ظاهراً على إمامة علي من بعده وهما من الشيعة المتطرفين المتشددين في تشيعهم.

(4) ذكر شيخنا الذهبي أنه لم يعثر على مؤلفات في التفسير لغير هاتين الفرقتين من الشيعة. انتهى من التفسير والمفسرون، ج 2، ص 5، ص الأولى.

(5) الاثني عشرية هم الذين اعتقدوا أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه موسى الكاظم ثم إلى ابنه الرضا ثم إلى ابنه محمد الجواد ثم إلى ابنه علي الهادي ثم إلى ابنه الحسن العسكري ثم إلى ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر ويزعمون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بسر من رأى وأنه سيخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض أمناً وعدلاً كما ملئت خوفاً وظلماً. الذهبي، ج 2، ص 8، ط الأولى.

:لاسماعيلية ـ الباطنية[1] وهذا الفرع الأخير ينقسم إلى عدة فرق ولكل فرقة اسم خاص بهم والكلام على جميع فروع الشيعة بالتفصيل وشرح مبادئهم والحكم عليها محله كتب الفرق والملل والنحل، والذي يعنينا هنا هو موقفهم من تفسير القرآن الكريم وما أدخلوه عليه من تحريف معانيه في تفاسيرهم التي بقيت وانتشرت وبيان قيمتها العلمية إن كانت لها قيمة.

موقف الشيعة من تفسير القرآن الكريم

ليس بمستغرب من الشيعة وهم يدعون الإسلام ويعترفون به ولو بوجه ما أن يتوجهوا إلى القرآن ويقيموا عقائدهم ومبادئهم على دعائم من نصوصه ويلتمسون في تفسيرها ما يؤيدهم ويساندهم وإن كانت بعض تعاليمهم بعيدة كل البعد عن الإسلام والقرآن.

لذا نجد بعض المفسرين منهم يؤولون ألفاظ القرآن ويحملونها على غير معانيها الظاهرة منها ويصرفونها إلى معان أخرى اخترعوها من عند أنفسهم تأييداً لباطلهم وترويجاً لمبادئهم حتى قال بعضهم: إن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومن والاهم، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفيهم وأعدائهم[2].

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيعة منهم المتطرفون الخارجون عن الإسلام كالباطنية والسبئية[3] الذين هم في الحقيقة ملحدون يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام لإبطاله والكيد لأهله[4] ومنهم المعتدلون كالزيدية ومنهم بين ذلك كالإمامية الاثني عشرية كما تقدم التنبيه وهؤلاء لهم مبادىء قرروها وبنوا

(1) الإسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق لأنهم يرون أن الأمامة انتقلت إليه بالنص من أبيه والباطنية لقب لهم لقولهم بالإمام الباطن أي المستور، أو لقولهم بأن للقرآن ظاهراً وباطناً والمراد باطنه دون ظاهره. المصدر السابق، ص 8 ـ 9.

(2) انظر اللآلىء الحسان، ص 438.

(3) اتباع عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام والتشيع وأخفى الكفر. والآلىء الحسان، ص 447 ـ 448.

(4) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي، ص 22.

عليها تفسيرهم للقرآن وأولوا آياته من اجلها ومن أهمها أمور أربعة وهي: العصمة[1] والمهدية[2] والرجعة[3] والتقية[4] وهي على سبيل الإجمال:

1 - تفسير الحسن العسكري[5] وهو أبو محمد الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد وهوالإمام الحادي عشر عند الإمامية الاثني عشرية المتوفي بسر من رأي سنة 260 هـ وتفسيره مطبوع في مجلد صغير وهوغير شامل للقرآن كله يحتوي على تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة وآيات أخرى منها.

2 - تفسير علي بن إبراهيم القمي عاش في أواخرالقرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري توفي سنة 400 هـ وتفسيره مختصر مطبوع في مجلد واحد.

3 - مجمع البيان لعلوم القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفي سنة 538 هـ وتفسيره هذا مطبوع في مجلدين كبيرين وهو يمثل تفسير معتدلي الإمامية الاثني عشرية.

4 - الصافي لمحمد بن مرتضى الشهير بملا محسن الكاشي من علماء القرن

---

(1) يقصدون من العصمة أن الأئمة معصومون من الذنوب الكبائر والصغائر في كل حياتهم ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان.

(2) يقصدون من المهدية الإمام المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض أمناً وعدلاً بعد أن ملئت خوفاً وجوراً.

(3) وأما الرجعة فهي عقيدة لازمة لفكرة المهدية ومعناها أنه بعد ظهور المهدي المنتظر يرجع النبي ﷺ إلى الدنيا ويرجع علي والحسن والحسين وكل الأئمة كما يرجع خصومهم فيقتصون منهم.

(4) وأما التقِية - بكسر القاف بعدها ياء مشددة مفتوحة ومعناها المداراة والمصانعة وهي مبدأ أساسي عندهم وجزء من الدين يكتمونه عن الناس.

(5) العسكري نسبة إلى العسكر وهي مدينة سر من رأي لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر وإنما نسب إليها الحسن لأن المتوكل أشخص أباه علياً إليها وأقام بها مدة طويلة فنسب هو وولده هذا إليها.

الحادي عشر الهجري وكتابه مطبوع في مجلد واحد كبير وهو يمثل تفسير المتطرفين من الاثني عشرية.

5 ـ البرهان لهاشم بن سليمان بن اسماعيل الحسيني البحراني المتوفي سنة 1107 هـ وتفسيره مطبوع في مجلدين.

6 ـ تفسير القرآن للمولى السيد عبدالله بن محمد رضا العلوي المتوفي سنة 1242 هـ وتفسيره هذا يجمع بين الاختصار وكثرة الفائدة وهو مطبوع في مجلد كبير.

7 ـ بيان السعادة في مقامات العبادة لسلطان بن محمد بن حيدر الخراساني من علماء القرن الرابع عشر الهجري توفي سنة 1400 هـ وهو يمثل التفسير الصوفي الفلسفي عند الإمامية الاثني عشرية.

هذه هي كتب تفسير الشيعة الإمامية الاثني عشرية وهي كتب صغيرة مختصرة ولكنها ذات قيمة وتعتبر أصولاً في عقائد الشيعة.

نماذج مقتطفة من تفاسيرهم تحتوي على المسائل التي خالفوا فيها جمهور المسلمين وامتلأت بها تفاسيرهم كتفسير الطبرسي والقمي والكاشي منها على سبيل المثال:

1 ـ قولهم بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ مباشرة وأنه أفضل من أبي بكر وعمر[1].

2 ـ يقولون ببقاء حلّيّة نكاح المتعة (وهو النكاح إلى أجل) ولا يعترفون بنسخه مع أن النسخ لهذا النوع من النكاح مجمع عليه عند عامة المسلمين[2].

3 ـ يقررون بأن فرض الرجلين في الوضوء هو المسح وليس الغسل الذي أجمع

---

(1) انظر التفسير والمفسرون، ج 2، ص 105 نقلاً عن تفسير الطبري.

(2) تفسير الطبرسي، ج 1، ص255. نقله الذهبي في التفسير والمفسرون، ج2، ص114.

عليه أصحاب المذاهب الأربعة من أئمة المسلمين[1].

4 ـ يقولون إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يورثون (تقسم أموالهم على ورثتهم بعد موتهم) كما يورث غيرهم ولا يعترفون بالحديث الصحيح في هذه المسألة ولا بإجماع الصحابة وعملهم في تركة النبي ﷺ بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى[2].

5 ـ طعنهم في صحابة رسول الله ﷺ مثل أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين[3].

وأما الاسماعلية الباطنية فليس لهم تفاسير كاملة مستقلة تنسب إليهم وإنما لهم تأويلات لبعض القرآن نقلت عنهم تدل في صراحة على الكفر والإلحاد في كتاب الله تعالى منها ما يلي:

1 ـ إن الوضوء عبارة عن موالاة الإمام[4].

2 ـ وأن التيمم عبارة عن الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة.

3 ـ والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ . . . الآية﴾[5].

4 ـ والزكاة عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين.

5 ـ والكعبة هي النبي ﷺ وكذلك الصفا.

6 ـ والباب هو علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكذلك المروة.

7 ـ والتلبية هي إجابة الداعي[6].

---

(1) تفسير الطبرسي، ج 1، ص 314 ـ 316، نقله الذهبي، ج 2، ص 119.
(2) تفسير الطبرسي، ج 2، ص 229. نقله الذهبي، ج 2، ص 126.
(3) التفسير الصافي لملا محسن الكاشي، ج 1، ص 257. نقله الذهبي، ج 2، ص 166.
(4) فسر الطهور بالتبريء والتنظيف من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام، ج 3، ص 394. من الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي.
(5) سورة العنكبوت، الآية 45.
(6) انظر الموافقات للشاطبي، ج 3، ص 395.

8 ـ والطواف بالبيت سبعاً هو موالاة الأئمة السبعة.

9 ـ والجنة راحة الأبدان من التكاليف.

10 ـ والنار مشقتها بمزاولة التكاليف.

11 ـ وإبليس وآدم عبارة عن أبي بكر وعلي لأن ابا بكر أمر بالسجود لعلي وطاعته فأبى واستكبر.

12 ـ والدجال: أبو بكر وكان أعور إذ لا ينظر إلا بعين واحدة وهي عين الظاهر.

13 ـ وياجوج وماجوج هم أهل الظاهر أي الذين يفسرون القرآن بالظاهر[1].

هذه بعض فضائحهم وترهاتهم وأباطيلهم بل قالوا أكثر من هذا وأفظع فقدحوا في جميع الأنبياء والرسول وقالوا: إن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة قال شيخنا الذهبي: إن الباطنية يوجدون في العصر الحاضر ويسمون بأسماء مختلفة ففي الهند يعرفون بالبهرة أو الاسماعيلية وزعيمهم آغا خان الاسماعيلي المعروف، وفي بلاد الأكراد يعرفون بالعلوية لقولهم علي هو الله، وفي تركيا يعرفون بالبكداشية وفي مصر جماعة منهم من أصل ألباني يقيمون في الجبل المعروف بالمغاوري ولما جاءت ثورة 23 يوليو قامت بطردهم لظهور فساد حالهم وسوء أفعالهم وكذلك طردت طائفة منهم تعرف بالبهائية وحولت مركزهم مدرسة لتحفيظ القرآن لأبناء المسلمين سنة 1961 م وكذلك توجد طائفة من الباطنية في بلاد العجم وتعرف بالبابية وفي فلسطين يعرفون بالبهائية وهناك فرقة حديثة منهم بالهند يعرفون بالقديانية[2].

---

(1) ذكرها الإمام الغزالي في كتابه فضائح الباطنية ص 13. وصاحب ال... في التفسير والمفسرون، ج 2، ص 390 ونقلها عنهما شيخنا الذهبي في التفسير والمفسرون، ...

(2) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي، ص 279. والتفسير والمفسرون، ط الأولى.

وأما الزيدية من الشيعة فهم من المعتدلين في تشيعهم لأنهم لا يتبرءون من الشيخين أبي بكر وعمر ويقولون بصحة خلافتهما لرسول الله ﷺ ولا يقولون بكفرهما ولا يكفرون أحداً من الصحابة ويقولون بأفضلية علي على أبي بكر وعمر وأنه أحق بالخلافة منهما لكنهم يجيزون إمامة المفضول مع وجود الفاضل ولهذا أقروا بخلافتهما قبله.

ولهم تفاسير متعددة تنسب إليهم معظمها في الأحكام وهي لا زالت مخطوطة لم تنشر[1] والمشهور منها تفسيران وهما:

1 ـ فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفي سنة 1250 هـ وكان رحمه الله تعالى إماماً في الحديث والتفسير والفقه وأصوله وله تآليف كثيرة في معظم هذه العلوم ومن أهمها نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار في أحاديث الأحكام وله كتاب إرشاد الثقاة إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، وكتابه هذا في التفسير كتاب جيد وجليل طبع في خمسة مجلدات يشتمل على التفسير المأثور عن السلف إلى جانب التفسير بالرأي المحمود ويهتم فيه المؤلف بالآراء الفقهية المختلفة ويناقشها ويرجح بعضها على بعض ولا يوجد فيه أثر للتشيع بل الذي يظهر عليه أنه تفسير سلفي معتدل خال من التعصب للشيعة في الوقت الذي امتلأت به كتب تفسير الشيعة سواه[2].

2 ـ الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة للشيخ يوسف الثلاثي الزيدي مؤلفه هوشمس الدين يوسف بن أحمد بن محمد الزيدي الفقيه وهو معدود

---

(1) ذكرها شيخنا الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 2، ص 283. نقلاً عن أحد علماء الزيدية في العصر الحديث وهو الشيخ القاضي محمد بن عبدالله العامري الزيدي الذي قدم إلى مصر سنة 1945 ف والتقى بالشيخ الذهبي.

(2) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 285. ط الأولى.

من فقهاء الزيدية الكبار توفي سنة 832 هـ وله تآليف منها الزهور والرياض والثمرات اليانعة هذا وهو كتاب يعتبر أجل مصنف عند الشيعة الزيدية يقع في ثلاثة مجلدات كبار يحتوي على تفسير آيات الأحكام فقط وهو لا زال مخطوطاً منه نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، وهو لا يتحرى الصحة فيما يروي من آثار في تفسيره[1].

ثالثاً: الخوارج وتفسيرهم وأهم الكتب المؤلفة فيه:

الخوارج قوم أو فرقة من أتباع الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه خرجوا عليه بسبب قبوله التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما بعد معركة صفين[2] ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفسه بالكفر لقبوله التحكيم، وإلا إذانقض ما أبرم من الشروط بينه وبين معاوية وكانوا يقولون أمامه وأمام جمهور الناس لا حكم إلا الله ولهذا حاربهم ولكنه لم يقض عليهم فدبروا له مكيدة انتهت بقتله رضي الله تعالى عنه على واحد منهم[3].

وبعده وفي عهد بني أمية وبني العباس تفرقوا وانقسموا حتى وصلت أحزابهم إلى عشرين[4] يختلفون في الأفكار والعقيدة.

وكانت لهم مبادىء ثلاثة اثنان منها مجمع عليها عندهم والثالث يقول به أكثرهم وهي:

الأول: حكمهم بالكفر على علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان والحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وكل من رضي بتحكيمهما وعلى أصحاب الجمل.

---

(1) المصدر السابق، ج 3، ص 134، ط الأولى.

(2) اسم مكان وقعت فيه معركة بين أنصار علي وأنصار معاوية كادت الهزيمة أن تحيق بأنصار معاوية لولا لجوءهم إلى التحكيم وقبله علي طلباً لحقن الدماء بين المسلمين.

(3) وهو عبد الرحمن بن ملجم الخارجي قتله غيلة في صلاة الصبح بالمسجد.

(4) انظر الفرق بين الفرق، ص 24.

الثاني: وجوب الخروج على السلطان الجائر.

الثالث: الحكم بتكفير مرتكب الذنوب من المؤمنين[1] وأشهر فرق الخوارج أربعة:

أولها: الإباضية وهم أعدل فرق الخوارج وأقر بها إلى تعاليم أهل السنة ينسبون إلى عبدالله بن أباض المقاعسي المري التميمي المتوفي سنة 80 هـ[2].

وثانيها: الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق وهم يكفرون من عداهم من المسلمين ويعاملونهم معاملة الكفار.

وثالثها: النجدات وهم أتباع نجدة بن عامر ومن مبادئهم أنهم يقولون ان الناس ليسوا في حاجة إلى إمام دائماً بل لهم أن يتناصفوا فيما بينهم بدون إمام.

رابعها: الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر وهم يقولون: إن أصحاب الذنوب مشركون.

موقف الخوارج من تفسير القرآن الكريم

من الطبيعي أن يهتم الخوارج بالتفسير ليصلوا من خلاله إلى تأيد مذاهبهم واعتقاداتهم المتعددة المخالفة لغيرهم من المسلمن غير أن الانتاج التفسيري عندهم ليس بالكثير مثل المعتزلة والشيعة[3] وهم في ما وجد لهم من تفسير نجدهم يقفون عند ظواهر الآيات السطحية ولا يتعمقون إلى المعاني

(1) المصدر السابق، ص 72. والتفسير والمفسرون، ج 2، ص 300، ط الأولى.

(2) كان معاصراً لمعاوية وعاش إلى عهد عبد الملك بن مروان وعده الشماخي من التابعين. انظر الأعلام، ج 4، ص 61. والفرق بين الفرق، ص 103.

(3) قيل إن السبب في قلة انتاج الخوارج من التفسير هو: 1 ـ لأن أغلبهم كانوا من أهل البادية الذين لا يهتمون بالكتابة والتأليف. 2 ـ انشغالهم بالحروب دفاعاً عن مبادئهم وكانت طويلة قاسية. 3 ـ لما كانوا عليه من المغالات في تحريم الكذب حتى جعلوه يخرج مرتكبه عن الإسلام لذا هم تحاشوا التفسير خوفاً من الوقوع في الكذب على الله. انتهى. التفسير والمفسرون، ج 2، ص 317، ط الأولى.

الدقيقة وينظرون إلى الآيات نظرة عفوية ويأخذون منها أحكاماً ربما كانت الآيات لا تنطبق على ما يقصدون إليه وليس لها صلة بالموضوع الذي يستدلون بها عليه ومن التفاسير التي نسبت للإباضية من الخوارج ما يلي:

1 ـ تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي من علماء القرن الثالث الهجري.

2 ـ تفسير هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث الهجري أيضاً.

3 ـ تفسير أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني من علماء القرن السادس الهجري.

4 ـ داعي العمل ليوم الأمل للشيخ محمد بن يوسف اطفيش من علماء العصر الحديث.

5 ـ هميان الزاد إلى دار المعاد للمؤلف اطفيش السابق.

6 ـ تيسير التفسير له أيضاً.

وهذه التفاسير الستة المنسوبة للخوارج بعضها لا زال مخطوطاً وبعضها ناقص لم يتمه مؤلفه والكامل منها ثلاثة وقد طبعت وهي تفسير هود بن محكم والهميان والتيسير لطفيش.

وأكتفي في التفصيل بالكلام عن هميان الزاد إلى دار المعاد: مؤلفه هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش الوهبي الإباضي من علماء الجزائر المعاصرين بلده وادي ميزاب بصحراء الجزائر كان رحمه الله من العلماء المعروفين بالزهد والورع واشتغل بالتدريس وكان من المجدين في علوم كثيرة في التفسير والحديث وأصول الفقه وعلم الكلام وعلوم العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وله تآليف في معظم هذه العلوم تربو على ثلاثمائة مؤلف من أهمها داعي العمل وهميان الزاد والتيسير في التفسير وهو مختصر من سابقه توفي رحمه الله تعالى سنة 1332 هـ وعمره ست وتسعون سنة.

وصف هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

طبع هذا التفسير في ثلاثة عشر مجلداً كباراً منه نسخة في دار الكتب المصرية وهو يعتبر أهم مرجع للتفسير عند الأباضية من الخوارج قد اعتمد مؤلفه في تفسيره على من سبقه من المفسرين على اختلاف مذاهبهم مثل الكشاف والبيضاوي وتفسير الشيخ هود بن محكم الهواري وفيه إكثار من الروايات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعة في فضائل السور وهو يحاول كثيراً في تفسيره أن يجعل الآيات إلى جانب مذهبه في المسائل التي وقع فيها خلاف بين الخوارج وغيرهم ولو كان تأويلاً متكلفاً فاسداً[1] كما ستراه في الأمثلة الآتية:

أمثلة من تفسيره:

(أ) في حقيقة الأيمان يقول عند تفسيره لقول الله تعالى وتعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2]، إن الإيمان يطلق على مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل... ثم يقول: فمن أخل بالاعتقاد وحده أو بالإقرار والعمل فهومشرك عند جمهورنا وجمهور قومنا إلى أن يقول بعد كلام طويل: ومذهب المحدثين أن انضمام العمل والإقرار إلى الاعتقاد على التكميل لا على أنه ركن، ونحن نقول: انضمامها إليه ركن وهما جزءا ماهيته[3].

(ب) رأيه في المغفرة لعصاة المؤمنين يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ... الآية﴾[4]، ولا دليل في الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها كما

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي، ج 2، ص 321.

(2) سورة البقرة، الآية 2 ـ 3.

(3) من الهيمان، ج 1، ص 200. نقله الذهبي، ج 2، ص 321.

(4) سورة البقرة، الآية 284.

زعم غيرنا لحديث هلك المصوررون[1].

(ج) ونراه يتهجم على أهل السنة القائلين بأن صاحب الكبيرة مؤمن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ... الآية﴾[2]، ونرى أقواماً ينتسبون إلى الملة الحنيفية يضاهون اليهود في قولهم: «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات»[3].

(د) في اعتداده بنفسه وفخره بأهل مذهبه وحملته على جمهور أهل المذاهب الأخرى جميعاً يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[4]، ما نصه: واعلم يا أخي رحمك الله أني استقريت هذه المذاهب المعتبرة كمذهبنا معاشر الأباضية ومذهب المالكية ومذهب الشافعية ومذهب الحنفية ومذهب الحنبلية بالمنقول والمعقول فلم أر مستقيماً منها في علم التوحيد والصفات سوى مذهبنا فإنه مستقيم خال عن التشبيه والتعطيل حججه لا تقاومها حجة ولا تثبت لها والحمد لله وحده[5].

رابعاً: الصوفية وتفسيرهم وأهم كتبه

الصوفية هم المصوفون بالتصوف وهو إرسال النفس مع الله على ما يريده[6] أو هو: فكر وعمل ودراسة وسلوك وهو موجود بهذا المعنى من عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلا أنه يعرف باسم الزهد والتقشف وما عرف باسم التصوف إلا في القرن الثاني الهجري[7] وهو قسمان نظري وعملي

(1) الهيمان، ج 3، ص 493. نقله الذهبي في المصدر السابق.

(2) سورة البقرة، الآية 4.

(3) الهيمان، ج 1، ص 228.

(4) سورة هود، الآية 112.

(5) ج 2، ص 213. نقله الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 2، ص 336، ط الأولى.

(6) دائرة المعارف للبستاني المجلد السادس، ص 133 نقلاً عن الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 3، ص 3.

(7) قيل أول من لقب في الإسلام بالصوفي هو أبو هاشم المتوفي سنة 150 هـ وهو الذي قال=

أما النظري فهو دراسة وبحث وفكر وفلسفة وأما العملي فهوا لزهد والبعد عن شهوات وملذات الدنيا. وكل من القسمين له أثر في تفسير القرآن الكريم لأن الصوفية أو المتصوفة محافظة منهم على تعاليمهم ومبادئهم يريدون أن يكون لها سند في تفسير القرآن كغيرهم من الطوائف والفرق الإسلامية فوجدناهم توجهوا إلى القرآن وأخذوا يشرحون الآيات شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذ يؤيده الشرع وتشهد له اللغة ويذهبون بها إلى معان يقولون إن الآية أو الآيات تشير إليها ومن هنا سمي تفسيرهم أحياناً بالتفسير الإشاري مثل الموجود في تفسير روح المعاني للألوسي وتفسير النيسابوري كما تقدم لنا التنبيه إلى هذا فما هو التفسير الإشاري؟ وما أصله ودليله؟ وما هي شروط قبوله؟

أما تعريفه فهو:

تفسير فيضي مبني على إشارات خفية في الآية تظهر لأرباب السلوك أو هو: تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة[1].

وأما أصله ودليله: فقد ذكر العلماء أن له أصلاً ودليلاً من عهد الصحابة واستدلوا على ذلك بأدلة متعددة منها:

أ ـ ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. . . الآية﴾[2] فرح الصحابة وبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال: ما بعد الكمال إلا النقص مستشعراً نعيه[3] ﷺ فقد أخرج ابن أبي شيبة زيادة على ما تقدم في هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لعمر: ما يبكيك؟ قال:

= عنه سفيان الثوري: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء انتهى. من اللمع لأبي نصر الطوسي، ص 42.

(1) ذكره الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 3، ص 18، ط الأولى.

(2) سورة المائدة، الآية 3.

(3) الأخبار بإنقضاء أجله عليه الصلاة والسلام.

وبها نستدل على صحة التفسير الإشاري الذي وجدناه عند كثير من المفسرين من أهل السنة وغيرهم وفيها سند وأصل لهذا اللون من التفسير.

غير أن المعاني الباطنة للقرآن لا تقف عند حد بل هي أعظم مما نتصور كما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن[1] ولعل الآية تشير إليه في قوله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2]، وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

شروط التفسير الإشاري

لما كان التفسير الإشاري منه المقبول ومنه المردود ذكرالعلماء له شروطاً فما توفرت فيه كلها فهو المقبول وما لم تتوفر فيه فهو المردود وفي ما يلي بيان للشروط التي ذكروها لقبوله وهي أربعة:

1 ـ أن لا يكون الإشاري منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم وإنما يمكن التوفيق بينها وبين الظاهر قال سعد الدين التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الأيمان ومحض العرفان[4].

2 ـ أن يكون للتفسير الإشاري شاهد شرعي يؤيده ويشهد لصحته من غير

---

(1) أي ينقر عنه ويتفكر في معانيه للسيوطي المرجع السابق.

(2) سورة الأنعام، الآية 38.

(3) سورة يوسف، الآية 111.

(4) شرح الشيخ سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية، ص 493، ط الأولى، سنة 1913 ف.

وبها نستدل على صحة التفسير الإشاري الذي وجدناه عند كثير من المفسرين من أهل السنة وغيرهم وفيها سند وأصل لهذا اللون من التفسير.

غير أن المعاني الباطنة للقرآن لا تقف عند حد بل هي أعظم مما نتصور كما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن[1] ولعل الآية تشير إليه في قوله عز وجل: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[2]، وقوله: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3].

شروط التفسير الإشاري

لما كان التفسير الإشاري منه المقبول ومنه المردود ذكرالعلماء له شروطاً فما توفرت فيه كلها فهو المقبول وما لم تتوفر فيه فهو المردود وفي ما يلي بيان للشروط التي ذكروها لقبوله وهي أربعة:

1 - أن لا يكون الإشاري منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم وإنما يمكن التوفيق بينها وبين الظاهر قال سعد الدين التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الأيمان ومحض العرفان[4].

2 - أن يكون للتفسير الإشاري شاهد شرعي يؤيده ويشهد لصحته من غير

---

(1) أي ينقر عنه ويتفكر في معانيه للسيوطي المرجع السابق.

(2) سورة الأنعام، الآية 38.

(3) سورة يوسف، الآية 111.

(4) شرح الشيخ سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية، ص 493، ط الأولى، سنة 1913 ف.

معارض/فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوي التي تدعي على القرآن والدعوى المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء[1].

3 ـ أن لا يكون للإشاري معارض شرعي أو عقلي /فإنكان له معارض مما ذكر صار من قبيل الدعاوي أيضاً فلا اعتبار له كما علمنا في الشرط الثاني.

4 ـ أن لا يدعي المفسر أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر/ بل لا بد من الاعتراف بالظاهر أولاً إذ لا يطمع أحد في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب[2] ويشهد لهذا ما قاله الشيخ ابن عطاء الله السكندري في كتابه لطائف المنن: أعلم أن تفسير هذه الطائفة يعني الصوفية لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره لكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم إفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه[3].

قال شيخنا الذهبي بعد ذكر ما تقدم هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري كان مقبولاً ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه لا وجوب الأخذ به أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية.

وأما عدم وجوب الأخذ به فلأنه من قبيل الوجدانيات والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه وسر

(1) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، ج 3، ص 394.
(2) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 4، ص 197.
(3) نفس المصدر السابق، ص 198.

بينه وبين ربه فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه دون أن يلزم به أحداً من الناس سواه[1].

أهم كتب التفسير الإشاري الصوفي

تقدم فيما سلف أن الألوسي والنيسابوري أوردا في تفسيريهما شيئاً من التفسير الإشاري إلا أن العلماء اعتبروهما من كتب التفسير بالرأي الظاهر المحمود لأن ما فيها من الإشاري قليل بالنسبة للظاهر وجاء تبعاً له والغالب فيهما الظاهر والحكم للغالب.

وأكتفي هنا بذكرالكتب التي وجه أصحابها عنايتهم بالتفسير الإشاري أو الصوفي كما يسمى عند البعض وحده كتفسير السلمي وتفسير الشيرازي أو جمع بينه وبين الصوفي النظري كالتفسير المنسوب لابن العربي أو كان الغالب فيه الإشاري وفيه شيء من الظاهر كتفسير التستري[1] وهي بالإجمال كما يلي:

1 ـ تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبدالله التستري المتوفي سنة 283 هـ

2 ـ حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد السلمي المتوفي سنة 412 هـ.

3 ـ عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي المتوفي سنة 606 هـ.

4 ـ التفسير المنسوب لابن العربي المتوفي سنة 638 هـ.

وسيكون الكلام بالتفصيل على هذه التفاسير الأربعة كلها لأنها تمثل الجوانب المشار إليها فيما سبق وهي:

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 3، ص 44، ط الأولى.

وذلك لأن التفاسير بالرأي كلها خمسة أقسام:

1 ـ قسم اختص بالتفسير الظاهر مثل الكشاف وتفسير الفخر الرازي وتفسير البيضاوي.

2 ـ وقسم أغلبه بالظاهر وفيه شيء من الإشاري كتفسير الألوسي والنيسابوري.

3 ـ وقسم جمع بين التفسير الصوفي النظري والإشاري كتفسير ابن العربي. 4 ـ وقسم أغلبه في التفسير الإشاري وفيه شيء من الظاهر كتفسير التستري.

5 ـ وقسم اختص بالكلام في الإشاري ولم يحم حول الظاهر كتفسير السلمي والشيرازي انتهى. ملخصاً من التفسير والمفسرون، ج 3، ص 45، ط الأولى.

1 ـ تفسير القرآن العظيم اسم مؤلفه هو: أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى المولود بتستر[1] سنة 200 هـ كان رحمه الله من كبار العلماء الصوفيين أصحاب الكرامات وأقام بالبصرة وتوفي بها وكتابه هذا قيل جمعه أحد تلاميذه وهو أبو بكر محمد بن أحمد البلدي من كلمات قالها التستري في مناسبات مختلفة ومما جاء فيه قوله: ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان الظاهر والباطن والحد والمطلع فالظاهر: التلاوة والباطن الفهم والحد: حلالها وحرامها، والمطلع: إشراق القلب على المراد بها فقهاً من الله عز وجل[2] وتفسير التستري هذا مطبوع في مجلد واحد صغير لأنه لم يتناول القرآن كله وإنما هو مقتصر على بعض الآيات وكان أغلبه في التفسير الإشاري وفيه الكلام في الظاهر ولكنه قليل.

2 ـ حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ولد بخرسان سنة 330 وكان من كبار علماء الصوفية وشيخهم وألف في الحديث وأخذ عنه بعض الحفاظ في الحديث مثل الحاكم أبو عبدالله وأبو القاسم القشيري وغيرهما وألف في التفسير كتابه هذا الشهير على طريقة الصوفية وهو مطبوع في مجلد واحد كبير يحتوي على التفسير الإشاري في جميع سور القرآن ولا يوجد فيه شيء من التفسير الظاهر.

3 ـ عرائس البيان في حقائق القرآن مؤلفه هو: أبو محمد روزبهان بن أبي النصر الشيرازي وكتابه هذا مطبوع في جزئين يضمها مجلد واحد كبير يحتوي على التفسير الإشاري فقط كسابقه تفسير السلمي قال الذهبي: وهو لا ينكر الظاهر ولكنه يعترف به ولذا اعتبر من المفسرين بالتفسير الإشاري المقبول.

4 ـ التفسير المنسوب لابن العربي وهو محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف عند المشارقة بابن عربي بدون

---

(1) تستر بضم التاء في أولها وإسكان السين المهملة وفتح التاء الثانية بلد من الأهواز.
(2) تفسير التستري، ص 3. نقله الذهبي في التفسير والمفسرون، ج3، ص47، ط. الأولى.

تعريف تمييزاً له عن ابن العربي القاضي صاحب كتاب أحكام القرآن المتقدم ذكره ولد بمرسية سنة 560 هـ وتوفي بدمشق الشام وهذا الكتاب المنسوب إيه في التفسير الصوفي المبني أكثره على النظرية الفلسفية المعروفة بوحدة الوجود[1] صحح العلماء أنه ليس من تأليفه بل من تأليف عبد الرزاق القاشاني الصوفي المتوفي سنة 730 هـ ونسب لابن العربي شيخ الصوفية الكبير ترويجاً له عند الناس والكتاب طبع وحده في مجلدين وطبع على هامش عرائس البيان للشيرازي وقد جمع هذا الكتاب بين التفسير الصوفي النظري، وبين الصوفي الإشاري وليس فيه شيء من التفسير بالظاهر وذكر مؤلفه في المقدمة أنه يعترف بالظاهر لأنه لا بد منه أولاً[2] وما فيه من التفسير الصوفي الإشاري أكثره من الموهم الذي لا يفهم معناه ولا تدل الآيات عليه بحال[3].

أمثلة مختلفة من التفسير الصوفي الإشاري والتفسير الصوفي النظري

أولاً من التفسير الإشاري المقبول

أ - ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] من قول سهل التستري: «فلا تجعلوا لله أنداداً» أي أضداد فأكبر الأضداد النفس الأمارة بالسوء المتطلعة إلى حظوظها بغير هدى من الله[5].

ب - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن

---

(1) مذهب ابن عربي في وحدة الوجود: أنه يرى أن الوجود حقيقة واحدة ويعد الكثرة والتعدد أمراً قضت به الحواس الظاهرة انتهى. من التفسير والمفسرون، ج 3، ص 74.

(2) من هؤلاء الشيخ الإمام محمد عبده المصري وتلميذه محمد رشيد رضا ووافقهم شيخنا الذهبي وأثبته بأدلة ذكرها في التفسير والمفسرون، ج 3، ص 67.

(3) ولهذا لا يسوغ وصف مؤلف هذا التفسير بأنه باطني وذلك لأن الباطنية ينكرون الظاهر ولا يعترفون به ويقولون أن الباطن هو المراد وحده. المرجع السابق.

(4) المرجع السابق، ج 3، ص 68. سورة البقرة، الآية 22.

(5) تفسير سهل التستري، ص14. ونقله الذهبي، ج 3، ص 25. من التفسير والمفسرون.

دِيَٰرِكُم . . . الآية﴾[1] يقول فيها السلمي: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم «أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم»، ما فعلوه إلا قليل منهم في العدد كثير في المعاني وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة[2].

ج - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[3] يقول ابن عطاء الله السكندري: القلوب الميتة بالغفلة أحييناها بالتيقظ والاعتبار والموعظة وأخرجنا منها حباً معرفة صافية تضيء أنوارها على الظاهر والباطن[4].

ثانياً من التفسير الصوفي النظري المبني على نظرية وحدة الوجود الفلسفية

أ - في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[5] يقول مؤلف التفسير المنسوب لابن العربي: ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلاً أي شيئاً غيرك فإن غير الحق هو الباطل بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك سبحانك ننزهك أن يوجد غيرك أي يقارن شيء فردا نيتك أو يثني واحداً نيتك[6].

ب - في تفسير قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[7] يقول المفسر السابق: نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا وظهورنا في صوركم[8].

---

(1) سورة النساء، الآية 66.
(2) حقائق التفسير للسلمي، ص 49. نقله الذهبي، ج 3، ص 53.
(3) سورة يس، الآية 33.
(4) حقائق التفسير للسلمي، ص 284. نقله الذهبي، ج 3، ص 31.
(5) سورة آل عمران، الآية 191.
(6) تفسير ابن العربي، ج 2، ص 141. نقله الذهبي، ج 3، ص 71.
(7) سورة الواقعة، الآية 57.
(8) تفسير ابن العربي، ج 2، ص 291. نقله الذهبي، ج 3، ص 71.

ثالثاً: من التفسير الصوفي المرفوض الذي لا تتوفر فيه الشروط السابقة في الإشاري

أ ـ ما نقل عن بعض المتوصفة أنه فسر قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] فقال: معناه من ذل من الذل ذي إشارة إلى النفس يشف من الشفاء جواب مَنع أمر من الوعي وقد أفتى شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في من فسر هذا التفسير بأنه ملحد[2].

ب ـ ما نقل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] أن لمع فعل ماض بمعنى أضاء والمحسنين مفعول به[4].

هذه أهم تفاسير المعتزلة والشيعة والخوارج والصوفية وهم الذين أطلق عليهم لقب الفرق المبتدعة وأطلق على تفسيرهم بأنه تفسير للقرآن بالرأي المذموم وقد علمت فيما عرضته من هذه الفرق وتفاسيرهم أنه في الإمكان اعتبارهم مبتدعة نظراً لأقوال المنحرفين منهم في التفسير وفي الوقت نفسه يمكننا أيضاً أن نعتبر بعضهم من المفسرين بالرأي المحمود كتفسير الزيدية من الشيعة وكالتفسير الإشاري الذي توفرت فيه شروط القبول.

والله أعلم

---

(1) سورة البقرة، الآية 255.

(2) الاتقان للسيوطي، ج 4، ص 195.

(3) سورة العنكبوت، الآية 69.

(4) مبادىء التفسير للخضري بك، ص 9. نقله الذهبي، ج 3، ص 44.

أسئلة في هذا الفصل

س 1: ما المراد من التفسير بالرأي المذموم وهل هو يختلف عن تفسير المبتدعة مبيناً من هم الفرق المبتدعة مع ذكر الذين لهم عناية بالتفسير منهم.

س 2: متى نشأت فرقة المعتزلة وعلى يد من من العلماء كانت نشأتها وهل لهم اسم أو أسماء أخرى اشتهروا بها مبيناً أصولهم التي بنوا عليها تفسيرهم مع شرحها وتوضيحها؟

س 3: أذكر المسائل المبنية على أصول المعتزلة وخالفوا فيها أهل السنة والجماعة؟

س 4: ما موقف المعتزلة من تفسير القرآن وعلى أي شيء كانوا يعتمدون في التفسير على العقل أو النقل ولماذا كان تفسيرهم من النوع المذموم مبيناً أهم المفسرين منهم بالإجمال مع ذكر تاريخ وفاتهم؟

س 5: اذكر نبذة مختصرة عن تفاسير المعتزلة التالية مبيناً فيها ما يلي:

أ ـ ترجمة موجزة للمؤلف وفيها تاريخ الوفاة.

ب ـ وصف التفسير ومميزاته وما عليه من مآخذ إن كانت وطريقته في التفسير؟ والتفاسير هي:

1 ـ تنزيه القرآن عن المطاعن. 2 ـ الكشاف. 3أمالي المرتضى؟

س 6: من هم الشيعة ومتى ظهرت هذه الفرقة مبيناً أشهر فروعها معرفاً بكل فرع منها محدداً الفرق المشتهرة بالتفسير منهم؟

س 7: اذكر موقف الشيعة من التفسير؟ ولماذا اعتبر تفسيرهم من النوع المذموم مبيناً المبادىء التي بنى عليها الشيعة تفسيرهم مع توضيحها وبيان المراد بها عندهم؟

س 8: اذكر أهم تفاسير الشيعة الاثني عشرية على سبيل الإجمال مبيناً اسم الكتاب ومؤلفه وتاريخ وفاته؟ مع ضرب أمثلة من تفسيرهم لا تقل عن أربعة مشتملة على المسائل التي خالفوا فيها جمهور المسلمين؟

س 9: فرقة الإسماعلية تسمى بالباطنية فلماذا يسمون بهذا الاسم مبيناً ما ينسب إليهم من تفسير، واذكر أسماء فرقهم الباقية إلى العصر الحاضر في البلاد الإسلامية.

س 10: من هم الزيدية وما موقفهم من تفسير القرآن مبيناً أهم تفاسيرهم إجمالاً مع تفصيل الكلام على تفسيرين منها بذكر ترجمة للمؤلف وتاريخ وفاته وخصائص تفسيره؟

س 11: من هم الخوارج ومتى نشأت فرقتهم وإلى كم حزب تفرعت الخوارج مع ذكر أهم فرقهم مبيناً مبادئهم التي فسروا القرآن على ضوئها وما هي أعدل فرق الخوارج وأقربها إلى أهل السنة؟

س 12: اذكر موقف الخوارج من التفسير ولماذا كان انتاجهم في التفسير قليلاً؟ مبيناً الفرقة منهم التي لها انتاج في التفسير وما هي تفاسيرهم بالإجمال مع تفصيل الكلام على تفسيرين؟ منها ببيان ترجمة المؤلف وذكر تاريخ وفاته ووصف التفسير ومميزاته؟ وأمثلة منها.

س 13: ما معنى التصوف ومن هم الصوفية مبيناً أقسام التصوف وما المراد من التفسير الإشاري واذكر شروط قبوله ودليله؟

س 14: اذكر أهم كتب التفسير الصوفي الإشاري مبيناً أقسام التفاسير بالرأي بالنسبة لما فيها من التفسير الإشاري والتفسير بالظاهر؟

س 15: تحدث عن أربعة من كتب التفسير الإشاري الصوفي مبيناً ما يلي:

أ ـ ترجمة موجزة للمفسر فيها تاريخ وفاته.

ب ـ اسم الكتاب.

ج ـ وصف التفسير وخصائصه؟

الفصل الرابع

التفسير العلمي للقرآن

ظهر امتزاج تفسير القرآن الكريم بالعلوم المختلفة قديماً في صدر الإسلام عند انتشار الفتوحات الإسلامية في ربوع المعمورة شرقاً وغرباً وترتب عليها أمران:

أحدهما: تسرب الفساد إلى اللغة العربية الفصحى فدخلها شيء من اللحن بسبب دخول كثير من الأعاجم في الإسلام، واختلاطهم بالعرب فاحتاج المسلمون إلى وضع ضوابط وقواعد من شأنها أن تحفظ القرآن من اللحن فنشأت من ذلك الحين علوم اللغة العربية على اختلاف أنواعها وأهدافها.

ثانيهما: ترجمة العلوم المختلفة من فلسفية وطبيعية وكونية وغيرها إلى اللغة العربية مع شيء من التهذيب أو التوضيح فكان من الطبيعي أن يشتغل العلماء المسلمون بالتوفيق بين القرآن وبين هذه العلوم التي ترجمت وأن يفسروه على ضوئها مستعينين بها أحياناً انطلاقاً من الحقيقة المقررة عند المسلمين وهي أن الإسلام ليس عدواً للعلم وإنما هو صديقه وحليفه لا كما يزعم بعض الناس المغرضين أو الجاهلين بالقرآن وعلومه.

لماذا احتاج المسلمون إلى العلوم في التفسير؟

أعتقد أن المسلمين احتاجوا إلى العلوم المتعددة في تفسير القرآن الكريم لأن تفسيره المحقق لهدايته وإعجازه لا يكون صحيحاً كاملاً إلا بتلك العلوم كلها أو بعضها، أما العلوم العربية فلظهور توقف فهم آيات القرآن عليها

وخصوصاً بالنسبة للمسلمين من أصل غير عربي.

وأما العلوم الكونية ونحوها فإن المولى عز وجل حث الأمة الإسلامية في العديد من الآيات القرآنية بشدة[1] على النظر والتفكر والتدبر في مصنوعات الله ومخلوقاته الماثلة أمام الأبصار والبصائر ليصل الناظر المتأمل في الكون إلى الإيمان بالكون ويستدل بالموجود على موجده وبالأثر على المأثر فينتفع الانتفاع الكامل بهذه المخلوقات التي خلقها الخالق وسخرها للناس، وبهذا النظر يتسنى لهم فهم هداية القرآن وإعجازه على أفضل وجه وأكمله لأن الأمة الإسلامية وخصوصاً في العصر الحاضر في حاجة ماسة إلى تفسير القرآن تفسيراً يبرز هدايته ويقيم حجته على ما أقامها هو عليه من النظر في ملكوت الله، وتعرف أسرار الكون والعمل على استخدام ظواهر الطبيعة، والإفادة بأقصى وأبلغ ما يكون في دائرة الإمكان في سبيل ترقية الحياة وإسعاد البشرية في ظل هذا الكتاب العظيم المشتمل على كثير من الآيات الكونية[2].

هذا ومن العلماء من خص التفسير العلمي بالفرع الأخير وهو الإعجاز ولهذا سمي عند هؤلاء بالإعجاز العلمي للقرآن.

وفي هذا الفصل النقاط التالية:

1 ـ تعريف التفسير العلمي للقرآن.

2 ـ موقف العلماء منه قديماً وحديثاً ـ المؤيدون له ـ المعارضون ـ المعتدلون.

---

(1) من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾. سورة الأعراف، الآية 185. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ سورة الأنبياء، الآية 30. وقوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يونس، الآية 101. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة يونس، الآية 5.

(2) قال بعضهم بأنها تزيد على الخمسمائة آية انظر القرآن العظيم هدايته وإعجازه للشيخ محمد الصادق عرجون، ص 254.

3 ـ أشهر الكتب المؤلفة فيه.

4 ـ أمثلة من التفسير العلمي لبعض الآيات الكونية.

أولاً: التعريف

اختلف العلماء الذين تعرضوا للكلام في التفسير العلمي في بيان المراد به حسب موقفهم من تأييده أو معارضته.

أما تعريف القائلين به والمؤيدين له فهو ما ذكره بعضهم بقوله هو: التفسير الذي يتحدث عن الاصطلاحات العلمية التي يشير إليها القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها أو هو: التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم والكشف عن سر من أسرار إعجازه من حيث إنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر ولكنه من عند الله خالق القوي والقدر[1] وأما المعارضون فقد عرفوه بأنه التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها[2] وقد علق المؤيدون على هذا التعريف بأن فيه تحاملاً على هذا اللون من التفسير كما يفهم من لفظ يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن مما يدل على أنه غير مقبول ومرفوض لأن الاصطلاحات العلمية متغيرة وغير ثابتة.

ثانياً: موقف العلماء منه

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي للقرآن على ثلاثة مذاهب منهم المتطرف المغالي في إثبات أن القرآن احتوى

---

(1) انظر التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 70. للدكتور أحمد عمر أبو حجر.

(2) هذا التعريف ينسب إلى الأستاذ أمين الخولي وذكره شيخنا الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 3، ص 140، ط الأولى.

على جميع العلوم صراحة أو ضمناً، ومنهم النافي المنكر لكون القرآن اشتمل أو أشار إلى هذه العلوم وإنما هو كتاب يحث على النظر والتفكير ويبين العقائد وأحكام العبادات والمعاملات تاركاً للناس أمور دنياهم يتصرفون فيها وفق ما تتفتق عنه عقولهم من اختراعات واكتشافات مكتفياً بالتحريض على العلم وتشجيع العلماء، ومنهم المعتدلون في الرأي بين هؤلاء وأولئك وفيما يلي بيان تفصيلي لهذه المذاهب أذكر فيه من قال بكل منها قديماً وحديثاً وما احتجوا به لتأييد ما ادعوه ثم أبين ما أرجحه أو رجحه العلماء منها.

أ ـ القائلون به من القدماء:

كان الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة 505 هـ هو السباق إلى هذا الاتجاه في تفسير القرآن الكريم فقد دعا إليه في كتبه[1] وبين أن القرآن منبع العلوم الدينية والدينوية كالطب والفلك وعلم التشريح، وأنه لا يفهم حقائق ما جاء في كثير من الآيات إلا من أحاط بتلك العلوم وقال: هذه العلوم التي عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له وأن البحر لو كان مداداً لكلمات الله لنفذ البحر قبل أن تنفد، فمن أفعال الله تعالى الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2] وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله، وعلامات الشفاء وأسبابه، ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[3] وقال: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ

---

(1) في كتابه أحياء علوم الدين في الباب الرابع من الجزء الثالث وكذلك في كتابه جواهر القرآن.
(2) سورة الشعراء، الآية 80.
(3) سورة الرحمن، الآية 5.

وَٱلْحِسَابَ﴾[1] وقال: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[2] وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[3] وقال: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[4]، ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض وهو علم برأسه، ولا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[5] إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها[6] وقد اعتنق هذه الفكرة بعد الغزالي الإمام الفخر الرازي المتوفي سنة 606 هـ وطبقها أو حاول تطبيقها عملياً في كتابه في التفسير ـ مفاتيح الغيب فملأه بمختلف العلوم والمعارف الإنسانية التي كانت سائدة في عصره شارحاً مسائلها مبيناً الحكمة الكامنة وراء كل آية قرآنية تتحدث في تلك الموضوعات[7].

كذلك نجد من بين القدامى الذين قالوا: إن القرآن حوى كل العلوم الإمام بدر الدين الزركشي المتوفي سنة 794 هـ فقد نقل في كتابه البرهان في علوم القرآن أمثلة عن أسلافه في التفسير العلمي قائلاً: إن بعض العلماء استنبطها من القرآن، وقال: وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى[8] ومن القائلين به والداعين إليه بحماس

---

(1) سورة يونس، الآية 5.
(2) سورة القيامة، الآيتان 9 ـ 8.
(3) سورة الحديد، الآية 6.
(4) سورة يس، الآية 38.
(5) سورة الإنفطار، الآيتان 6 ـ 8.
(6) جواهر القرآن للغزالي، ص 32 ـ 33. نقله الذهبي في التفسير والمفسرون، ج 3، ص 143، ط الأولى.
(7) دراسات في أصول التفسير محسن عبد الحميد، ص 146.
(8) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج 2، ص 181.

الإمام العلامة جلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911 هـ فقد أكد ما جاء عن الغزالي في كتابه الإتقان في علوم القرآن في النوع الخامس والستين ويتوسع فيه كثيراً ويستدل بالآيات والأحاديث والآثار على أن القرآن مشتمل على كل العلوم[1] ومن الآيات التي استدل بها قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[3] ثم ختم كلامه بعبارة عامة شاملة قائلاً: وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى.

ومن القائلين بالتفسير العلمي من القدامى الإمام ابن أبي الفضل المرسي المتوفي سنة 600 هـ[4] الذي أوضح في تفسيره أن في القرآن علوم الأولين والآخرين وذكر مع الاستلال علوماً كثيرة منها العلوم الدينية واللغوية ومنها علم الطب والهيئة والهندسة والجدل والجبر والمقابلة والنجامة وأصول الصنائع وأسماء الآلات وغير ذلك[5].

ثم علق شيخنا الذهبي على أقوال المؤيدين للتفسير العلمي بعد ذكر ما تقدم عنهم فقال: إن فكرة التفسير العلمي بدأت في أول الأمر عبارة عن محاولات يقصد منها التوفيق بين القرآن وما جد من العلوم، ثم وجدت الفكرة مركزة وصريحة على لسان الغزالي وابن العربي[6] والمرسي والسيوطي وقد

---

(1) انظر الإتقان في علوم القرآن، ج 4، ص 24 ـ 30.

(2) سورة الأنعام، الآية 38.

(3) سورة النحل، الآية 89.

(4) هو شرف الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي الضرير المولود في سنة 570 هـ له كتاب في التفسير يزيد على العشرين جزء. الأعلام، ج 6، ص 233.

(5) راجع الإتقان للسيوطي، ج 4، ص 29.

(6) ذكره السيوطي في الاتقان ضمن القائلين بالتفسير العلمي وذكر أن القرآن حوى 77450 علماً.

طبقت عملياً وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي ضمن تفسيره للقرآن[1] هؤلاء هم القائلون بالتفسير العلمي قديماً وأما القائلون به في العصر الحديث فهم كثيرون منهم الشيخ طنطاوي جوهري والشيخ عبد الرحمن الكواكبي والدكتور عبد العزيز إسماعيل والشيخ محمد عبده المصري والشيخ عبد الرزاق نوفل وهؤلاء معظمهم لهم كتب في التفسير العلمي سيأتي ذكرها. هذا وقد أجمل بعض العلماء آثار دراسة هؤلاء وأولئك في نقاط مبيناً غرضهم من هذه الدراسة وسببها وهي كما يلي:

1 - إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية ما يحويه أو يرمز إليه من العلوم الكونية.

2 - دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين ببيان أن القرآن حث على العلم والبحث والنظر الفكري وأهاب بالناس أن يفعلوا ما ذكر ليتمكنوا من الانتفاع بما أودعه الله في الكون لصالحهم ولم يقف كغيره من تعاليم الديانات الأخرى حجر عثرة في سبيل التقدم العلمي والرقي الفكري[2].

3 - فيه حث للمسلمين على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه، وفتح لعيونهم على مظاهر قدرة الله في مخلوقاته الأمر الذي من شأنه أن يملأ النفوس إيماناً بعظمة الخالق عز وجل عندما يقف المطلع في التفسير العلمي على دقائق المخلوقات، وخواص الأشياء كما تصورها علوم الكون المتنوعة.

4 - مسايرة البشر في أفكارهم وابتكاراتهم بتفسير القرآن لهم تفسيراً يشبع رغباتهم ويسد حاجاتهم من الثقافة العلمية المفيدة.

5 - استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال هذا المسلك العلمي في تفسير القرآن حيث نرى الكثير من هؤلاء الناس لا يخضعون إلا له دون سواه.

---

(1) انظر التفسير والمفسرون، ج 3، ص 150، الطبعة الأولى.
(2) وهي في الغالب من الكتب المحرفة المبدلة وليست المنزلة من الله تعالى.

6 ـ الإيمان بأن القرآن كتاب غني بكل ما يحتاج إليه البشر من ألوان السعادة الروحية[1].

ب ـ المعارضون للتفسير العلمي

المتزعم لهذا الفريق من القدامى الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المتوفي سنة 790 هـ الذي يقول في كتابه الموافقات ما نصه: ما تقرر أن هذه الشريعة أمية، وأنها جارية على مذهب أهلها وهم العرب ويبنى عليه قواعد منها:

أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف وغيرها مما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح[2] ثم يقول فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد في شيء من هذا المدعي إلا ما ثبت فيه من أحكام التكليفي وأحكام الآخرة وما يلي ذلك ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا نعم تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب أو ما ينبىء على معهودها مما يتعجب منه أول الألباب ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا[3].

ثم أشار الشاطبي إلى بعض حجج المؤيدين ليردها فقال: وربما استدلوا

---

(1) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني، ج 1، ص 568.
(2) الموافقات للشاطبي، ج 2، ص 79.
(3) المصدر السابق، ص 80.

على دعواهم بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1]. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2] ونحو ذلك ثم يقول في الرد: فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد أو المراد بالكتاب في الآية الأولى: اللوح المحفوظ ولم يذكروا ما يقتضي تضمنه بجميع العلوم النقلية والعقلية[3].

ومن العلماء المعاصرين الذين حبذوا مذهب الشاطبي شيخنا الذهبي قائلاً بعد ذكر كلام الشاطبي: أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي رحمه الله تعالى لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية لا يعتريها الضعف ولا يتطرق إليها الخلل، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أدلة سديدة دامغة لا تلبث أمامها حججهم ولا يبقى معها مدعاهم[4].

وكذلك الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت الذي عارض المتطرفين في التفسير العلمي وأنكر عليهم فقد نقل عنه الأستاذ محمد رجب البيومي في مجلة الأزهر الشريف رداً مقنعاً على هؤلاء وقال الشيخ في ختام حديثه فلندع للقرآن عظمته وجلالته ولنخلع عليه قدسيته ومهابته ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول[5].

---

(1) سورة الأنعام، الآية 38.

(2) سورة النحل، الآية 89.

(3) الموافقات مصدر سابق.

(4) التفسير والمفسرون، ج 3، ص 157.

(5) مجلة الأزهر الشريف المجلد 32 لسنة 1960 م، ص 463. وكذلك وجدنا من المعارضين له في العصر الحديث الأستاذ أمين الخولي وعباس محمود العقاد والشيخ محمد الزرقاني والدكتور علي عبد الواحد وافي وغيرهم.

ج ـ المعتدلون في القول بالتفسير العلمي للقرآن

ظهر هؤلاء في العصر الحاضر بعد اطلاعهم على مذهب المغالين في هذا اللون من التفسير الذين تطرفوا إلى حد بعيد كاد يخرجهم عن هداية القرآن وما يرمي إليه، وعلى رأي معارضيهم المنكرين له بالمرة وخرج المعتدلون برأي وسط بين هؤلاء وأولئك يأخذ من كليهما في حدود تتفق مع المعقول ولا تخالف ظاهر المنقول من غير غلو ولا إنكار وهؤلاء كثيرون منهم الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ محمد عبدالله دراز والشيخ وحيد الدين خان والشيخ مصطفى صادق الرافعي والدكتور محمد أحمد الغمراوي والدكتور محمد جمال الدين الفندي والدكتور محمد أحمد الاسكندراني وأغلب هؤلاء ألفوا كتباً في التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي للقرآن كما سيأتي.

د ـ المرجح من هذه المذاهب:

بعد اطلاعي على مذهب المتطرفين في القول بالتفسير العلمي ومذهب المنكرين ووجهة نظر كل منهما رأيت أنه من الصواب أن لا أميل مع المؤيدين المغالين ولا مع النافين المنكرين والذي ينبغي الاعتماد عليه هو المذهب الوسط المعتدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط إذ ما دام القرآن كلام الله والكون خلق الله فلا بد أن تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم وفي الوقت نفسه لا ينبغي ربط الآيات بالفروض أو النظريات العلمية لأنها كما تكون قابلة للصحة فهي محتملة للنقض والبطلان.

قال الشيخ محمد مصطفى المراغي: إن حقائق العلم لا تتنافى أبداً مع القرآن ولكن النظريات العلمية التي لم تستقر بعد بأدلة يقينية ثابتة قد تختلف: ويروى عنه أيضاً في الدعوة إلى الاعتدال قوله: لا ينبغي أن نجرالآيات القرآنية إلى العلوم الكونية لكي نفسرها بها ولا العلوم إلى الآية كذلك، ولكن إذا اتفق

ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها[1].

وينبغي أن نقول للمعارضين: إن الحقيقة العلمية إن لم يكن في القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعاً ما يعارضها نعم قد يكون هناك خلاف بين الآيات والنظريات العلمية التي لم تصل إلى مستوى الحقائق كما نقلت سابقاً عن الشيخ المراغي[2].

هذا وقد ذكر بعض العلماء شروطاً ينبغي مراعاتها لتكون معياراً لما يقبل وما يرد من التفسير العلمي وهي:

1 ـ أنه لا ينبغي في فهم القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمله على مجازه لأن مخالفة هذه القاعدة الأصلية قد أدى إلى كثير من الخلط في التفسير وخصوصاً في العلمي.

2 ـ إنه ينبغي أن لا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالنظريات ولا بالفروض لأن الحقائق هي سبيل التفسير الحق[3] كما علمنا سابقاً.

---

(1) انظر مجلة الأزهر الشريف المجلد 32 لسنة 1960 م، ص 41. مقال للشيخ محمد رجب البيومي.

(2) الفرق بين الفرض والنظرية العلمية وبين الحقائق العلمية يتلخص في النقاط التالية:
1 ـ أما الفرض فهو عبارة عن رأي يحاول به الباحث تفسير ظاهرة من الظواهر وهو قابل للصحة والبطلان والتعديل.
2 ـ وأما النظرية فهي فرض علمي خضع لتجارب واختبارات متعددة، ونتائج تلك التجارب والاختبارات إذا تكاثرت وتنوعت أصبح الفرض نظرية علمية.
3 ـ وأما الحقيقة العلمية فهي تكون فيما إذا توفرت النتائج المساندة للنظرية حتى أصبحت مقطوعاً بصحتها وغير قابلة للشك صارت حقيقة علمية وهي أصلب أرضية تقف عليها أقدام الباحثين من التفسير العلمي في الميزان، ص 85 بتصرف واختصار.

(3) مجلة الأزهر الشريف المجلد 32 لسنة 1960 م من مقال للشيخ محمد رجب البيومي، ص 460 ـ 461.

3 - لا بد في التفسير العلمي من جمع جميع الآيات الواردة في الموضوع المبحوث عنه حتى يستطيع الباحث أن يتوصل إلى الحقيقة كاملة كما فعل الأستاذ حنفي أحمد عندما أراد أن يدقق معنى الضياء والنور[1].

4 - يجب الوقوف عند الإطار العام لمعنى الآية وترك ذكر التفاصيل والاستطرادات حتى لا يخرج المفسر عن دائرة التفسير كما فعل الدكتور الغمراوي في تفسير قوله تعالى: «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» فهو لم يخرج عن الإطار العام لحركة الشمس في ضوء العلم الحديث[2].

5 - ينبغي أن يكون استنباط القضايا العلمية إما من صريح النص أو من إشارات قوية واضحة كما أخذ أحد العلماء من صريح الآيات أن الله تعالى خلق الشمس لهباً متقداً مضيئاً[3].

ثالثاً أشهر الكتب المؤلفة في التفسير العلمي:

أما القدامى الذين تكلموا في التفسير العلمي للقرآن فلم نجد لهم كتباً مستقلة في هذا اللون من التفسير أللهم إلا ما تناوله الإمام الفخر الرازي في تفسيره أو ما ذكره الغزالي والسيوطي في كتابيهما تبعاً لغيره وليس مستقلاً كما علمنا فيما سلف.

وأما في العصر الحديث فقد وجدت تآليف كثيرة تحمل عناوين متعددة مختلفة وهي على سبيل الإجمال وشيء من التفصيل في بعضها كما يلي:

1 - طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد للشيخ الرحالة عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي المتوفي 1320 هـ 1902 م وهو من رجال الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث وفي هذا الكتاب يقرر: أن القرآن الكريم قد

---

(1) انظر التفسير العلمي للآيات الكونية للدكتور حنفي أحمد، ص 145.

(2) انظر الإسلام في عصر العلم للدكتور محمد الغمراوي، ص 229.

(3) وهو الأستاذ حنفي أحمد في كتابه التفسير العلمي للآيات الكونية، ص 38.

اشتمل على النظريات العلمية التي وجدت وأنها تؤيد إعجاز القرآن الكريم[1].

2 ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للشيخ مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي المتوفي سنة 1356 هـ 1937 م.

3 ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري المصري المتوفي سنة 1358 هـ وهو تفسير مطول واسع يقع في 25 جزء من الحجم الكبير أكثر فيه المؤلف من شرح الحقائق والنظريات العلمية، ويمزجه بكثير من العلوم الكونية التي ظهرت حديثاً وقد اعتنى فيه عناية فائقة بالآيات المصرحة والمشيرة إلى نعم الله على عباده في الكون من شمس وقمر وأرض وأنهار وجبال ونجوم وحيوانات ومعادن وغيرها وتراه كثيراً ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون ويحثهم على العمل بما فيها ويندد بمن يغفل عن هذه الآيات على كثرتها ويقف عند آيات الأحكام على قلتها بالنسبة لتلك.

4 ـ الإسلام والطب الحديث والتفسير العلمي فيه، للدكتور عبد العزيز اسماعيل باشا المتوفي سنة 1362 هـ 1942 م. وهو يقول في كتابه هذا: ينبغي أن لا يطبق من العلوم على الآيات القرآنية إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يقبل الشك، وهو يحاول فيما كتب أن يوفق بين بعض الآيات القرآنية وبين ما أثبته الطب الحديث[2].

5 ـ التفسير العلمي للآيات الكونية للأستاذ حنفي أحمد مطبوع في مصر طبعته دار المعارف في مجلد كبير قال في بدايته: وموضوع هذا الكتاب كما ينم عنه اسمه ذو أهمية بالغة لأنه يبحث في تصوير القرآن للكائنات تصويراً

---

(1) التفسير العلمي للقرآن في الميزان للدكتور أحمد عمر أبو حجر، ص 189 ـ 198.
(2) التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 189 ـ 198 مصدر سابق.

يكشف عن دقيق معانيه ويبين ما فيه من آيات الإعجاز الدالة على صدق وحيه وسمو رسالته[1].

6 ـ «الله والعلم الحديث ـ الإسلام والعلم الحديث ـ القرآن والعلم الحديث» هذه كتب ثلاثة للدكتور عبد الرزاق نوفل وهي كلها تدور حول التفسير العلمي للقرآن يقول المؤلف في أحدها: إن البشرية وجدت في القرآن الكريم أوجه الإعجاز المختلفة البيانية والتشريعية والخلقية والإنسانية وفي عصر وجد العلماء في آياته الشريفة معجزة علمية ضخمة يكفي لأن ينشر بها الإسلام في أوساط العلم والعلماء وفي كل مكان لا يعرف في أهله لغة القرآن[2].

7 ـ الإسلام في عصر العلم ـ الدين والرسول والكتاب ـ للدكتور محمد أحمد الغمراوي مطبوع في مجلد واحد كبير بمطبعة دار السعادة سنة 1393 هـ.

8 ـ تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية. للشيخ محمد بخيت المطيعي وكان رحمه الله تعالى من المعتدلين في القول بالتفسير العلمي للقرآن الكريم

8 ـ كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجوهر المعدنية للطبيب محمد بن أحمد الاسكندراني ألف هذا الكتاب في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء في مصر سنة 1279 م.

10 ـ الكون بين العلم والدين للدكتور محمد جمال الدين الفندي طبع هذا الكتاب في مجلد صغير بمطابع الأهرام 1972 م.

---

(1) التفسير العلمي للآيات الكونية، ص 5.
(2) التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص 207.

رابعاً: أمثلة من التفسير العلمي للقرآن

1 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾[1] المراد من الإنسان أي إنسان مكذب بالوحي ومنكر للبعث، وبلى يجاب بها الكلام المنفي لإثباته، البنان: أطراف الأصابع والمعنى أن الله تعالى قادر على إعادة جسم الإنسان إلى سابق حالته بعد موته وانحلال أجزائه حتى ألطفها حجماً وأدقها تركيباً وهو البنان[2] ولعل الحكمة من تخصيص البنان بالذكر دون باقي أعضاء الإنسان مع أن المناسبة بين السؤال[3] والجواب تقتضي أن يكون الجواب: بلى قادرين على أن نسوي عظامه وقد أوضح الحكمة وأجاب عن هذا السؤال علم تحقيق الشخصية (وهو علم حديث) بأن أدق ما في البنية الإسانية تسوية البنان لأننا لا نجد بناناً في إنسان يشبه بناناً في إنسان آخر ولهذا حكموه في حوادث الجرائم الغامضة مستدلين به على المجرم الذي قد يترك بصماته على أشياء في مكان الجريمة فإنه يؤتي بخبراء البصمات فيصورونها ويكبرونها ويقارنها رجال الأمن على بصمات المشبوهين والمشهورين بالإجرام فيستدلون على المجرم الحقيقي.

2 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ..... الآية﴾[4] أخذ العلماء من هذه الآية دليلاً على دوران الأرض (وهو ثابت في العلم الحديث) وذلك لأن معناها أننا حين نرى الجبال نظنها بحسب ما يتراءى لنا ساكنة وهي في الواقع ونفس الأمر تمر مر السحاب وتسير سيراً حثيثاً وما ذاك إلا لأن الأرض متحركة بحركة سريعة

---

(1) سورة القيامة، الآيتان 3 ـ 4.

(2) تفسير ج، تبارك للشيخ عبد القادر المغربي، ص 106.

(3) المفهوم من قوله: أيحسب الإنسان، وقد ورد أنه وجه إلى النبي [illegible] المشركين يعني بعث [illegible] وهو عدي بن ربيعة فقال: أيمكن أن يجمع الله العظام؟

(4) سورة النمل، الآية 88.

جداً[1] والجبال تسير وتتحرك تبعاً لها، ولا يصح أن تكون الأرض ساكنة والجبال تسير وإلا لانفصلت عنها ولا يصح أن يكون هذا عند نفخة الصعق وقيام القيامة لأنه في ذلك اليوم لا وجود للجبال على حالتها العادية التي تكون فيها محلاً للنظر في ذلك الصنع المتقن ليزداد الناظر إيماناً ويقيناً وهو موضوع الآية.

3- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾[2] فقد ذكر العلماء في ضمنه أنه قد ثبت أن الرياح تقوم بعملية تذكير النبات بنقل مواد التلقيح من ذكوره إلى إناثه فإن في النخيل والنباتات والفواكه ذكورة و«أنوثة ولا تبلغ تمام نضجها إلا بحصول هذا التلقيح الذي تقوم به الرياح أحياناً وقد ثبت عملياً أنه إذا كان ذكور النخل قريباً من إناثها فإنه يستغني بهذا القرب وعمل الرياح عن قيام الإنسان بنفسه بنقل مواد التلقيح من الذكور إلى الإناث[3].

4- في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[4] ففي هذا التشبيه الوارد في هذه الآية دلالة واضحة على ما ثبت علمياً في عصور متأخرة: أن الصعود إلى أعلى في طبقات مرتفعة تزيد على عشرة كيلو متراً يصحبه ضيق في التنفس حتى يصل إلى درجة الاختناق بسبب عدم وجود الأكسجين اللازم لعملية تنفس الإنسان والحيوان ولهذا يأخذ الطيارون الذين يصعدون إلى طبقات عالية أنابيب الأكسجين معهم لفتحوا واستنشاقها عند اللزوم[5].

---

(1) وهو دوران الأرض حول محورها وتقدر سرعتها بأن أي نقطة على خط الاستواء في الأرض تلف بسرعة 1680 كيلومتراً في الدقيقة الواحدة.

(2) سورة الحجر، الآية 22.

(3) المنهج القويم في تفسير القرآن الحكيم لشيخنا الدكتور عبد الغني الراجحي، ص 19.

(4) سورة الأنعام، الآية 125.

(5) المنهج القويم في التفسير القرآن الحكيم مصدر سابق.

5 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[1] فقد ذكر العلماء أن في الآية إشارة إلى حقيقة علمية قررها العلم الحديث وهي: أن الجسم الكروي إذا قابل مخروطاً ضوئياً في نقطة معينة فإن الجزء المقابل للضوء يكون بمقدار الجزء المختفي عن الضوء تماماً وهذا هو الوضع في الكرة الأرضية ومقابلتها لضوء الشمس الذي جعله البعد الشاسع مخروطياً فكان نصف الكرة دائماً أبداً مضيئاً ونصفها الثاني دائماً أبداً مظلماً والنصف المضيء هو النهار، والنصف المظلم هو الليل فلا يطغى هذا على ذاك بحال من الأحوال[2].

6 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[3] فإن معناها يتعلق به معنى علمي جديد خلاصته: أن الأرض كانت جذوة نار انفصلت من الشمس ووقفت مستقرة في مكانها الذي هي فيه ثم أن الله جلت قدرته بعوامل طبيعية أهمها الماء جعل وجه الأرض بارداً صالحاً للحياة فوقه ووجه الأرض ثلاثة أرباعه ماء ولولا هذه النسبة ما صلحت الأرض للحياة فوقها ولا زال باطن الأرض ملتهباً حاراً ساخناً كما تشهد بذلك عملية الزلازل والبراكين التي تحدث من حين إلى آخر[4].

(1) سورة يس، الآية 40.
(2) المصدر السابق.
(3) سورة الأنبياء، الآية 30.
(4) المنهج القويم في تفسير القرآن الحكيم، ص 20.

أسـئلة في هذا الفصل

س 1: متى ظهر امتزاج تفسير القرآن بالعلوم المختلفة، وما السبب في احتياج المسلمين للعلوم المتعددة في تفسير القرآن الكريم؟

س 2: ما المراد من التفسير العلمي للقرآن على رأي المؤيدين والمعارضين له مبيناً مواقف العلماء من هذا اللون من التفسير على سبيل الإجمال؟

س 3: من هم القائلون بالتفسير العلمي من العلماء المتقدمين مع ذكر ما نقل عن بعضهم في تأييده والدعوة إليه؟

س 4: من هم القائلون به والمؤيدون له في العصر الحديث مبيناً آثار دراسة العلماء لهذا اللون من التفسير عموماً؟

س 5: من هم المعارضون للتفسير العلمي من القدامى مع ذكر ما نقل عن بعضهم في معارضته وكيف قاموا بالرد على المؤيدين؟ مبيناً من عارضه من المحدثين؟

س 6: من هم المعتدلون في الدعوة إلى التفسير العلمي واذكر أربعة منهم مبيناً المذهب المرجح من المذاهب الثلاثة فيه مع التوجيه؟

س 7: اذكر الشروط المعتبرة في التفسير العلمي مع ذكر ما لا يقل عن خمسة من الأمثلة الواردة من التفسير العلمي مع التوضيح ثم اذكر أهم الكتب المؤلفة في التفسير العلمي للقرآن وذكر أسماء مؤلفيها؟

والله الموفق إلى كل خير

الفصل الخامس
التفسير وألوانه في العصر الحاضر

تمهيد: ظهرت ألوان للتفسير في العصر الحديث يجدر بالباحثين أن يطلعوا عليها وهي بالإجمال

1 ـ اللون الأدبي الاجتماعي.

2 ـ اللون العلمي.

3 ـ اللون المذهبي.

4 ـ اللون الإلحادي.

وقد علمنا فيما سلف بشيء من التفصيل والتوضيح ما يتعلق بأحوال التفسير ومناهج المفسرين منذ نشأته حتى نهاية القرن الثامن الهجري بداية بالرواية والنقل المحض حتى جاء عصر اعتمد فيه المفسرون على النظر العقلي وإعمال الفكر في فهم القرآن[1] وقد يستعين بعضهم بالرواية والنقل في كثير من الأحيان وقد مرت بنا نماذج من التفسير المتعددة المختلفة في مناهجها وأساليبها في العصور السابقة وقد وفي أصحابها بما ينبغي في جميع مناحي التفسير وتوسعوا فيه إلى حد جعل من يأتي بعدهم ويطلع على ما كتبوا يحصل على ما يريد الوصول إليه في هذا الشأن بكل يسر وسهولة[2] ولم يبق للمتأخرين كثير

(1) اعتقد أن هذا الاعتماد كان أول ظهوره على بدء علماء اللغة كالفراء والزجاج والفارسي ونحوهم ونما واشتهر عند الزمخشري.

(2) من الذين توسعوا في التفسير الإمام الرازي والألوسي والقرطبي وأبو حيان ونحوهم.

عمل في الموضوع اللهم إلا الجمع أو الشرح أو الاختصار أو التعليق بكتابة الحواشي والهوامش على التفاسير السابقة أما في العصر الحاضر فقد تحرر المفسرون من الركود الذي أصاب التفسير قبيل عصرهم فنظروا في كتاب الله تعالى نظرة جديدة متميزة ـ وفيها اعتماد على ما دونه الأوائل في التفسير ـ أثرت هذه النظرة في الاتجاه التفسيري المهتم بالعمل على التخلص من الاستطرادات العلمية وعلى تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وتمحيص ما فيه من أحاديث بإبعاد ما فيها من ضعيف أو موضوع عن رسول الله ﷺ أو على صحابته الكرام، وألبسوا التفسير ثوباً جديداً أدبياً اجتماعياً يظهر روعة القرآن ويكشف عن مراميه الدقيقة ومقاصده السامية، وحاولوا التوفيق بجهد بالغ بين القرآن وبين ما جد من نظريات علمية صحيحة على تفاوت بين الموقفين من تطرف أو اعتدال كما سلف[1].

وهناك اتجاهات أخرى ظهرت لعوامل مختلفة غير الأدبي الاجتماعي والعلمي كاللون المذهبي والإلحادي المبني على حرية الرأي الفاسد فأما الاتجاه العلمي فقد عرضت منه ما فيه الكفاية في الفصل السابق، وأما الأدبي الاجتماعي فهو الذي سأتعرض له بشيء من التفصيل في هذا العصر وأما المذهبي فهو موجود في العصور السالفة وقد بقي منه شيء بقدر ما بقي من المذاهب في العقائد أو الفروع معظمه يتمثل في تفسير آيات الأحكام بأسلوب عصري جديد وأما اللون الإلحادي فلم يكن غرضي من ذكره سوى تنبيه المشتغلين بالتفسير والباحثين إلى خطره وتحذيرهم من الوقوع في حبائله.

التفسير الأدبي الاجتماعي وأهم الكتب المؤلفة فيه:

أحب أن أنبه هنا على أن ما سأذكره من المؤلفات ليست كلها من هذا اللون من التفسير بل إن بعضها يعتبر من التفسير بالرأي المحمود العام غير أنه بأسلوب عصري جديد مثل تفسير القاسمي وتفسير محمد الطاهر بن عاشور.

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 496 بتصرف.

أولاً: تفاسير المنتسبين إلى مدرسة الإمام محمد عبده المصري[1] التفسيرية وهم:

1 ـ تلميذ الإمام الشيخ محمد رشيد رضا: أصله من طرابلس الشام ولد سنة 1282 هـ وتوفي بمصر 1354 هـ وهو أخص تلاميذ الشيخ به ومؤلف التفسير الشهير بتفسير المنار[2] والمسمى بتفسير القرآن الحكيم الذي تأثر في تأليفه بما استفاده من دروس الإمام شيخه التي كان يلقيها على تلاميذه ومريديه بالجامع الأزهر فقد كان الإمام يقول: صاحب المنار ترجمان أفكاري[3] ويقال: إنه متحد معه في العقيدة والفكر والرأي والخلق والعمل وتفسيره هذا من التفاسير القيمة الجيدة وخصوصاً من الناحية الأدبية الاجتماعية ويحتوي على عشرة أجزاء ابتداء من أول سورة الفاتحة إلى الآية 101 من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام وهو مطبوع متداول وكذلك نجد للشيخ الإمام محمد عبده انتاج من التفسير منه آيات متعددة من سورة النساء وسورة الحج وسورة الأحزاب وتفسير جزء عم كامل مطبوع في جزء مستقل[4].

2 ـ الشيخ محمد مصطفى المراغي المتوفي سنة1364 هـ وهو من المتأثرين بمدرسة الإمام محمد عبده في التفسير ورغبته في الإصلاح والعمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي ألصقت به فقد تربى هذا الرجل في مدرسة الإمام وتخرج منها وهو يحمل بين جنبيه قلباً مليئاً بالرغبة في الإصلاح الذي ظهر جلياً في دروسه التفسيرية التي كان يلقيها في المناسبات المختلفة وهي وإن لم تتناول القرآن كله بالتفسير ولكنها تناولت آيات عديدة لها صلة

---

(1) ولد الإمام محمد عبده سنة 1848 وتوفي سنة 1905 م.

(2) أخذ اسمه هذا من مجلة المنار التي كانت تنشره تباعاً وكان أول صدورها سنة 1315 هـ انظر التفسير والمفسرون، ج 2، ص 577.

(3) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 498.

(4) طبع بمطابع الشعب بمصر انتهى من تأليفه سنة 1903 بجنيف من بلاد سويسرا.

بالحياة الاجتماعية منها على سبيل المثال الآية 177 من سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ...﴾. والآيات 133 ـ 138 من سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ...﴾ الآيات.

والآيتان 13، 14 من سورة الشورى من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك... الآيتان وكذلك سورة الحجرات بأكملها والشيخ رحمه الله كان يعتمد في تفسيره على من تقدمه من المفسرين فقد روي عنه قوله: متحدثاً عن تفسيره: ما هو إلا ثمرات من غرس أسلافنا الأقدمين وزهرات من رياضهم[1] ولم يكن الشيخ متحاملاً على المفسرين قبله بل كان عفيف اللسان محترماً لمن تقدمه من المفسرين.

3 ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي المتوفي سنة 1371 هـ وهو من المفسرين الذين تأثروا بمدرسة الإمام محمد عبده الإصلاحية في التفسير أيضاً فقد ذكر في مقدمة تفسيره المشهور باسم: (تفسير المراغي) أنه اعتمد على معظم التفاسير القديمة ويذكر من بينها تفسير المنار قائلاً وهو تفسير مقتبس من دروس الأستاذ الإمام محمد عبده ويقول ولقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء التي فسرها[2].

وتفسير المراغي هذا تفسير كامل للقرآن كله يحتوي على ثلاثين جزءاً على عدد أجزاء القرآن وهو مطبوع متداول بين العلماء.

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 595.
(2) تفسير المراغي، ج 1، ص 22.

طريقة المفسرين المنتسبين إلى مدرسة الإمام

وهي تتلخص في النقاط الموجزة التالية:

1 ـ أنهم فسروا القرآن تفسيراً بعيداً عن التأثر بمذهب معين.

2 ـ أنهم وقفوا من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير[1].

3 ـ أعرضوا عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولم يلتفتوا إليها.

4 ـ أبعدوا تفسيرهم عن اصطلاحات العلوم والفنون المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وفقه وغيرها ولم يأخذوا منها إلا ما دعت إليه الحاجة الماسة والضرورة القصوى.

5 ـ أنهم فسروا القرآن تفسيراً أدبياً اجتماعياً كشف عن بلاغة القرآن وإعجازه وأظهروا ما فيه من سنن الكون ونظم الاجتماع البشري.

ما على بعض هؤلاء من مآخذ:

ينبغي أن أنبه هنا إلى أن الشيخ رشيد رضا متأثر بدروس أستاذه الإمام محمد عبده قد لاحظ عليه بعض العلماء ملاحظات عدة تحتوي على مآخذ أخذوها عليه وانتقدوه في تفسيره بسببها وبعضها موجه إلى الإمام أيضاً رأيت من الخير أن أثبتها ليأخذ القارىء منها حذره وفيما يلي ملخص لأهمها:

1 ـ أنه ومن جاراه أعطوا لعقولهم حرية واسعة في التفسير فتأولوا بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن وعدلوا بها عن الحقيقة إلى المجاز والتمثيل[2].

2 ـ أنهم قلدوا المعتزلة في بعض تعاليمهم وعقائدهم بسبب ما أعطوا لأنفسهم من الحرية العقلية الزائدة في تفسير القرآن.

---

(1) إلا رشيد رضا فإننا نجده مع شدة إنكاره على من يروون الإسرائيليات نراه بشرح القرآن أعني المبهمات في القرآن بنصوص التوراة المحرفة المبدلة. انظر ص 588 من التفسير والمفسرون، ج 2، للذهبي.

(2) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 583.

3 ـ طعنوا في بعض الأحاديث الصحيحة تارة حكموا عليها بالضعف وتارة قالوا: إنها موضوعة[1] وهي مع هذا صحيحة مروية في الكتب المعتمدة مثل البخاري أو مسلم.

4 ـ أن الشيخ رشيداً يؤكد أن صاحب الكبيرة التي هي في درجة أكل الربا والقتل العمد إذا مات صاحبها ولم يتب يخلد في النار ولا يخرج منها.

5 ـ كذلك نجده يخالف جمهور العلماء من أهل السنة ويتبنى فكر المعتزلة فينكر أن تكون للسحر حقيقة ويقول: ما هو إلا ضرب من التمويه والخداع[2].

6 ـ كذلك يرى صاحب المنار أنه لا تسلط للشياطين على لأنس إلا بالإغواء والوسوسة، وما يدعيه بعض الناس من ذلك فهو كذب من شياطين الأنس وحدهم، وأن الجن لا ترى للإنس بأي حال من الأحوال ويحكم على الحديث الذي رواه البخاري في الجني الذي كان يسرق تمر الصدقة عن أبي هريرة وأخبره الرسول بأنه شيطان[3].

7 ـ وأيضاً ينكر صاحب المنار معجزات الرسول ﷺ الكونية ويتأول الآيات التي تثبتها ويطعن في الأحاديث الواردة فيها وما يسلمه من بعض الآيات يقول عنها أنها إكراماً للنبيء من ربه وليست معجزة والمعجزة الوحيدة له ﷺ هي القرآن لا غير[4].

8 ـ ما ذكره الإمام محمد عبده في تفسير سورة الفيل من تجويزه أن يكون الطير المذكور في السورة هو ما يسمى اليوم بالميكروبات كما جوز أن تكون الحجارة من الجراثيم التي تحمل بعض الأمراض[5] قال شيخنا الذهبي وهذا

---

(1) أي أنه يقول في بعضها أنه ضعيف وفي البعض الآخر يقول أنه موضوع.
(2) التفسير والمفسرون، ص 584 نقلاً عن المنار، ج 7، ص 21.
(3) تفسير المنار، ج 7، ص 516.
(4) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 585.
(5) تفسير جزء عم للإمام محمد عبده، ص 120.

ما لانقره عليه لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن والعربي إذا سمع لفظ الحجارة.. لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال وقد جاء القرآن بلغة العرب وخاطبهم بما يعهدون ويألفون[1].

ثانياً: بقية المفسرين وتفاسيرهم في العصر الحديث

1 ـ القاسمي وكتابه محاسن التأويل المؤلف هو علامة الشام الشيخ جمال الدين أو محمد جمال الدين القاسمي المتوفي سنة 1332 هـ 1914 م أصله من السلالة الحسينية وهو إمام الشام علماً بالدين وتضلعاً في الأدب والإصلاح الاجتماعي.

وتفسيره محاسن التأويل من التفاسير القيمة الجامعة بين غزارة العلم وجمال الأسلوب وعمق التحليل ويهتم فيه المؤلف بالرد على أهل البدع من المعتزلة والشيعة والخوارج فنراه كلما وجد كلاماً للزمخشري في الاعتزال أعقبه بما يدحضه من كلام ابن المنير وغيره من أهل السنة وهو مطبوع في 17 مجلداً ومتداول بين أهل العلم[2].

2 ـ أبو بكر جابر الجزائري وكتابه أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ذكر مؤلفه في مقدمة هذا التفسير ما يدل على وصفه وقيمته العلمية فقال: نظراً لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع المعنى المراد من كلام الله ويبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم تبين فيه العقيدة السلفية المنجية والأحكام الفقهية الضرورية مع تربية ملكة التقوى في النفوس بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم مع التجمل بالأخلاق القرآنية والتحلي بالآداب الربانية، هذا ومن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه

---

(1) التفسير والمفسرون، ج 2، ص 569.

(2) اعتنى بترقيمه وتصحيحه أستاذ فؤاد عبد الباقي.

بيت من بيوت المسلمين. . . وبعد بيانه للغرض من تأليف تفسيره ذكر مميزاته التي أشار إليها سلفاً أهمها ما يلي:

1 ـ الوسطية بين الاختصار المخل والتطويل الممل.

2 ـ اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.

3 ـ الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في بيان الأحكام الفقهية.

4 ـ خلوه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث وحدثوا عن بين إسرائيل ولا حرج.

5 ـ إغفال الخلافات التفسيرية.

6 ـ عدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك، وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصرت على الصحيح والحسن منها دون غيرها ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادراً.

7 ـ خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الصحيح الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح حتى إن القارىء لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة المسلمين إلى فكر إسلامي موحد صائب سليم[1] وهذا التفسير مطبوع في أربعة مجلدات ومتداول[2].

3 ـ الشنقيطي وكتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف هو: محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي المتوفي سنة 1393 هـ 1973 م وتفسيره أضواء البيان يعتبر أوسع تفسير من نوعه وهو تفسير القرآن بالقرآن سلك فيه مؤلفه طريقة مثلى واتخذ منهجاً واضحاً مستعيناً بالقراءات السبعة المتواترة

(1) أو حذيفة إبراهيم بن محمد مقدمة في أصول التفسير، ص 59 ـ 60.
(2) المصدر السابق هامش، ص 59.

مبتعداً عن القراءات الشاذة مستأنساً بالسنة النبوية المطهرة معتبراً لأقوال العلماء الأثبات الذين سبقوه من المفسرين من غير تعصب لرأي أو تحيز لفريق غايته القول المستقيم والرأي الرشيد مستطرداً إلى ذكر الأحكام وبيان الشرائع وما زخر به كتاب الله من القصص والمواعظ كل ذلك في بيان مشرق وأسلوب سائغ.

وقد بين مسلكه في تفسيره وذكر قصده منه فقال؛ ومن أهم المقاصد في ذلك الكتاب المبارك أمران: أحدهما بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا ثم ذكر الأمر الثاني وهو بيانه للأحكام الشرعية من الآيات من غير تعصب لمذهب ويرجح ما يراه راجحاً بالدليل. وفيه بيان وتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من بيان لأصول الأحكام وأسانيد الأحاديث وهو مطبوع متداول في تسع مجلدات[1].

4 ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وكتابه التحرير والتنوير المؤلف كبير المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة توفي سنة 1393 هـ 1973 م وتفسيره المذكور قد سماه في مقدمته «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير القرآن المجيد» ثم اختصره باسم «التحرير والتنوير من التفسير» وقد وصف عمله فيه فقال: ولقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض وهو منزع جليل... ثم يقول: ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فرق متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله، واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة

(1) أصول التفسير لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد ص 61 ـ 62.

العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير ففيه أحسن ما في التفاسير[1] حقاً إن هذا التفسير فيه أحسن ما في التفاسير وهو في الوقت نفسه خال من كثير من العيوب التي وقع فيها كثير من التفاسير السابقة كالأخبار الإسرائيلية والأحاديث الموضوعة والاستطرادات المطولة في العلوم المختلفة وهو مطبوع متداول طبعته الدار التونسية للنشر سنة 1984 م وعيسى الحلبي بمصر سنة 1964 م.

5 ـ عبد الكريم الخطيب وكتابه التفسير القرآني للقرآن وقد ذكر في مقدمته أنه ألفه سنة 1380 هـ 1967 م وقد اطلعت عليه وقرأت منه بعض الصفحات فوجدته تفسيراً جيداً في أسلوب سهل ميسر وهو طويل إلى حد ما فقد احتوى على 15 جزء كل جزء يحتوي على تفسير جزأين من القرآن الكريم ويمكننا أن نعرف منهجه فيه مما ذكره في المقدمة فقال: إننا في صحبتنا هذه للقرآن لا نقيم نظرنا على غير آياته وكلماته، ولا نخط في هذه الصفحات غير ما يسمح لنا به النظر في كلماته وآياته، إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله وإنما نحن نرتل كلمات الله ترتيلاً آية آية أو آيات آيات ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة لما تطالعنا به الآية أو الآيات من عجب ودهش وروعة ثم نمسك القلم لنمسك به على الورق بعض ما وقع فيه مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة[2] وهو كما يظهر من كلامه أنه يفسر القرآن بما يظهر له من القرآن نفسه كما سماه التفسير القرآني للقرآن.

---

(1) مقدمة تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 4، ط الأولى عيسى الحلبي 1964 م.
(2) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، ج 1، ص 11 ـ 12.

6 ـ محمد علي الصابوني وكتابه صفوة التفاسير المؤلف هو صاحب كتاب روائع البيان في تفسير آيات الحكام المشهور وأما كتابه هذا ـ صفوة التفاسير ـ فهو خلاصة لعدد من التفاسير القديمة الشهيرة كتفسير الألوسي والبحر المحيط لأبي حيان وتفسير القرطبي والكشاف وتفسير الطبري وتفسير ابن كثير وقد حدد له منهجاً في تأليفه يتلخص في النقاط التالية:

أ ـ بين يدي السورة وهو بيان إجمالي يذكره في أول تفسير كل سورة يحتوي على توضيح مقاصدها الأساسية.

ب ـ المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة.

ج ـ يوضح المفردات اللغوية مع بيان الاشتقاق والشواهد العربية.

د ـ أسباب النزول للآية أو الآيات.

هـ ـ التفسير الإجمالي.

و ـ البلاغة والفوائد واللطائف.

وقد طبع هذا التفسير من قبل دار عالم الكتب في ثلاثة مجلدات كبار والله أعلم بالصواب وهو الموفق إلى كل خير.

أسـئلة في هذا الفصل

س 1: اذكر ألوان التفسير التي ظهرت في العصر الحديث بالإجمال مع بيان كيفية نشأتها وعوامل ظهور بعضها؟

س 2: من هم المفسرون المنتسبون إلى مدرسة الإمام محمد عبده التفسيرية مبيناً تاريخ وفاتهم ونبذة مختصرة عن إنتاجهم في التفسير؟ وطريقتهم التي اتبعوها فيه؟

س 3: هناك مآخذ أخذت على بعض المفسرين في العصر الحديث انتقدوا بسببها، اذكر هذه المآخذ مبيناًمن هم الذين أخذت عليهم من المفسرين والتفسير الذي وجدت فيه؟

س 4: تحدث عن تفسير كل من القاسمي والشنقيطي وابن عاشور والخطيب والصابوني مبيناً أسماءهم وأسماء تفاسيرهم وتاريخ وفاتهم إن وجد؟ ومميزات تفسير الصابوني؟

س 5: أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري وصفه مؤلفه وذكر مميزاته التي يمتاز بها، اذكر ما جاء في وصفه ومميزاته التي ذكرها مؤلفه؟

الباب الخامس

ما ينبغي في التفسير والمفسر

تمهيد

جميع ما تقدم في الأبواب الأربعة السابقة كله يعتبر دراسة مفصلة إلى حد ما لما دون من تفسير لكتاب الله تعالى في العصور الماضية المختلفة وهي في الغالب دراسة وصفية وفيها شيء من النقد لبعض الروايات والآراء وفيها أيضاً تأييد لبعض آخر منهما. وفي هذا الباب وهو خاتمة المطاف لدراستي في أصول التفسير أوضح فيه ما توصلت إليه من خلال معايشتي لفطاحل علماء التفسير قديماً وحديثاً ومن قراءاتي في مواضع كثيرة من تفاسيرهم ومقارنتها وتدقيق النظر في معظم جوانب ما قرأت منها وصلت حسب رأيي والله أعلم إلى الطريقة المثلى والمنهج القويم في تفسير القرآن الكريم وجعلت هذا الباب يحوي فصلين خصصت الفصل الأول لبيان العلوم التي يحتاج إليها المفسر وما ينبغي أن يجتنبه من أمور وشروطه وآدابه وأما الفصل الثاني ففه ذكرت قواعد التفسير بالرأي والاجتهاد والمنهج الذي ينبغي أن يتبع في التفسير.

الفصل الأول

العلوم التي يحتاج إليها المفسر وما ينبغي أن يجتنبه وشروطه وآدابه

أولاً: أما العلوم التي يجب على المفسر لكلام الله تعالى ان يتعلمها ويتقنها قبل شروعه في التفسير لتكون له عدة ومعيناً على الفهم السديد وعلى الوصول إلى ما يريد من المعاني والأحكام المستنبطة من الآيات فهي كثيرة أوصلها العلماء إلى 15 خمسة عشر علماً أجملها أولاً ثم أفصلها مع بيان أهميتها وسبب احتياج المفسر بالاجتهاد إليها، أما إجمالها فهوي:

1 ـ اللغة، 2 ـ النحو، 3 ـ التصريف، 4 ـ الاشتقاق، 5 ـ المعاني، 6 ـ البيان، 8 ـ البديع، 9 ـ القراءات، 10 ـ علوم الحديث، 11 ـ أصول الفقه، 12 ـ الناسخ والمنسوخ، 13 ـ أسباب النزول، 14 ـ المناسبات بين السور والآيات، 15 ـ الموهبة.

وأما تفصيلها مع ذكر الأسباب التي من أجلها اعتبر كل علم منها أساساً [illegible] للتفسير الصحيح المقبول فهوكما يلي:

1 ـ علم اللغة احتاج إليه المفسر لأنه الطريق السليم لشرح الألفاظ [illegible] وبيان مدلولاتها بحسب الوضع العربي روي عن مجاهد قوله: [illegible] من [illegible] بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله تعالى إذا لم [illegible] العرب(1)، وقد روي عن مالك بن أنس ما يقرب [illegible]

(1) انظر الاتقان في علوم القرآن، ج 4، ص 185.

هذا مع العلم بأن مجرد العلم باللغة غير كاف بل لا بد من التبحر في اللغة والإلمام بالكثير منها لأننا نجد الكثير من الألفاظ مشتركاً يدل على معان كثيرة فلا يكفي المفسر أن يعرف بعضها لاحتمال أن يكون الآخر الذي لا يعرفه هو المراد[1].

2 ـ علم النحو وهو علم الأعراب لا بد منه للمفسر لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الأعراب سئل الحسن البصري عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته؟ فقال: حسن فإن الرجل يقرأ الآية فيعي[2] بوجهها فيهلك فيها[3] وذلك لأن الخطأ النحوي في قراءة القرآن خطير فإن من لا يعرف النحو قد يؤدي به جهله إلى الكفر والعياذ بالله تعالى مثل الرجل الذي قرأ قوله الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[4] بخفض رسوله فكاد يقع في الكفر بسبب هذا الخطأ الشنيع وقصته هذه من الأسباب الحاملة على وضع النحو العربي.

3 ـ علم التصريف وهو التغيير في صيغ الكلمات وبه تعرف أبنية الكلمات وصيغها المختلفة قال ابن فارس: من فاته عمله فاته المعظم[5] فإن وجد مثلاً كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها وذلك لأن لهذه الكلمة مصادر متعددة بحسب المعاني المختلفة التي تدل عليها منها الوجدان للعثور على الشيء المفقود ومنها الموجدة للدلالة على الغضب ومنه الوجد بفتح الواو للحب ومنها الوجد بضم الواو للغنى فالمصادر متعددة والفعل واحد ولولا علم التصريف ما عرفنا هذه المعاني والجهل به قد يؤدي إلى

(1) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبي شهبة، ص 59.
(2) يعي من العي وهي: العجز عن الشيء وعدم إحكامه. انظر مختار القاموس، ص 448.
(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 4، ص 186.
(4) سورة التوبة، الآية 3.
(5) الإتقان للسيوطي، ج 4، ص 186. وابن فارس هو أبو الحسن أحمد بن زكريا القزويني الرازي من أئمة اللغة والأدب توفي سنة 395 هـ.

الخطأ الفاحش كما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[1]، فقد فسرت بتفسير عده العلماء من بدع التفاسير وهو ان إمامهم جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال الزمخشري وهو خطأ وغلط أوجبه جهل المفسر بالتصريف فإن أما لا تجمع على إمام وإنما تجمع على أمهات[2].

4 ـ علم الاشتقاق إنما احتاج إليه المفسر لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح مثلاً هل هو مشتق من المسح أو من السياحة فعلى الأول سمى عيسى بن مريم عليه السلام بالمسيح لأنه ما مسح على ذي عاهة[3] إلا بريء بإذن الله تعالى وعلى الثاني سمي به لأنه كثير السياحة في الأرض والتجول في البلاد لإرشاد الناس إلى الخير، وأيضاً كلمة النبي هل هي مشتقة من النبأ بمعنى الأخبار أو من النبوة بمعنى الرفعة فعلى الأول فهو إما مخبِر عن الله بكسر الباء[4] وإما بمعنى متلقي الخبر من الله تعالى فهو مخبَّر بفتح الباء[5]. فهذا التغير في المعنى تابع للاشتقاق الوارد في الكلمة.

7،6،5 ـ علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وهي علوم البلاغة الثلاثة ألزم العلوم للمفسر إذ بها يتحقق إعجاز القرآن ويبرز ما فيه من فصيح الكلام والبليغ من المعاني وأسرار الإعجاز. فبعلم المعاني تعرف خواص التراكيب من جهة إفادتها المعاني المناسبة، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية المقام وهما حال المخاطبين ومقام الخطاب.

---

(1) سورة الإسراء، الآية 71.

(2) الإتقان للسيوطي، ج 4، ص 186. وقد تجمع على أمات بالنسبة للبهائم ذكره ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 162.

(3) مثل الأكمه والأبرص الواردين في الآية.

(4) وعلى هذا فهو فعيل بمعنى فاعل.

(5) وعليه فهو فعيل بمعنى مفعول.

وبعلم البيان يتمكن المفسر من معرفة خواص التراكيب واختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها بالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية وغير ذلك. وبعلم البديع تعرف وجوه تحسين الكلام والمحسنات البديعية في القرآن الكريم.

8 ـ علم القراءات به يعرف المفسر كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وهي تختلف باختلاف القراءات ويتمكن به المفسر من ترجيح بعض الوجوه المختلفة في معاني الآيات تبعاً للقراءات الواردة فيها.

9 ـ علم أصول الدين وهو علم العقائد ومنه يعرف ما يجب في حق الله عز وجل من صفات وما يستحيل في حقه منها وما يجوز في حقه تعالى وكذلك تعرف صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك العقائد السمعية الواردة في القرآن من أمور الآخرة ويستدل المفسر على جميع العقائد بالآيات القرآنية الواردة فيها.

10 ـ علم أصول الفقه وهو عبارة عن أدلة الأحكام الشرعية الفرعية العملية يعرف المفسر عن طريقه كيفية الاستدلال واستنباط الأحكام من أدلتها القرآنية وبه يعرف الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة كل من الأمر والنهي وغير ذلك من الفوائد التي تعين على الفهم الصحيح المناسب.

11 ـ علم أسباب النزول والقصص القرآني إذ بمعرفة سبب نزول الآية أو الآيات يتمكن المفسر من معرفة المراد منها وفهمها فهماً صحيحاً لأن أسباب النزول لازمه لمن أراد علم القرآن[1] وقال الإمام أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[2] وهي أيضاً تزيل الأشكال الواقع في فهم بعض الآيات وتبين بعض حكم الله في تشريع الأحكام.

وبعلم القصص يستطيع المفسر أن يميز بين ما هو حق من القصص وما هو

---

(1) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 1، ص 83.
(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج 1، ص 22.

12 ـ علم الناسخ والمنسوخ وهو من العلوم المهمة اللازمة للمفسر إذ به يعرف المحكم من الآيات من غيره، ومن لم يتقن معرفة هذا العلم ربما أثبت حكماً منسوخاً أو قال بنسخ محكم فيقع في الضلال والإضلال.

13 ـ علم المناسبات بين السور والآيات[1] وهو علم له أثر ظاهر في فهم المعنى وتفسير الآيات لأن معرفة المناسبة تساعد على حسن التأويل ودقة الفهم قال الإمام الفخر الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط[2] وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم[3] لأنه يعين على الفهم ويدل على انسجام آيات القرآن وسوره[4] وقد اهتم بعض المفسرين بعلم المناسبات واستنبطوا لها وجوهاً جيدة كأبي حيان والرازي والألوسي رحمهم الله تعالى.

14 ـ علم الحديث دراية ورواية وهو بنوعيه له أهمية شديدة لمفسر القرآن وذلك لأن الأحاديث عليها الاعتماد في بيان مجمل القرآن وتوضيح المبهم وتخصيص العام وتقييد المطلق كما تقدم تفصيله في بيان أوجه تفسير القرآن بالسنة فمن الواجب على المفسر أن يكون عالماً بالسنة صحيحها

---

(1) المناسبة لغة المقاربة يقال فلان يناسب فلاناً أي قاربه والمراد بها هنا: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة في القرآن كله.

(2) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج 1، ص 36.

(3) المصدر السابق.

(4) وذلك لأن للآية أو الآيات تعلقاً وارتباطاً على وجه من الوجوه الجامعة بينهما كالمقابلة بين صفات المؤمنين وصفات المشركين ووعيد هؤلاء ووعد أولئك وكذكر آيات الرحمة بعد آيات العذاب وآيات الترغيب بعد آيات الترهيب أو بالعكس أو ذكر آيات التوحيد والتنزيه بعد الآيات الكونية. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص 98.

وحسنها وسقيمها أو على الأقل ينبغي أن يكون ملماً بما قاله علماء السنة وجمعه الأئمة الحفاظ في كتبهم فيما يتعلق بالتفسير وفضائل القرآن.

15 ـ علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»[1] وبقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] لذا قال بعض العلماء: إن علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له[3] وقد رد السيوطي استشكالاً عن عد الموهبة من العلوم الواجبة على المفسر فقال: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الأشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد[4] يعني العمل الصالح الموافق للشرع والزهد في الدنيا وقال الزركشي: أعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض[5] وبالجملة فإن الموهبة ثمرة من ثمار التقوى والتقوى لها معنيان معنى خفي قلبي وهو خشية الله تعالى ومراقبته في السر والعلن وهو ما أراده النبي ﷺ حين قال: «التقوى ها هنا ثلاثاً وأشار إلى صدره»[6] ومعنى ظاهري وهو الاستقامة على الدين وذلك بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات وقد تسمو بصاحبها فتصل به إلى حد فعل

(1) انظر الإتقان للسيوطي، ج 4، ص 188.
(2) سورة البقرة، الآية 282.
(3) الإتقان للسيوطي، ج 4، ص 188.
(4) المصدر السابق.
(5) البرهان في علوم القرآن نقله السيوطي في الإتقان، ج 4، ص 188.
(6) الحديث رواه مسلم في صحيحه.

النوافل والمستحبات أيضاً واتباع مكارم الأخلاق وتوقي الشبهات خشية الوقوع في المآثم والمحرمات والتقوى بمعنييها لا بد منها لمن يتصدى لشرح كتاب الله وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[1] أي معنى في القلب يفرقون به بين الحق والباطل وليتمثل المفسر لكتاب الله أنه يفسر كلاماً ليس ككلام الناس وأن أي تقصير أو تساهل فيه يعتبر كذباً على الله وافتراء عليه[2].

قال السيوطي بعد ذكر العلوم التي يحتاج إليها المفسر فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر ـ لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. . . وأما الصحابة والتابعون فقد كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ[3].

ثانياً شروط المفسر

شروط المفسر لكتاب الله كثيرة بعضها قد يكون متداخلاً مع ما ذكرت من العلوم التي يحتاج إليها المفسر وفيما يلي ملخص لأهم الشروط الواجب توفرها في المفسر:

1 ـ صحة الاعتقاد وذلك لأن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها وكثيراً ما تحمل العقائد المنحرفة أصحابها على تحريف النصوص وعلى الخيانة في نقل الأخبار فإذا صنف أحدهم كتاباً في التفسير نراه يؤول الآيات التي تخالف عقيدته ويحملها على باطل مذهبه ليصد الناس عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

---

(1) سورة الأنفال، الآية 29. والفرقان مصدر كالغفران والرجحان.

(2) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 54 ـ 55.

(3) الإتقان في علوم القرآن، ج 4، ص 188.

2 ـ التجرد عن الهوى وهو ميل المفسر إلى مذهب معين قبل شروعه في التفسير فإن الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان كما يفعل أصحاب المذاهب من الفرق المبتدعة كالباطنية والروافض والمعتزلة.

3 ـ قوة الفهم وسعة الإدراك ليتمكن المفسر من استخراج المعاني المناسبة ومن ترجيح معنى على آخر ويعرف كيف يستنبط الأحكام الشرعية من الآيات.

4 ـ العلم التام باللغة العربية الفصحى بفروعها المختلفة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين فمن لم يعرف العربية ويتمكن من الإحاطة بها لا يستطيع تفسير القرآن تفسيراً سليماً كما تقدم لنا النقل عن العلماء.

5 ـ الإلمام بأصول العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والعقائد كما علم مما تقدم أيضاً.

6 ـ الإلتزام بالطريقة التي نص عليها العلماء من التدرج في التفسير وذلك بأن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة المرفوعة الصحيحة ثم بما صح من أقوال الصحابة وكبار التابعين.

7 ـ العلم بالسير لا سيما سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم وبالتاريخ عموماً ولا سيما تاريخ الأنبياء مع أممهم الماضين فإن ذلك مما يعين المفسر على إصابة وجه الحق والسداد.

8 ـ الإلمام ولو قليلاً بعلم الاجتماع البشري وعلم النفس لأن هاذين العلمين يعينان المفسر على فهم المراد من الآيات المتعلقة بالأمورالاجتماعية وتفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً يكشف عما فيها من أسرار اجتماعية أو نفسية فإن قارئي التفسير اليوم تستهويهم التفاسير المدعمة بالمباحث النفسية والاجتماعية القيمة[1].

---

(1) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 56.

9 - العلم بتواريخ الأديان ينبغي أن يكون المفسر على علم بتاريخ الأديان السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية على الخصوص ليفهم ما يذكره القرآن عنهم وما أدخلوه من تحريف أو تبديل في كتبهم المنزلة وما وقعوا فيه من تخبط في العقائد مثل عقيدة التثليث والصلب والفداء عند النصارى التي كذبها القرآن ونعي عليهم التمسك بها.

ثالثاً: الأمور التي يجب على المفسر أن يتجنبها

هناك أمور يجب على المفسر لكتاب الله تعالى أن يبتعد عنها في التفسير حتى لا يقع في الخطأ ويكون ممن قالوا في القرآن بالرأي الفاسد وفيما يلي أهم هذه الأمور:

1 - التهجم على بيان مراد الله تعالي من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة وأصول الشريعة وبدون أن يحصل المفسر العلوم التي يجوز معها التفسير.

2 - الخوض فيما استأثر الله بعلمه وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله فلا يجوز للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله سراً من أسراره قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

3 - السير مع الهوى والاستحسان فلا يفسر بهواه ولا يرجح قولاً على قول باستحسانه.

4 - التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة والعقائد المنحرفة وذلك بأن يجعل المذاهب أو العقيدة أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن وإن كان غاية في البعد والغرابة.

5 - التفسير مع القطع بأن مراد الله من كلامه كذا وكذا من غير دليل وهذا منهي

---

(1) سورة الأنعام، الآية 59.

عنه شرعاً لقوله تعالى عطفاً على المحرمات: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

6 ـ الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفسر: على المفسر لكتاب الله تعالى أن يكون متصفاً بالآداب الإسلامية السامية عموماً ملتزماً بالأخلاق الحميدة التي جاء بها القرآن ليكون أسوة لمن يقرأ أو يسمع كلامه في التفسير وفيما يلي:

ملخص لما ذكره العلماء من الآداب التي ينبغي أن يكون المفسر متحلياً بها:

1 ـ حسن النية وصحة القصد فإنما الأعمال بالنيات لأن التفسير من أهم العلوم الشرعية التي ينبغي أن يكون القصد من دراستها أو التأليف فيها النفع العام وإرشاد المسلمين إلى الخير والصلاح.

2 ـ حسن الخلق والعمل الصالح لأن المفسر بمنزلة المؤدب ولا تبلغ الآداب مبلغها من النفس إلا إذا كان المؤدب مثالاً يحتذى في الاستقامة والفضيلة والخلق الحسن.

3 ـ الامتثال والعمل بالعلم الشرعي لأن العامل بعلمه يجد قبولاً أكثر ممن سمت معارفه ودقت مباحثه لأن حسن السيرة والتمسك بالأخلاق يجعل المفسر قدوة حسنة فيما يقرره من الإرشادات الدينية والتوجيهات الربانية.

4 ـ تحري الصدق والضبط في النقل عن الآخرين فلا يتكلم أو يكتب المفسر إلا ما ثبتت عنده صحة روايته حتى يكون في مأمن من التصحيف واللبس ولا بد من التثبت في النقل ومراجعة ما يكتب.

5 ـ التواضع ينبغي أن يكون المفسر متصفاً بالتواضع ولين الجانب ليكون مألوفاً محبوباً عند تلاميذه وإخوانه وعامة المسلمين لأن الكبر والتعالي على الناس

(1) سورة البقرة، الآية 169.

آفة العلم الشرعي وحاجزاً يمنع الناس من الانتفاع بعلمه، وسبباً في نبذه والابتعاد عنه.

6 - عزة النفس والترفع عن سفاسف الأمور فلا ينبغي أن يكون المفسر ممن يغشى أعتاب أصحاب الجاه والتملق إليهم للحصول على أعراض الدنيا.

7 - حسن السمت والتجمل بالثياب والملابس اللائقة بالعلماء الدالة على الوقار - وقار المفسرين لكتاب الله العزيز مصدر كل خير ورحمة وبركة والله المستعان.

أسـئلة في هذا الفصل

س 1: اذكر العلوم التي يحتاج إليها المفسـر لكتاب الله إجمالاً ثم بينها تفصيلاً بذكر السبب في احتياج المفسـر لكل علم منها؟

س 2: ما هي الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المفسـر لكتاب الله تعالى مع الشرح والإيضاح.

س 3: هناك أمور يجب على المفسر أن يجتنبها؟ أذكر هذه الأمور مبيناً السبب في ذلك.

س 4: اذكر الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفسـر لكتاب الله تعالى مع التوضيح وبيان السبب الداعي إلى ذلك.

الفصل الثاني

قواعد التفسير والمنهج القويم في تفسير القرآن الكريم

أ - أما القواعد فهي جمع قاعدة والمراد بها الأساس الذي يبني عليه غيره حسياً كان أو معنوياً وهي على درجة كبيرة من الأهمية إذ لا بد في تناول أي علم من العلوم من معرفة أسسه وقواعده العامة ومميزاته الخاصة حتى يكون الطالب المتناول له على بصيرة ومقدرة تعينه عليه وبقدر ما يتمكن الإنسان من آلة العلم[1] يستطيع أن يحرز من نصر فيه حيث يلج فصوله من أبوابها وقد أعطى مفاتيحها.

وبما أن القرآن نزل بلسان عربي مبين: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] فإن القواعد التي يحتاج إليها المفسر في فهمه معظمها يرتكز على قواعد اللغة العربية[3] الكثيرة المتنوعة ولهذه القواعد مواقعها ومضانها في كتب فروع اللغة الوفيرة الواسعة إلا أنني اخترت منها ما أرى أنه ضروري للمفسر ويهمه الاطلاع عليه ليستعين به في فهم كثير من الآيات القرآنية وقد أوردها المؤلفون في علوم القرآن وتفسيره وهي ملخصة فيما يلي:

---

(1) من آلة علم التفسير علوم اللغة العربية بجميع أنواعها كما تقدم في الفصل السابق قريباً.

(2) سورة يوسف، الآية 2.

(3) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع خليل القطان، ص 169.

أولاً قواعد الضمائر

وضع علماء اللغة للضمير بأنواعه ـ للمتكلم وللمخاطب وللغائب ـ قواعد عديدة مهمة ومفيدة استنبطوها من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن كلام العرب الفصحاء نظماً ونثراً ومن أهم قواعده ما يلي:

1 ـ ما يفيده من اختصار وإيجاز مع صحة المعنى المراد وسلامة التعبير كما في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] فقد أغنى الضمير المجرور باللام في قوله «لهم» عن عشرين اسماً ظاهراً وهي المذكورة في أول الآية في قوله تعالى: «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات» الآية.

2 ـ ومن قواعد الضمائر أنه لا يعدل إلى الضمير المنفصل إلا إذا تعذر الاتيان بالمتصل وذلك في حالتين وهما:

أولاهما: إذا كان الضمير في الابتداء كما في قوله تعالى: «أياك نعبد وإياك نستعين».

ثانيهما: إذا وقع الضمير بعد إلا الاستثنائية كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2].

3 ـ مرجع الضمير نظراً إلى أن الضمير اسم مبهم فلا بد له من مرجع يعود عليه ويفسره وهو خاص بضمير الغائب وأما ضمير المخاطب والمتكلم فلا يحتاجان إلى مرجع لحضورهما بالمشاهدة ولا بد أن يكون مرجع ضمير الغائب متقدماً عليه ليعلم المراد به قبل ذكره ويمتنع أن يكون متأخراً لفظاً

(1) سورة الأحزاب، الآية 35.

(2) سورة الإسراء، الآية 23.

ورتبة واستثنوا من هذه القاعدة مسائل معروفة عندهم[1]، وأيضاً الأصل في المرجع أن يكون ملفوظاً به مطابقاً للضمير في الأفراد أو فرعيه وفي التذكير أو التأنيث كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾[2]، وقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3] وقوله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[4] وأحياناً لا يوجد له مرجع في اللفظ ولكن المعنى يتضمنه ويدل عليه كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5] فإن الضمير هو في هذه الآية يعود على العدل المفهوم من الفعل أعدلوا لأنه أمر منه، وكذلك الضمير المجرور بمن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[6]، فإنه يعود على المقسوم المفهوم من قوله القسمة المتضمن له، أو يكون ما قبله دالاً عليه بالالتزام كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾[7]، فإن الضمير المجرور بإلى في قوله: إليه عائد على العافي الذي يدل عليه عفى بالإلتزام لأنه فعل والفعل يلتزم فاعلاً الذي هو العافي. هذا كله بحسب الأصل والغالب وقد يأتي على خلاف الأصل ويعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبته التقديم كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[8]،

---

(1) وهي ما ذكرها ابن مالك في التسهيل بقوله: ويتقدم غير منوى التأخير إن جرُ بربِ أو رفع بنعم أو شبهها... الخ انظر بلاغة القرآن للشيخ محمد الخضر حسين، ص 69.

(2) سورة هود، الآية 42.

(3) سورة طه، الآية 121.

(4) سورة النور، الآية 40.

(5) سورة المائدة، الآية 8.

(6) سورة النساء، الآية 8.

(7) سورة البقرة، الآية 178.

(8) سورة طه، الآية 67.

وقوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1]، أو يعود على متأخر رتبة ولفظه مقدم كما قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾[2]، بنصب إبراهيم أو يعود على متأخر لفظاً ورتبة في مواضع متعددة منها:

أ - ضمير القصة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[3].

ب - ضمير الشأن والحال كما في قوله تعالى: «قل هو الله أحد» قال السيوطي وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولاً مبهماً ثم يفسر. أو يعود على ما يدل عليه السياق ويفهمه السامع منه كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[4]، وقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[5]، والمرجع: الأرض في الآيتين لدلالة السياق عليه وقد يعود الضمير على لفظ متقدم دون معناه ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾[6]، فإن الضمير المضاف إلى لفظ العمر في قوله تعالى: عمره يعود على لفظ معمر دون معناه إذ المقصود معمر آخر لأن النقص والتعمير لا يجتمعان في شيء واحد.

ج - ومن أحكام مرجع الضمير أنه قد يراعي فيه اللفظ أولاً ويراعي المعنى ثانياً كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[7] فإن الضمير المقدر هو في يقول يعود على من باعتبار اللفظ وهو مفرد وعاد عليها الضمير - هم - في قوله: «وما هم بمؤمنين» وهو ضمير جماعة باعتبار معناها ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ

---

(1) سورة القصص، الآية 78.
(2) سورة البقرة، الآية 124.
(3) سورة الأنبياء، الآية 97.
(4) سورة الرحمن، الآية 26.
(5) سورة فاطر، الآية 45.
(6) سورة فاطر، الآية 11.
(7) سورة البقرة، الآية 8.

إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾[2].

4 ـ ضمير الفصل وهو دائماً بصيغة المرفوع ويكون مطابقاً لما قبله تكلماً وخطاباً وغيبة وإفراداً أو تثنية أو جمعاً ويقع بعد مبتدأ او ما أصله مبتدأ وقبل خبر أو ما أصله خبر ولا محل له من الإعراب والغرض منه التأكيد قال الإمام السيوطي: له فوائد ثلاث:

أ ـ التأكيد ولهذا سماه الكوفيون دعامة «لأنه يدعم به الكلام أي يقوي ويؤكد»[3].

ب ـ الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع.

ج ـ الاختصاص والقصر[4]، وله أمثلة كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾[6]، وقوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[7]، وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[8].

---

(1) سورة الأنعام، الآية 25.

(2) سورة التوبة، الآية 49.

(3) ولهذا قال بعض العلماء: أنه لايجمع بينه وبين التاكيد فلا يقال: محمد نفسه هو الفاضل. انظر الإتقان للسيوطي، ج 2، ص 266.

(4) وقد ذكر الزمخشري هذه الفوائد الثلاثة في تفسير قوله تعالى: «وأولئك هم المفلحون»، فقال: فائدته الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره من المصدر السابق والكشاف، ج 1، ص 20.

(5) سورة البقرة، الآية 5.

(6) سورة المزمل، الآية 20.

(7) سورة المائدة، الآية 117.

(8) سورة هود، الآية 78.

ثانياً: القاعدة الثانية في ألفاظ:

وردت في القرآن الكريم قد يظن البعض أنها مترادفة أي أنها بمعنى واحد والواقع ليس كذلك وبالتأمل يظهر الفرق جلياً بين اللفظين منها على سبيل المثال:

1 ـ الفرق بين الخوف والخشية: الخشية أعلى من الخوف وأشد منه لأنها تدل على فوات الشيء الموصوف بها بالكلية وأما الخوف فهو نقص فقط وليس فواتاً وذلك لأن الخشية مأخوذة من قول العرب شجرة خشية أي يابسة بينما الخوف قد أخذ من قولهم ناقة خوفاء أي بها داء وهو نقص وليس بفوات ويفرق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون ناشئة من عظم المختشي[1] وإن كان الخاشي قوياً وأما الخوف فإنما يكون وينشأ من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً ولهذا جاء التعبير بالخشية في جانب الله تعالى وبالخوف في جانب غيره قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[2]، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[4].

2 ـ الفرق بين الإعطاء والإيتاء: قال الإمام الخويي[5] ظهر لي بينهما فرق ينبيء عن بلاغة كتاب الله تعالى وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في اثبات مفعوله لأن الإعطاء له مطاوع تقول: أعطاني فعطوت ولا يقال في الإيتاء أتاني

---

(1) وإنما جاء التعبير بالخوف في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ سورة النحل، 50. لأنه في وصف الملائكة فإنه لما ذكر قوتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظاً شداداً فهم بين يديه تعالى ضعفاء ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة. قال السيوطي في الإتقان، ج 2، ص 306.

(2) سورة الرعد، الآية 21.

(3) سورة البقرة، الآية 74.

(4) سورة فاطر، الآية 28.

(5) الخُوَيي بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء هو شمس الدين أحمد بن خليل الشافعي صاحب الإمام فخر الدين الرازي كان من الفقهاء الحكماء توفي سنة 638 هـ.

فأتيت وإنما يقال: أتاني فأخذت والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له...[1] ثم قال: وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعي قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾[2]، وذلك لأن الملك عظيم لا يعطاه إلا من له قوة. وكذا قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[4]، لعظم القرآن وشأنه وكذلك الحكمة عظيم شأنها وقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[5]، جاء التعبير في هذه الآية بالإعطاء لأن الكوثر هو الحوض وهو مورود في الموقف مرتحل عنه قريب إلى منازل العز في الجنة... لأنه يترك عن قرب وينتقل إلى ما هو أعظم منه[6]، قلت: ولعل هذا هوالسر في تخصيص دفع الصدقة بالإتياء دون الإعطاء لدلالته على ما ينبغي للمؤمن من إخلاص عند دفع زكاته وعن طوع منه ورضى لينال ثوابه كاملاً. وجاء التعبير بالإعطاء عن دفع الذميين الجزية إشارة إلى أنهم يعطونها عن كره منهم ودون إخلاص قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[7].

3 ـ الفرق بين جاء وأتى الأول يقال في قدوم الجواهر وأعيان الأشياء والثاني يعبر به عن حضور الأعراض والمعاني والأزمان فمن الأول جاء قوله تعالى:

---

(1) انظر الإتقان للسيوطي، ج 2، ص 309.

(2) سورة آل عمران، الآية 26.

(3) سورة البقرة، الآية 269.

(4) سورة الحجر، الآية 87.

(5) سورة الكوثر، الآية 1.

(6) انظر الاتقان للسيوطي، ج 2، ص 310.

(7) سورة التوبة، الآية 29. وتمامها: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾[1]، وقوله: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾[2]، وقوله: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾[3]، ومن الثاني ورد في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[4]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾[5]، وأما قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[6]، فالمقصود من قوله: وجاء ربك أي أمره فإن المراد به أهوال يوم القيامة المشاهدة. وقد اجتمع الاتيان والمجيء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ۞ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[7]، فإن الأول المراد به العذاب وهو مشاهد مرئي بخلاف الثاني الذي هو الحق وذكر الراغب أن بينهما فرقاً آخر هو أن الإتيان أخص فقال: الإتيان مجيء بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء[8].

4 ـ الفرق بين عمل وفعل: الأول يدل على حصول الشيء في زمن ممتد بخلاف الثاني فإنه يدل على الحصول السريع والانقضاء ولهذا جاء التعبير بالأول في قوله تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾[9] وفي قوله تعالى: ﴿خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾[10]، لأن ما ذكر في الآية الأولى من صنع المحاريب والتماثيل وفي الآية الثانية من خلق الأنعام يقع على امتداد في زمن متسع. وجاء التعبير الثاني في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ

---

(1) سورة يوسف، الآية 72.
(2) سورة يوسف، الآية 18.
(3) سورة النحل، الآية 1.
(4) سورة النحل، الآية 1.
(5) سورة يونس، الآية 24.
(6) سورة الفجر، الآية 22.
(7) سورة الحجر، الآيتان 63 ـ 64.
(8) انظر المفردات للراغب، ص 103. والإتقان، ج 2، ص 307.
(9) سورة سبأ، الآية 13.
(10) سورة يس، الآية 71.

78 ـ وفيات الأعيان: لابن خلكان دار الثقافة بيروت ـ لبنان.
79 ـ الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر 1400 هـ.
80 ـ الفرق بين الفرق: لأبي منصور البغدادي، المعارف 1328 هـ.
81 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للإمام السيوطي، الميمنية 1314 هـ.
82 ـ تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الغرناطي، السعادة 1328 هـ.
83 ـ الكشاف: للزمخشري، مطبعة مصطفى محمد 1308 هـ.
84 ـ مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية وأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث طنطا.
85 ـ مجلة الأزهر: المجلد 32 لسنة 1960.
86 ـ المنهج القويم في تفسير آيات الذكر الحكيم: لشيخنا الدكتور عبد الغني الراجحي، مطبعة المعرفة.

فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[1]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[3]. لأن ما ذكر فيها إهلاكات وقعت في زمن غير ممتد وغير طويل وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾[4] أي يفعلونه في طرفة عين ومن الأول قوله تعالى في آيات كثيرة: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[5] لأن المقصود منه حيث كان: المثابرة عليها والدوام على أدائها لا الإتيان بها مرة واحدة أو بسرعة، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾[6] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[7]، إذا المقصود فيهما الحث على السرعة في تنفيذ فعل الخير وإيتاء الزكاة من غير تراخ وتأن حتى لا يصدهم عنه صاد.

5 ـ الفرق بين القعود والجلوس: فإن الأول يستعمل لما فيه لبث واستمرار بخلاف الثاني فإنه للدلالة على التخفيف وعدم اللبث لذا يقال قواعد البيت ولا يقال جوالسه للزومها ولبثها واستمرارها ويقال جليس الملك ولا يقال قعيده لأن مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف ومن الأول جاء قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[8]، إشارة إلى أنه لا زوال له، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾[9]، إشارة إلى أن جلوسهم فيها في زمن يسير.

---

(1) سورة الفجر، الآية 6.
(2) سورة الفيل، الآية 1.
(3) سورة إبراهيم، الآية 45.
(4) سورة النحل، الآية 50.
(5) سورة البقرة، الآية 25.
(6) سورة الحج، الآية 77.
(7) سورة المؤمنون، الآية 4.
(8) سورة القمر، الآية 55.
(9) سورة المجادلة، الآية 11.

ثالثاً: القاعدة الثالثة:

في العطف وهو ثلاثة أقسام عطف على اللفظ وعطف على المحل وعطف على المعنى ولكل قسم من هذه الأقسام أمثلة وردت في القرآن الكريم وهي الآتية:

أ ـ من أمثلة القسم الأول وهو العطف على اللفظ الذي هو الغالب والكثير في باب العطف قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

ب ـ ومن الثاني وهو العطف على المحل الإعرابي: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾[2]، فقد جعل الكسائي[3] لفظ الصابون معطوفاً على محل أن مع اسمها وهو الرفع بالإبتداء[4]، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[5]. فقد جوز الفارسي أن يكون يوم القيامة معطوفاً على محل هذه قاله الجمل في حاشيته نقلاً عن السمين ج 2، ص 420.

جـ ـ وأما الثالث وهوالعطف على المعنى فيقصدون به كما نبه أبو حيان وابن هشام ـ أن العربي جوز في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه

---

(1) سورة النساء، الآية 59.

(2) سورة المائدة، الآية 69. وقرىء الصابئون بالهمزة بعد الباء على الأصل وبدونها وضم الباء على حذف الهمزة تخفيفاً وبياء بعد الباء مضمومة على القلب.

(3) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين توفي سنة 189 هـ بالري.

(4) وذكر ابن الأنباري أن (إن) بمعنى نعم فلا تكون عاملة فيكون الذين آمنوا والذين هادوا في موضع رفع والصابون عطف عليه انتهى. من البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري، ج 1، ص 300.

(5) سورة هود، الآية 99.

فعطف ملاحظاً له لا أنه غلط في ذلك كما زعم البعض[1] وقد ذكروا له أمثلة متعددة وردت في القرآن منها:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[2]، فقد قال بعض العلماء: إن قوله: وحفظاً معطوف على معنى إنا زينا السماء الدنيا» أي خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء وحفظاً لها من الشياطين.

- وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]، في قراءة غير أبي عمرو بجزم أكن. وهو مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره إن أخرتني أصدق وأكن، فأكن مجزوم بالعطف على معنى ما قبله المقدر على أنه جواب شرط مقدر ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾[4]، على قراءة قنبل بجزم يصبر لأن من الموصولة فيها معنى الشرط لعمومها[5] وإبهامها. قال أبو البقاء: هو مجزوم على المعنى.

- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[6] على تقدير ليبشركم وليذيقكم.

---

(1) ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن أنه عطف على المعنى كما ذكرت لا غلط ولا على التوهم كما زعم آخرون من الإتقان، ج 2، ص 321.

(2) سورة الصافات، الآية 6-7.

(3) سورة المنافقون، الآية 10. وانظر تفسير القرطبي، ج 18، ص 131.

(4) سورة يوسف، الآية 90.

(5) على هذه القراءة أن من موصولة بمعنى الذي ويتقي لم تحذف منه الياء في آخره وعائد الخبر محذوف تقديره المحسنين منهم، انظر إملاء ما من به الرحمن من إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله العبكري، ص 58، ط دار الشام، بيروت.

(6) سورة الروم الآية 46.

د ـ ومن مسائل العطف الواردة في القرآن وأجازها بعض العلماء[1] ومنعها آخرون[2].

ـ العطف على معمولي عاملين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]. فقوله: واختلاف الليل والنهار... آيات لقوم يعقلون» من العطف على معمولي عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت (إن) و (في) أقيمت الواو مقامهما فعملت الواو الجر في (اختلاف الليل والنهار) والنصب في (آيات) وإذا رفعت فالعاملان (الإبتداء) و (في) عملت الواو الرفع في (آيات) والجر في (اختلاف) ذكرها الزمخشري في الكشاف[4].

ـ والعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[5] بجر الأرحام على قراءة حمزة وقوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[6]. قال أبو حيان إن المسجد معطوف على الضمير في به وإن لم يعد الجار وقال: والذي نختاره جواز ذلك لوروده في كلام العرب كثيراً نظماً ونثراً ولسنا متعبدين باتباع جمهور البصريين بل نتبع الدليل[7].

---

(1) منهم الكسائي والأخفش والفراء.

(2) منهم سيبويه والمبرد وابن السراج.

(3) سورة الجاثية، الآيات 3 ـ 5.

(4) تفسير الكشاف، ج 2، ص 364، ط قديمة.

(5) سورة النساء، الآية 1.

(6) سورة البقرة، الآية 217.

(7) البحر المحيط، ج 3، ص 159. والإتقان، ج 2، ص 327.

رابعاً: القاعدة الرابعة

في حكم الاسم إذا ذكر مرتين في جملة أوجمل أو في آية أو في آيات[1] من حيث التعريف والتنكير وهل المذكور ثانياً هو المذكور أولاً أو غيره وقد ذكر العلماء لهذا الحكم أربع صور وذلك لأنه إما أن يذكر في المرتين نكرة أو معرفة أو يذكر أولاً معرفة ويعاد نكرة أو بالعكس أي يذكر أولاً نكرة ويعاد معرفة وفيما يلي بيان الحكم في كل صورة من هذه الصور مع التمثيل:

1 ـ إذا ذكر الاسم معرفة مرتين فإن حكمه أن يكون الثاني هو عين الأول كما في قوله تعالى: «إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم» لأن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم.

2 ـ إذا كان ذكره في المرتين نكرة كان الثاني غير الأول غالباً كما في قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[2]، فإن المراد من الضعف الأول النطفة ومن الثاني الطفولية ومن الثالث الشيخوخة. وقد اجتمعت الصورتان الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[3] وبناء على هذه القاعدة فإن العسر في الآية واحد واليسر فيها اثنان ولهذا ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين»[4].

قال الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين: إن العرب

---

(1) ذكر العلماء أن المراد من ذكر الاسم مرتين كونه مذكوراً في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل بأن يكون أحدهما معطوفاً على الآخر وله به تعلق ظاهر وتناسب واضح وأن يكونا من المتكلم واحد. انتهى من الإتقان، ج 2، ص 299.

(2) سورة الروم، الآية 54.

(3) سورة الشرح، الآية 5 ـ 6.

(4) الحديث أخرجه الحاكم وابن جرير والبيهقي عن الحسن رضي الله تعالى عنه. انظر روح المعاني للألوسي، ج 30، ص 170.

إذا أتت باسم ثم أعادته مع الألف واللام كان هو الأول نحو جاء رجل فأكرمت الرجل وكقوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾، ولو أعادته بغير الألف واللام كان غير الأول فقوله: فإن مع العسر يسراً لما أعاد العسر الثاني أعاده بأل ولما كان اليسر الثاني غير الأل لم يُعد بأل لذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لن يغلب عسر يسرين[1].

3 ـ إذا كان الأول نكرة والثاني معرفة كان الثاني هو الأول حملاً على العهد كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[4].

4 ـ إذا كان الأول معرفة والثاني نكرة كان على حسب القرائن فإذا دلت قرينة على أنه عين الأول عمل بها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[5]. وإذا دلت قرينة على أن الثاني غير الأول عمل بها كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[6]، فإن الساعة الأولى هي القيامة، وأما الثانية فالمراد بها الجزء المعروف من الزمن، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[7]، فإن الكتاب الأول من هذه الآية هو التوراة أو الإنجيل وأما الثاني فهو غيرهما لما روي في سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما

(1) انظر حاشية الجمل، ج 4، ص 556.
(2) سورة المزمل، الآيتان 15ـ16.
(3) سورة النور، الآية 35.
(4) سورة الشورى، الآيتان 52 ـ 53.
(5) سورة الزمر ، الآيتان 27 ـ 28.
(6) سورة الروم، الآية 55.
(7) سورة النساء، الآية 153.

أتى موسى بالتوراة. وقيل طلبوا أن يأتيهم: كتاب إلى فلان وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت[1].

خامساً: القاعدة الخامسة

الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل

ذكر العلماء أن الاسم يدل على الثبوت والاستمرار بخلاف الفعل فإنه يدل على التجدد والحدوث والمراد بهما في الماضي الحصول في الزمن الماضي وفي المضارع أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى[2] ولك من الاسم والفعل موضعه الذي لا يصلح فيه الآخر ويظهر هذا ويتضح في أمثلة كثيرة منتشرة في القرآن منها ما يلي:

أولاً: جاء التعبير بالفعل بنوعيه الماضي والمضارع في الأمثلة الآتية:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[3]، قال ينفقون ولم يقل المنفقون لإفادة تجدد الإنفاق منهم وحدوثه مرة بعد أخرى.

ب ـ في قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾[4] عبر بالفعل ولم يقل رازقكم للدلالة على تجدد الرزق شيئاً بعد شيء فجاءت الحال على صيغة المضارع.

ج ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾[5] أتى بالحال على صورة

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ ابن جزي الكلبي، ص 162.

(2) ذكره الإمام الزمخشري في كشافه، ج 1، ص 29. في تفسير قوله تعالى: «الله يستهزيء بهم» وعبارته: قلت لأن يستهزيء يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت انتهى. وقال السيوطي: وما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت، والفعل على التجدد والحدوث هو المشهور عند أهل البيان انتهى. من الإتقان، ج 2، ص 318.

(3) سورة آل عمران، الآية 134.

(4) سورة فاطر، الآية 3.

(5) سورة يوسف، الآية 16.

المضارع ولم يقل باكين لإثبات صورة ما هم عليه وقت المجيء وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد شيء وهو المسمى حكاية الحال وهذا هو سر الأعراض عن التعبير باسم الفاعل.

د ـ وفي قوله تعالى حكاية عن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[1] أتى في هذه الآيات بالماضي في جانب الخلق لأنه مفروغ منه متحقق، وبالمضارع في جانب الهداية والإطعام والاسقاء والإشفاء لأنها متجددة متكررة تقع مرة بعد أخرى على نحو مر.

ثانياً وجاء التعبير بالاسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[2] للدلالة على أن الإيمان له حقيقة ثابتة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها ويستمر ومثله الإسلام والتقوى والشكر في الآيات المماثلة لهذه الآية.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾[3] فلو قيل يبسط لم يؤد الغرض لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط وأنه يتجدد له شيء بعد شيء فباسط أشعر بثبوت الصفة ودوامها.

ثالثاً: من الخطاب بالفعل[4] والاسم معاً جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾[5] وإنما نصب (سلاماً) لأنه على تقدير الفعل وإضماره أي سلمنا سلاماً وهذه العبارة من الرسل مؤذنه بحدوث التسليم منهم إذ الفعل متأخر عن وجود الفاعل بخلاف سلام إبراهيم فإنه مرتفع بالابتداء والتقدير سلام عليكم فاقتضت عبارته الثبوت على الاطلاق للدلالة على

---

(1) سورة الشعراء، الآيات 78 ـ 81.

(2) سورة الحجرات، الآية 15.

(3) سورة الكهف، الآية 18. والوحيد: الباب.

(4) وذلك لأن مضمر الفعل كمظهره وسلاماً في الآية مفعول لفعل مضمر.

(5) سورة هود، الآية 69.

إثبات السلام كأنه عليه السلام قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه أخذاً بأدب الله تعالى في التحية[1] وهو أيضاً من إكرامه لهم. قال الجمل في حاشيته: فقد حياهم بالجملة الاسمية في جواب تحيتهم بالفعلية ومن المعلوم أن الأولى أبلغ من الثانية فكانت تحيته أحسن من تحيتهم[2].

سادساً: القاعدة الأساسية: كان وكاد في القرآن

أولاً: كان معناها في الأصل المضي والانقطاع أما المراد بها في القرآن فقد اختلف فيه العلماء على أقوال والمرجع[3] أنه تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غير ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقائه وإن أفاد الكلام شيئاً من ذلك كان لدليل آخر خارج عما أفادته كان، وأما ما وقع في القرآن من إخبار الله تعالى عن صفة من صفاته الذاتية وغيرها بلفظ كان مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[4] وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[5] وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[6] وقوله: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[7] وقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[8] وقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[9] فالمراد به الإخبار عن وجودها وأنها لم تفارق ذاته ولهذا يقررها بعضهم بما زال فراراً مما يسبق إلى الوهم أنه (كان) تفيد انقطاع المخبر به عن الوجود لقولهم:

---

(1) تحية الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾. النساء، الآية 86.

(2) حاشية الجل على الجلالين، ج 2، ص 409.

(3) وهو الذي ذكره الزمخشري في الكشاف، ج 1، ص 162 وصوبه الزركشي في البرهان، ج 4، ص 122.

(4) سورة النساء، الآية 96.

(5) سورة النساء، الآية 148.

(6) سورة النساء، الآية 130.

(7) سورة النساء، الآية: 64.

(8) سورة الأنبياء، الآية 81.

(9) سورة الأنبياء، الآية 78.

دخل في خبر كان[1] وقد استفيد بقاء الخبر في الحال وفيما لا يزال بالأدلة العقلية واستصحاب الحال[2] وذكر ابن عطية الأندلسي في تفسير سورة الفتح: «أنها حيث وقعت في صفات الله فهي مسلوبة الدلالة على الزمان»[3] وقد وردت في القرآن على العموم بمعان كثيرة حصرها بعض[4] العلماء في خمسة أثبتها مع التمثيل فيما يلي:

1 ـ بمعنى الأزل والأبد كقوله تعالى: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ وهو المعنى الذي ذكر سابقاً.

2 ـ بمعنى المضي المنقطع وهو الأصل في معناها كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[5].

3 ـ وبمعنى الحال كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[6] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[7].

4 ـ وبمعنى الاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[8].

5 ـ وبمعنى صار كما في قوله تعالى في شأن إبليس عليه اللعنة: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[9] وجاءت كان بعد النفي والمراد بها نفي صحة الخبر لا نفي وقوعه كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[10] وقوله:

---

(1) يقصدون أنه مات وانتهى.

(2) انظر البرهان للزركشي، ج 4، ص 122.

(3) المصدر السابق وقد جزم بما قاله ابن عطية ابن معطي صاحب الألفية في النحو الذي يقول: وكان للماضي الذي ما انقطعا. من نفس المصدر.

(4) هو أبو بكر الرازي صاحب كتاب أحكام القرآن وقد اشتهر بالجصاص.

(5) سورة النمل، الآية 48.

(6) سورة آل عمران، الآية 110.

(7) سورة النساء، الآية 103.

(8) سورة الإنسان، الآية 7.

(9) سورة البقرة، الآية 34.

(10) سورة الأنفال، الآية 167.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[1] ويكون معناها في الآيتين ونحوها ما صح وما استقام[2] والله أعلم.

ثانياً وهي فعل ناقص معناه المقاربة فنفيها نفي للمقاربة وإثباتها إثبات للمقاربة فقولنا: خالد كاد يرسب معناه لم يرسب وهذا هو المختار في معناها[3] وقيل: إنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر كقوله تعالى: «فذبحوها وما كادوا يفعلون»[4].

وقيل: أن نفيها إثبات وإثباتها نفي فإذا قيل كاد علي ينجح معناه لم ينجح بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[5] لأنهم لم يفتنوه.

وقيل بالتفصيل بين الماضي والمضارع فنفى المضارع نفي ونفي الماضي إثبات بدليل قوله تعالى: ﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾[6]، وهو لم ير شيئا وقوله تعالى: «فذبحوها وما كادوا يفعلون» وهم قد فعلوا. وقد تجيء كاد بمعنى أراد كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[7] وقوله: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[8]. وعكسه أي أن أراد بمعنى كاد كما في قوله تعالى: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾[9] أي يكاد.

---

(1) سورة التوبة، الآية 17.
(2) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص 211.
(3) انظر البرهان للزركشي، ج 4، ص 136.
(4) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص 211.
(5) سورة الإسراء، الآية 73.
(6) سورة النور، الآية 40.
(7) سورة يوسف، الآية 76.
(8) سورة طه، الآية 15.
(9) سورة الكهف، الآية 77.

الإفراد والجمع في القرآن وما يدلان عليه في بعض الأسماء، ولماذا يؤثر أحدهما دون الآخر في موضع من القرآن ويؤثر الآخر في موضع آخر منه وفيما يلي ذكر لبعض الأمثلة من الآيات لتوضيح هذه القاعدة وما يدل عليه استعمالها في الآيات المذكورة.

1 ـ استعمال لفظ السماء والأرض من حيث الجمع والإفراد في القرآن على وجوه وذلك لأن السماء ذكرت في القرآن جمعاً ومفرداً لنكت وحكم مناسبة للموضع الذي ذكرت فيه بخلاف الأرض فإنها لم تذكر في القرآن إلا مفردة لثقل جمعها وهو أرضون ولما أريد جمعها ذكرت في صورة من الروعة ليس لها مثال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[1] وأما الحكمة من ذكر السموات جمعاً في بعض الآيات فللدلالة على سعة ملكه تعالى وعظمة سلطانه وشمول علمه وقدرته كما في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] وقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] إذ المراد في الآية الأولى أن جميع السكان في السموات والأرض من إنس وجن وغيرهم يسبحون الله وينزهونه. والمراد في الثانية نفي الغيب عن كل من هو في واحدة من السموات والأرضين. وأما ذكرها مفردة فالحكمة منه الدلالة على جهة العلو كما في قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[4] وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[5] أي من فوقكم.

---

(1) سورة الطلاق، الآية 12.

(2) سورة الحشر، الآية 1.

(3) سورة النمل، الآية 65.

(4) سورة الذاريات، الآية 22.

(5) سورة الملك، الآية 16.

2 ـ لفظ الريح والرياح إذا ذكرت في سياق الرحمة جمعت وإذا جاءت في سياق العذاب أفردت والحكمة في هذا أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمنافع ويقابل بعضها الآخر أحياناً لتنشأ ريح طيبة تنفع الناس والحيوان والنبات ولهذا كانت في الرحمة والبركة رياحاً، وأما في العذاب والنقمة فتأتي من وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع وهي المعبر عنها بالريح العقيم أو الريح الصرصر العاتية روي عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه قال: «كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء من الريح فهو عذاب»[1] وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» وما خرج عن هذا فهو لنكتة أخرى تناسبه[2].

3 ـ النور والظلمات والحكمة من إفراد النور وجمع الظلمات في القرآن ومثلهما إفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل وذلك لأن طريق الحق واحدة وطرق الباطل متشعبة متعددة والظلمات بمنزلة طرق الباطل والنور بمنزلة طريق الحق ولهذا وحد ولي المؤمنين وجمع أولياء الكفار قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[5].

4 ـ لفظ المشرق والمغرب جاء كل منهما في القرآن مفرداً وجمعاً ومثنى في مواضع متعددة منه ولكل موضع نكتة وحكمة تخصه أما إفرادهما فباعتبار

(1) ابن أبي حاتم وغيره. انظر الإتقان، ج 2، ص 300.
(2) مباحث في علوم القرآن، ص 103.
(3) سورة الأنعام، الآية 3.
(4) سورة الأنعام، الآية 153.
(5) سورة البقرة، الآية 257.

الجهة وإذا ثنيا فباعتبار مشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربيهما وحيث جمعا فاعتباراً لتعدد المطالع والمغارب في كل فصل من فصول السنة وأما اختصاص كل موضع بما يناسبه فإن التعبير بالجمع في سورة المعارج في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴾[1] وقوله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾[2] فلأنها في مقام الاستدلال على عظمة قدرة الله وسعة سلطانه فيناسبه الجمع وأما المثنى في سورة الرحمن في قوله عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3] فلأن سياق السورة سياق المزدوجين فقد ذكر فيها المولى عز وجل نوعي الإيجاد وهما الخلق والتعليم وذكر سراجي العالم وهما الشمس والقمر ثم نوعي النبات ما كان على ساق وما لا ساق له وهما النجم والشجر وذكر السماء والأرض والأنس والجن إلى أن ذكر المشرقين والمغربين[4].

5 ـ وردت في القرآن جموع قد تخفي مفرداتها ومفردات قد يخفي جمعها وفيما يلي ذكر أهمها مع بيان جمع المفردات ومفرد الجموع:

أولاً: الجموع وهي كما يلي مع بيان مفردها:

---

(1) سورة الآية 40.
(2) سورة الصافات، الآية 5.
(3) سورة الرحمن، الآية 18.
(4) انظر الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 302.

الجمع	مفرده	الجمع	مفرده
1 ـ النصارى	نصراني أو نصير	18 ـ الصياصي	صيصية
2 ـ التراقي	ترقوة بفتح أوله	19 ـ غرابيب	غربيب
3 ـ الأنصار	نصير كشريف	20 ـ أتراب	ترب بكسر أوله
4 ـ الأزلام	زلم أو زلم بضم أوله	21 ـ الآلاء	إلى كمعي
5 ـ أساطير	أسطورة أو أسطار	22 ـ الامشاج	مشج
6 ـ الصور	صورة أو واحد الأصوار	23 ـ ألفافاً	لف بكسر أوله
7 ـ فرادي	أفراد جمع فرد	24 ـ العشار	عشراء
8 ـ قنوان	قنو بكسر أوله	25 ـ الخنس	خانسة
9 ـ صنوان	صنو بكسر أوله	26 ـ الكنس	كانسة
10 ـ الحوايا	حاوية أو حاوياء	27 ـ الزبانية	زابن أو زباني
11 ـ نشراً	نشور	28 ـ اشتاتاً	شت أو شتيت
12 ـ عضين	عضة	29 ـ أبابيل	إبول أو إبيل
13 ـ عزين	عزة	30 ـ أماني	أمنية
14 ـ المثاني	مثني	31 ـ أنداد	ند بكسر أوله
15 ـ أيقاظاً	يقظ	32 ـ أبرار	بار أو بر
16 ـ الأرائك	أريكة		
17 ـ آناء الليل	إني بالقصر كمعي		

ثانياً المفردات

المفرد	جمعه
1 ـ العون	عون بضم أوله
2 ـ مدراراً	مدارير
3 ـ تارة	تارات أو تير بفتح وسطه
4 ـ سرى	سريان كخصي وخصيان
5 ـ منسأة	مناسىء
6 ـ الحرور	حرر
7 ـ الإعصار	أعاصير[1]

ب ـ منهج قويم في تفسير القرآن الكريم

سبق التنويه في الفصل الأول من هذا الباب أن المفسر ينبغي أن يلتزم بأمور مهمة بعضها اعتبره العلماء شروطاً للمفسر وبعضها اعتبروه آداباً ينبغي أن يتحلى بها تقدم الكلام عليها مفصلاً وهي مما ينبغي أن يراعى هنا ولا بد من التزامها قبل الشروع في التفسير وخصوصاً التدرج فيه وهو يتمثل في أصول ثلاثة كادت تكون ضرورية لمن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى وهي بالإجمال كما يلي[2]:

أ ـ مراعاة النصوص القرآنية الأخرى عند تفسير أي نص قرآني وكان موضوعهما واحداً.

(1) انظر الإتقان للسيوطي، ج 2، ص 303 ـ 304.
(2) هذه الأصول تقدم الكلام عليها أكثر من مرة إلا أنني أعدتها هنا لزيادة تفصيلها وشرحها ولأرتب عليها ما بعدها كما هو واضح لمن تدبر وتأمل.

ب ـ النظر في تفسير النبي ﷺ والصحابة الذي صحت روايته أو حسنت.
ج ـ التفسير اللغوي المبني على قواعد اللغة العربية الفصحى.

شرح هذه الأصول وتفصيلها

أما الأصل الأول فيرشد إلى أصح تفسير للقرآن الذي لا ينازع فيه أحد وهو تفسير القرآن بالقرآن وذلك بأن ينظر المفسر ويفكر في جميع الآيات بقدر المستطاع ليصل بهذا العمل إلى الفهم الصحيح وإدراك المراد كما ينبغي.

وأما الأصل الثاني فهو أن يلجأ المفسر بعد كتاب الله تعالى إلى ما بينه من أنزل عليه القرآن وأمره الله ببيانه وأوحى إليه بتفسير ما احتاج إليه المسلمون في عصره وهو التفسير بالسنة المرفوعة المنقولة نقلاً صحيحاً وكذلك يتضمن هذا الأصل ما يعزى إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين عاينوا التنزيل وكانت الآيات تأتي إجابة عن أسئلتهم أحياناً فهم أعرف الناس بأسباب النزول[1] ولما امتازوا به من علم وعمل وتطبيق لأحكام القرآن غير أنه ينبغي أن يعرض هذا الأصل قبل الأخذ به واعتماده على ميزان النقد عند علماء الحديث ليعرف المفسر ما صح أو حسن منه فيأخذ به ويترك ما عداه وخصوصاً ما دخل التفسير من الإسرائيليات والموضوعات والتأويلات الباطلة التي أدخلتها فيه بعض الفرق المبتدعة، وهي خطيرة جداً ينبغي الاحتراس منها جداً.

وأما الأصل الثالث فهو المدخل الأول إلى تفسير القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين وقد أوضح العلماء ما ينبغي اتباعه فيه في النقاط التالية:

أ ـ تفسير الألفاظ اللغوية تفسيراً يلتقي مع معانيها المعروفة وقت نزول القرآن، ويتفق مع المعاني الشرعية المعتبرة في ذلك الوسط مع مراعاة الدلالات القرآنية لتلك الكلمة المفسرة باستقراء مواضعها في القرآن وتدبر معانيها في سياق سورتها.

---

(1) بل إن أسباب النزول لا تعرف إلا عن طريقهم ولا تروى إلا عنهم.

ب - الإلتزام بالقواعد المرعية في تفسير النصوص القرآنية واستنباط الأحكام الشرعية منها من معرفة العموم والخصوص والاطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم ونحوهذه الأحكام.

ج - ينبغي تقديم المعنى اللغوي الحقيقي على المعنى المجازي بحيث لا يصار إلى المجازي إلا إذا تعذر الحمل على المعنى الحقيقي[1] نقل عن الإمام محمد عبده في تفسير المنار قوله عن اللغة العربية وصلتها بتفسير القرآن ما نصه: إن القرآن هو حجة الله البالغة على دينه الحق فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن فهماً صحيحاً ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية... ويقول أيضاً أمرنا الله تعالى أن نتدبر القرآن ونعتبر به ونتذكر ونهتدي وأن نعلم ما نقول في صلاتنا من آياته وأذكاره وأكد هذه المسائل في آيات كثيرة، والامتثال لها والعمل بها لا يكون إلا بفهم العربية الفصحى وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وجعله الله تعالى معجزاً للبشر ولا تقوم حجته في هذا عليهم إلا بفهمه ولا يمكن فهمه إلا بفهم العربية الفصحى[2].

هذا مع العلم بأن الأخذ بهذه الأصول والالتزام بها لا يعني الاعتماد عليها وحدها وطرح ما أثر عن السابقين من تفسير، وإنما غاية ما يعنيه أن جهود السابقين ينبغي أن تكون خاضعة لهذه الأصول فما اتفق معها أخذنا به وما اختلف طرحناه ولا نعتد به.

وأيضاً ومما ينبغي في تطبيق هذه الأصول أن يكون محققاً للغاية المنشودة من تفسير القرآن تفسيراً خالياً من شوائب النزعات المذهبية، وأن يأخذ المفسر نفسه بالموضوعية والتجرد من التصورات العلمية بمفهومها المعاصر[3] حريصاً

---

(1) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1، ص 528.
(2) تفسير المنار، ج 1، ص 21.
(3) وذلك لما فيه من التوسع المفرط عند بعضهم كما فعل طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر.

كل الحرص على إظهار عظمة القرآن في تشريعه وهداياته وآدابه وبيان علاقة هذا الكتاب الخاتم بالحياة وتياراتها المتجددة في الفكر والاجتماع والاقتصاد والسياسة، لأن مهمة القرآن الأولى هي إخراج البشرية من الظلمات إلى النور ووضعها على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا انحراف في العقائد والأخلاق والتشريعات، والتفسير الذي لا يحقق هذه المهمة ويبرزها فإنه لا يكون تفسيراً بالمعنى الصحيح السليم[1].

ومما يؤيد ما ذكرت ما بينه الإمام محمد عبده ودعا إليه فقال: وهو: ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العلم والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾[2] ونحوها من الأوصاف فالمقصد الحقيقي وراء تلك الشروط والفنون[3] هو الاهتداء بالقرآن... ويقول في موضع آخر: «والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة»، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداة ووسيلة لتحصيله[4].

✯ ملخص ما ينبغي أن يكون عليه المفسر

من هنا ومما تقدم في الشروط والآداب ومما حبذه المفسرون ودرجوا عليه وخصوصاً في العصر الحديث تتضح لنا ملامح المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم في النقاط التالية:

1 ـ يبدأ المفسر في تفسيره السورة أو الآيات بتمهيد بين يدي ما يفسر بذكر فيه

---

(1) انظر منهج البحث في العلوم الإسلامية للدكتور محمد الدسوقي، ص 221 وما بعدها.
(2) سورة لقمان، الآية 3.
(3) يقصد ما يذكره المفسرون من شرط للمفسر وفنون اللغة التي تعين على التفسير.
(4) انظر تفسير المنار، ج 1، ص 17 ـ 21.

متى وأين نزلت السورة أو الآيات ومجمل ما تحويه من أهداف ومقاصد سامية ويأتي بالنقاط البارزة فيها وخلاصة موضوعاتها ليكون على بينة فيما يبحث ويفسر.

2 ـ يبين المناسبة والربط بين السورة التي يفسرها وبين السورة التي قبلها أو بين الآيات اللاحقة والآيات السابقة حتى يظهر الكلام للناظر كالكلمة الواحدة متسق المعاني منتظم المباني وتجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء المترابط الأركان.

3 ـ يذكر ما صح أو حسن من أسباب النزول إن كان للسورة أو الآية أو الآيات سبب خاص لأن بيان سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن وكشف الغموض الذي قد يكتنف بعض الآيات.

4 ـ يأتي بشرح المفردات اللغوية التي تحتاج إلى شرح، وبموجز ما يتعلق بالاشتقاق، وبالمباحث العربية المتعلقة بالتراكيب من نحو ومعان وبيان، وبعدها يأتي بالتفسير مشتملاً على المعنى الإجمالي والهدف والمقصد الذي ترمي إليه الآية أو الآيات.

5 ـ على المفسر أن لا يكثر من إيراد العلوم المختلفة إلا بقدر الحاجة فلا يتوسع في تفريع المسائل النحوية وأوجه الإعراب ولا يأتي بأدلة المذاهب الفقهية والكلامية ولا يسهب في تفصيل العلوم الحديثة من أسرار الكائنات وعجائب المخلوقات وإنما ينبغي أن يأتي من جميع هذه العلوم بالمختصر المسلم المفيد حتى لا تطغى هذه المباحث على التفسير الذي هو المقصود للمفسر.

6 ـ ينبغي أن يجتنب المفسر التكرار الذي يخلو من الفائدة ومثله الترادف وخصوصاً في التراكيب الذي قال علماء الأصول بمنعه.

7 ـ أن يتحرى المفسر المطابقة بين التفسير والمفسر متجنباً الاختصار المخل

فيما يحتاج إليه من إيضاح المعاني وكذلك يبتعد عن التطويل الذي لا يليق بالتفسير وبالجمة فإن المفسر ينبغي أن يكون حريصاً كل الحرص على إفادة القارىء في دينه وإرشاده إلى ما يصلحه وينفعه في الدارين ويقصد من عمله في التفسير الرغبة في رضوان الله حتى يعم به النفع وتحصل به الفائدة المرجوة بإذن الله تعالى.

8 - ينبغي ختم تفسير الآيات بما يؤخذ منها من أحكام شرعية وما يستنبطه من إرشادات وتوجيهات إلهية ولطائف وحكم شرعية علمية وعملية والله الموفق إلى كل خير والهادي إلى الصراط المستقيم.

أسئلة في هذا الفصل

س 1: ذكر العلماء قواعد تعين على تفسير القرآن الكريم اذكر أهمية هذه القواعد بالنسبة لمفسر القرآن مع بيان القواعد المتعلقة بالضمير إجمالاً واذكر فائدته في الكلام العربي والقرآن؟

س 2: يقال: إنه لا يجوز التعبير بالضمير المنفصل إذا تأتي الإتيان بالمتصل وجوزوا ذلك في حالتين اذكر حالتين مع التمثيل لهما؟

س 3: ما المراد من مرجع الضمير وأي نوع منه يحتاج إلى المرجع مع التعليل مبيناً الأصل في المرجع من حيث المطابقة للضمير وعدمها والتقدم أو التأخر عنه مع التمثيل له؟

س 4: ذكر العلماء حالات يأتي فيها الضمير عائداً على ما تضمنه معنى ما سبق أو على ما يدل عليه بالالتزام اذكر مثالاً لكل منهما؟

س 5: قد يأتي مرجع الضمير على خلاف الأصل ويعود على متأخر في الرتبة أو اللفظ أو في اللفظ والرتبة معاً اذكر مثالاً لكل حالة من هذه الأحوال؟

س 6: ما المراد من ضمير الفصل مبيناً الغرض منه وحكمه من حيث الإعراب مع التمثيل له بأمثلة متعددة من القرآن؟

س 7: هناك ألفاظ ذكرت في القرآن قد يظن البعض أنها مترادفة والواقع ليس كذلك اذكر الفرق بين كل من الإعطاء والإيتاء والخوف والخشية وجاء وأتى القعود والجلوس - عمل وفعل - مع التمثيل والتوضيح لما تذكره من الفروق.

س 8 : ذكر العلماء أن العطف في القرآن جاء على أقسام عطف على اللفظ وعطف على المحل وعطف على المعنى اذكر مثالاً لكل قسم من هذه الأقسام مع توضيح المراد من العطف على المعنى مبيناً حكم العطف على المجرور بدون إعادة الجار والعطف على معمولي عاملين مع التمثيل لكل منهما من القرآن؟

س 9 : ما حكم الاسم إذا ذكر مرتين في جملة أو جمل مترابطة معرفة أو نكرة في المرة الأولى والثانية وهل الاسم هو الأول أو غيره في الصور الأربعة التي ذكرها العلماء مع التمثيل لكل صورة من القرآن؟

س 10 : ذكر العلماء أن الخطاب بالاسم والفعل كل منهما له معنى يناسبه ولكل منهما موضعه الذي لا يصلح فيه الآخر والمطلوب ذكر أمثلة لكل من الاسم والفعل بنوعيه الماضي والمضارع مع بيان المعنى المناسب الذي ذكر من أجله والحكمة من التعبير به؟.

س 11 : ما المعنى الذي يدل عليه الفعل (كان) في غير القرآن وفي القرآن فيما يتعلق بصفات الله تعالى مبيناً أرجح الأقوال في هذا الموضع مع التمثيل؟

س 12 : على أي شيء يدل الفعل (كاد) مبيناً استعماله في القرآن وما يدل عليه في كل موضع ورد فيه مع التمثيل؟

س 13 : في القرآن كلمات استعملت مفردة فقط وأخرى استعملت مفردة تارة وجمعاً تارة أخرى بين الحكمة من استعمال الأرض مفردة في القرآن، ومن استعمال السماء مفردة وجمعاً وكذلك لفظ الريح والرياح - والنور والظلمات - والمشرق والمغرب مع التوضيح والتوجيه؟

س 14 : اذكر مفردات الجموع التالية وجمع المفردات التي بعدها أولاً الجموع - الأبرار - الأنصار - الأزلام - التراقي - غرابيب - عضين - الأرائك - ألفافاً - عزين - أساطير - قنوان - صنوان. ثانياً المفردات: مدرارا - الحرور - إعصار - سربا - تارة.

س 15 : بيّن الأصول التي ينبغي اعتمادها في المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم إجمالاً أولاً ثم وضحها وفصلها ثانياً؟

س 16 : اكتب ملخصاً للطريقة التي ينبغي اتباعها في تفسير سورة من القرآن او آيات منه حسب الترتيب المناسب الذي تراه؟

خاتمة الكتاب

أكتبها راجياً من الله تعالى أن يحسن خاتمة حياتي ويجعل آخر كلامي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ هذا ما فتح الله به علي من بحث وتحقيق في هذا العلم - علم أصول تفسير القرآن الكريم - وقد استوفيت من مسائله ما أحسبه كفاية للمبتدىء وبداية لمن يريد المزيد في هذا المضمار ولعل من يتناوله بعدي ممن أيدهم الله بفكر أوسع - وهم كثيرون والحمد لله - يستطيعون البسط في مسائله أكثر مما ذكرت.

هذا وقد ظهر لي من خلال دراستي في هذه الفصول أن على المسلمين مسؤولية تقديم تفسير كتاب ربهم - القرآن الكريم - نقياً خالياً من الشوائب والاتجاهات المنحرفة والروايات الواهية والأفكار المذهبية المتعصبة وعليهم أيضاً إلى جانب هذه المسؤولية التصدي لتلك التيارات المتحدية الباغية التي تريد من المسلمين التخلي عن القرآن والاتجاه إلى الثقافة المستوردة الآتية من الغرب الصليبي المتعصب، وأرى أنه لا حماية لنا من خطر هذه التحديات إلا بالاتجاه إلى القرآن ودراسته كما ينبغي وفهمه والعمل به، ولكننا لا نيأس وأملنا في الله وطيد فقد بدأت تباشير نهضتنا تظهر فيما يتناوله بعض الباحثين في مختلف الأمصار الإسلامية في العصر الحديث من كتابات حول القرآن الأمر الذي يدل على المكانة العميقة التي يحتلها في نفوس الكثيرين من المثقفين عموماً عسى الله أن يجعل على أيديهم ما يثلج صدور المتعطشين إلى المزيد من الدروس القرآنية والاستنارة بنور القرآن حبل الله المتين الداعي إلى الحق

والهادي إلى الصراط المستقيم وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفقني وجميع المسلمين لما فيه رضاه وأن يعز الإسلام وأهله وأن ينصر الداعين إلى الحق ويسدد خطاهم إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين أللهم ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء[1] لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[2] وصلى الله على نبيه ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ من تبيضه ليلة الاثنين الواحد والعشرين من شهر شعبان المعظم من سنة 1429 من ميلاد الرسول محمد ﷺ الموافق للتاسع والعشرين من شهر الحرث 1999 إفرنجي.

---

(1) أبوء أي أعترف.

(2) لفظ حديث رواه البخاري بسنده عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه وجاء في أوله: قال رسول الله ﷺ: سيد الاستغفار اللهم رب. . . الحديث.

مراجع الكتاب ومصادره

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد الزركشي، الحلبي 1376 هـ بمصر.

3 ـ البداية والنهاية: للإمام إسماعيل بن كثير.

4 ـ الاتقان في علوم القرآن: للإمام عبد الرحمن السيوطي، املطبعة الحسينية 1389 هـ.

5 ـ التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول: للشيخ منصور علي ناصف، عيسى الحلبي بمصر.

6 ـ التفسير والمفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي، دار إحياء التراث 1396 هـ لبنان.

7 ـ التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم ابن جزي الكلبي، الدار العربية للكتاب.

8 ـ الترغيب والترهيب: للإمام عبد العظيم المنذري، مصطفى الحلبي 173 هـ بمصر.

9 ـ التحرير والتنوير: للشيخ الطاهر محمد الطاهر بن عاشور عيسى الحلبي 1374هـ.

10 ـ تفسير آيات الأحكام: بإشراف الشيخ محمد علي السايس، صبيح بمصر 1373 هـ.

11 ـ تيسير أصول الفقه: للشيخ منصور الشيخ، مطبعة السعادة بمصر.

12 ـ تدريب الراوي بشرح التقريب: للشيخ السيوطي، مكتبة القاهرة علي يوسف بمصر 1378 هـ.

13 ـ تفسير المنار: للشيخ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب.

14 ـ تفسير جزء عم: للإمام محمد عبده، مطابع الشعب بالقاهرة.

15 ـ تفسير القرآن العظيم: للإمام ابن كثير، عيسى الحلبي وشركائه بمصر.

16 ـ تنزيه القرآن عن المطاعن: للقاضي عبد الجبار، دار النهضة الحديثة ببيروت ـ لبنان.
17 ـ تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محي الدين النووي، المنبرية بمصر.
18 ـ تاريخ الخلفاء الراشدين: لشيخنا أبي زيد شلبي.
19 ـ تاريخ الخلفاء: للإمام عبد الرحمن السيوطي.
20 ـ التفسير ورجاله: للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، درا الكتب الشرقية تونس.
21 ـ تفسير المراغي: للشيخ أحمد مصطفى المراغي، مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، 1385 هـ.
22 ـ التفسير القرآني للقرآن: للشيخ عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي بمصر.
23 ـ التفسير العلمي للقرآن في الميزان: للدكتور أحمد عمر أبي حجر، دار قتية 1411 هـ.
24 ـ أحكام القرآن: لأبي بكر الجصاص، دار المصحف ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة.
25 ـ أحكام القرآن: لأبي بكر ابن العربي، دار الفكر.
26 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير الجزري، الوهبية 1280 هـ.
27 ـ الإصابة في معرفة الصحابة: لابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي بيروت.
28 ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر القرطبي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
29 ـ أمالي الشريف المرتضى: علي بن الحسن، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان.
30 ـ إملاء ما من به الرحمن من أوجه الإعراب: للشيخ عبدالله العبكري، دار الشام للتراث.
31 ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: للشيخ محمد محمد أبي شهبة، الأميرية 1393 هـ بمصر.
32 ـ الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبي، دار الشام للتراث، بيروت ـ لبنان.
33 ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: للشيخ مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي لبنان.
34 ـ الأعلام: لخيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين ـ لبنان.

35 ـ الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة بيروت ـ لبنان.
36 ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
37 ـ تفسير الجلالين المحلي والسيوطي: مع حاشية سليمان الجمل، عيسى الحلبي وشركاه، بمصر.
38 ـ أسباب النزول: لأبي الحسن الواحدي، مؤسسة الحلبي وشركائه 1388 هـ، بمصر.
39 ـ أصول الأحكام: للآمدي أبي الحسن علي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
40 ـ أصول الفقه: للشيخ زكي الدين شعبان، منشورات جامعة قاريونس 1979 م.
41 ـ بلاغة القرآن: للشيخ خضر حسين، نشره علي الرضا التونسي 1391 هـ.
42 ـ اللآلىء الحسان في علوم القرآن: للشيخ موسى شاهين، دار التأليف 1388 هـ.
43 ـ جامع البيان في تفسير القرآن: للإمام الطبري، دار المعارف بيروت ـ لبنان.
44 ـ شرح الخريدة في التوحيد: للشيخ الدردير، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
45 ـ شرح العقائد النسفية في التوحيد: للتفتازاني، الكتبي بمصر.
46 ـ دائرة المعارف الإسلامية: لجماعة من المستشرقين، مطابع الشعب بمصر.
47 ـ دراسات في أصول التفسير: للدكتور محسن عبد الحميد، الدار البيضاء المغرب.
48 ـ شرح صحيح البخاري: للكرماني.
49 ـ صحيح البخاري: للإمام البخاري محمد بن إسماعيل، مطابع الشعب بالقاهرة.
50 ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، عيسى الحلبي وشركائه بمصر.
51 ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، عيسى الحلبي وشركائه بمصر.
52 ـ محاسن التأويل: للشيخ جمال الدين القاسمي، مصطفى الحلبي ط 1308 هـ.
53 ـ مفاتيح الغيب: للإمام الفخر الرازي، المطبعة الشرقية 1308 هـ.
54 ـ مباحث في علوم القرآن: للشيخ مناع خليل القطان، مؤسسة الرسالة 1401 هـ.
55 ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون، دار الرائد بيروت ـ لبنان.

56 ـ مقدمتان في علوم القرآن: لابن عطية ومقدمة كتاب المباني، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
57 ـ المستصفى من علم الأصول: للإمام أبي حامد الغزالي، الأميرية بمصر 1322 هـ.
58 ـ القرآن هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين: للشيخ محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية.
59 ـ القاموس المحيط: لأبي يعقوب محمد الفيروزآبادي، الثانية مصطفى الحلبي بمصر.
60 ـ المفردات في غريب القرآن: للإمام الراغب الأصفهاني، الحلبية 1381 هـ.
61 ـ روح المعاني: لأبي الثناء شهاب الدين الألوسي، المنيرية بمصر.
62 ـ لسان العرب: لابن منظور، طبعة مصورة عن طبعة بولاق الدار المصرية للتأليف.
63 ـ المستدرك: للإمام الحاكم النيسابوري.
64 ـ الفهرست: لابن النديم، الرحمانية 1348 هـ.
65 ـ فتاوي ابن تيمية: لابن تيمية، كردستان العلمية 1329هـ.
66 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، مصطفى الحلبي 1378 هـ.
67 ـ نيل الأوطار: للإمام الشوكاني، الطبعة الأخيرة مصطفى الحلبي وشركائه بمصر.
68 ـ المسند: للإمام أحمد بن حنبل، الميمنية 1313 هـ.
69 ـ سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى الترمذي، الأميرية 1292 هـ.
70 ـ طبقات المفسرين: للداودي، مكتبة وهبة 1392 هـ.
71 ـ علوم التفسير: للدكتور عبدالله شحاتة، مكتبة نهضة الشرق بجامعة القاهرة.
72 ـ الإسلام في عصر العلم: دكتور محمد أحمد الغمراوي، مطبعة السعادة.
73 ـ التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: حنفي أحمد، دار المعارف بمصر.
74 ـ منهج البحث في العلوم الإسلامية: الدكتور محمد الدسوقي، دار الأوزاعي.
75 ـ مختصر تفسير ابن كثير: للشيخ محمد علي الصابوني، دار الفكر ـ بيروت.
76 ـ علوم الحديث ومصطلحه: للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين.
77 ـ طرح التثريب: للعراقي.

فهرس إجمالي لمحتويات الكتاب

الرقم	الموضوع	الصحيفة
1	المقدمة	5
2	المدخل في تعريف التفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما وما إلى ذلك	11
3	أسئلة في المدخل	31
4	الباب الأول: أصول التفسير النقلية من القرآن والسنة وأقوال الصحابة	33
5	الفصل الأول: تفسير القرآن بالقرآن	38
6	أسئلة في الفصل الأول من الباب الأول	51
7	الفصل الثاني: تفسير القرآن بالسنة المرفوعة	53
8	أسئلة في الفصل الثاني من الباب الأول	71
9	الفصل الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة	73
10	أسئلة في الفصل الثالث من الباب الأول	132
11	الباب الثاني: التفسير في عصر التابعين وبداية تدوينه	135
12	الفصل الأول: مصادر التفسير في عصر التابعين ومدارسه والمفسرون منهم	139
13	أسئلة في الفصل الأول من الباب الثاني	183
14	الفصل الثاني: المرحلة الثانية من مراحل التفسير بالمأثور تدوينه وتطوره	185
15	أسئلة في الفصل الثاني من الباب الثاني	200
16	الفصل الثالث: أقسام التفسير وأهم مصادر المأثور منه	201
17	أسئلة في الفصل الثالث من الباب الثاني	229
18	الباب الثالث: الضعف في التفسير بالمأثور وأسبابه	231

19 ـ الفصل الأول: الإسرائيليات وأثرها في التفسير 235
20 ـ أسئلة في الفصل الأول من الباب الثالث 256
21 ـ الفصل الثاني: الوضع والموضوعات في التفسير 257
22 ـ أسئلة في الفصل الثاني من الباب الثالث 272
23 ـ الفصل الثالث: حذف الإسناد من التفسير بالمأثور وأثره فيه 273
24 ـ أسئلة في الفصل الثالث من الباب الثالث 277
25 ـ الباب الرابع: التفسير بالرأي ومناهج المفسرين به 281
26 ـ الفصل الأول: نشأة التفسير بالرأي وتطوره وأهم كتبه 293
27 ـ أسئلة في الفصل الأول من الباب الرابع 304
28 ـ الفصل الثاني: التفسير الموضوعي الفقهي وأهم كتبه 305
29 ـ أسئلة في الفصل الثاني من الباب الرابع 317
30 ـ الفصل الثالث: التفسير بالرأي المذموم وأهم كتبه 319
31 ـ أسئلة في الفصل الثالث من الباب الرابع 355
32 ـ الفصل الرابع: التفسير العلمي للقرآن الكريم وأهم كتبه 357
33 ـ أسئلة في الفصل الرابع من الباب الرابع 374
34 ـ الفصل الخامس: التفسير وألوانه في العصر الحديث 375
35 ـ أسئلة في الفصل الخامس من الباب الرابع 386
36 ـ الباب الخامس: ما ينبغي في التفسير والمفسر 387
37 ـ الفصل الأول: العلوم التي يحتاج إليها المفسر وشروطه وآدابه 391
38 ـ أسئلة في الفصل الأول من الباب الخامس 402
39 ـ الفصل الثاني: قواعد التفسير والمنهج القويم في تفسير القرآن الكريم 403
40 ـ أسئلة في الفصل الثاني من الباب الخامس 432
41 ـ الخاتمة 435
42 ـ أهم المصادر والمراجع 437
43 ـ فهرس المحتويات 443